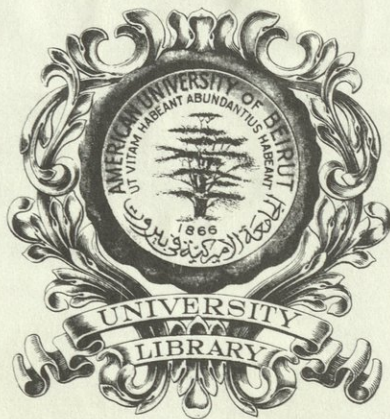
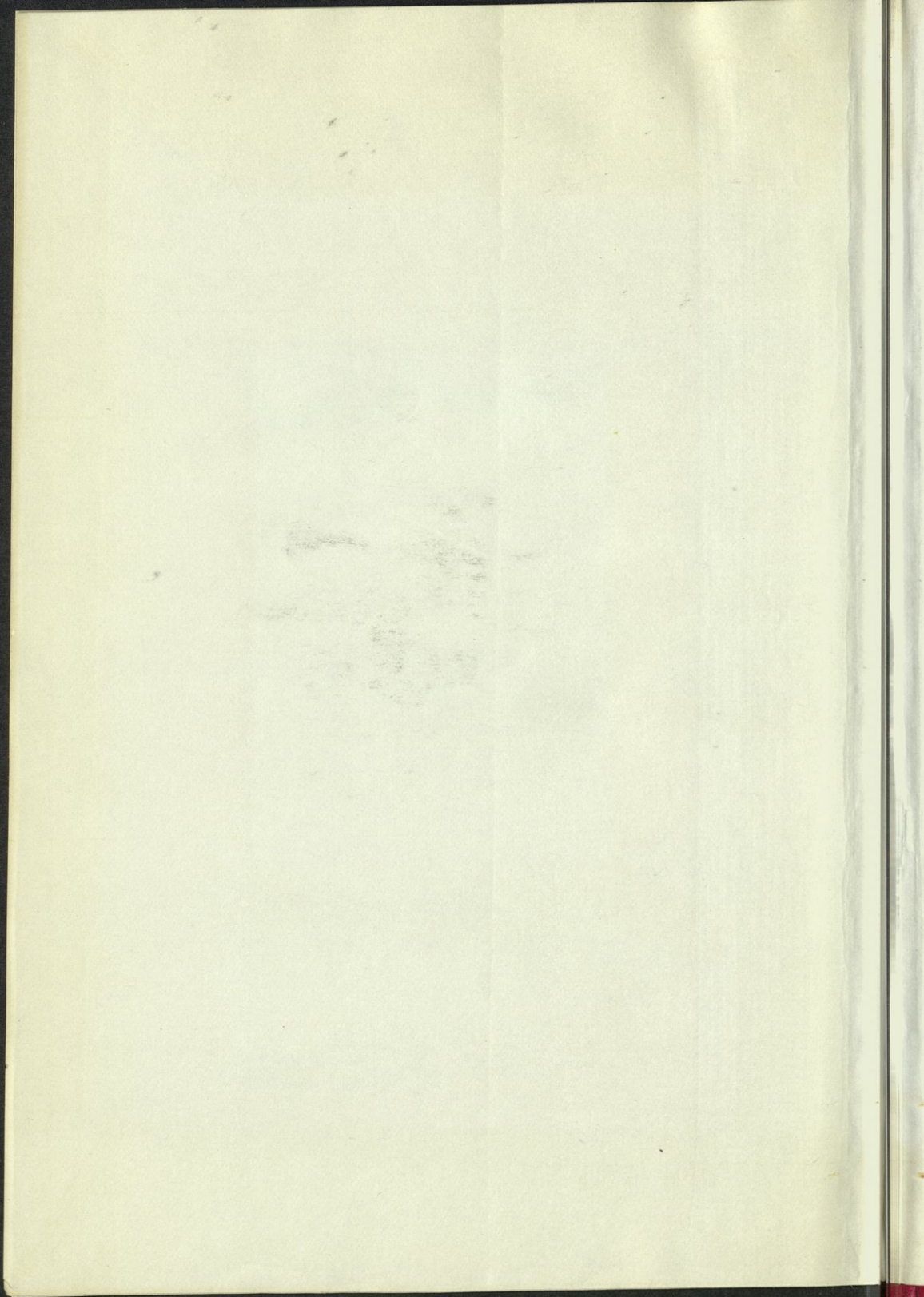


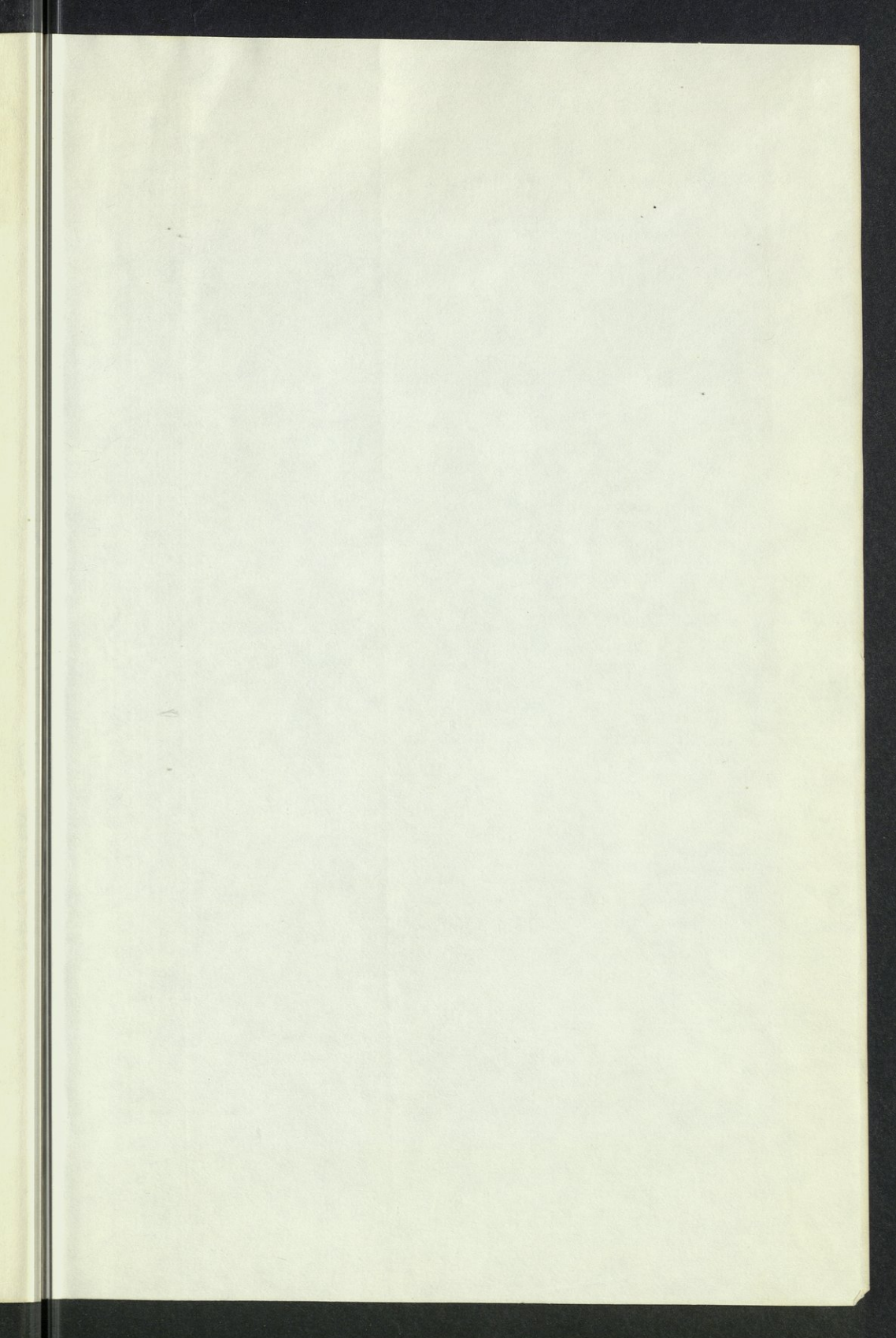
91  
A  
C

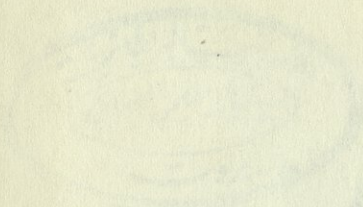
A. U. B. LIBRARY

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT









بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

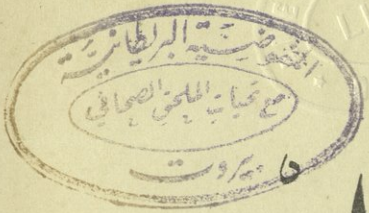
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

59-38

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

cat. Nov. 1945

914.21  
A872 LA  
C.I.



# لندن

بقلم

أحمد عطينة

59638

1945

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر



ابريل سنة ١٩٣٤

٢

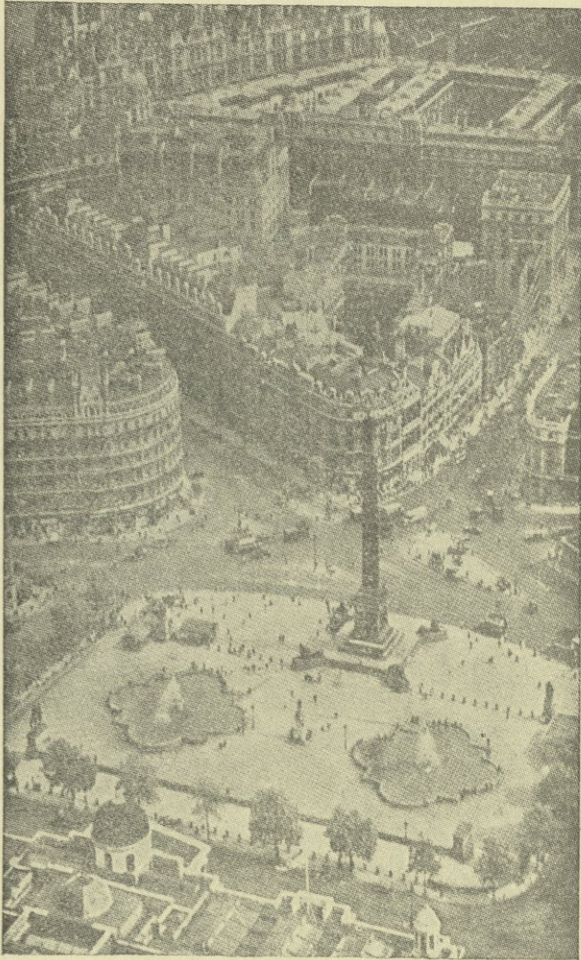
!



## الاهداء

إلى الذين جمعنا بهم الغربة ، وربطنا بهم لندن ،  
وإلى من سوف تجمعنا بهم ،  
إلى الأصدقاء الذين لم أعرفهم بعد ...  
أهدى هذا الكتاب

ع . ١



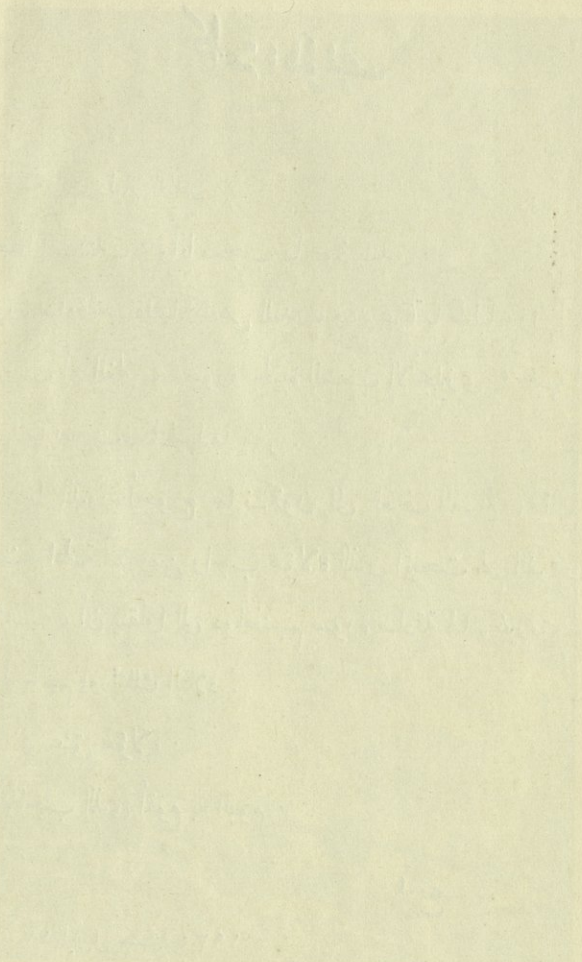
قلب لندن

## كلمة المؤلف

ليس هذا الكتاب دليلاً للندن .  
ولم أنشر هذا الكتاب ، وأنا معجب مأخوذ بلندن .  
بل هو صورة صادقة ، نقلتها كما هي للندن، وقد عرفتها طالباً وزائراً ، صورة ليس  
فيها مجال للتعصب أو الغلو ، صورة لحياة الشعب الانجليزي ، فيها القوة كما فيها  
الضعف ، وفيها ما يعجب ، كما فيها ما ينفر .  
ونحن في هذا الدور أحوج ما نكون الى تعرف العالم ، الى تعرف حياة  
الشعوب الناهضة الحية ، ومن واجب هؤلاء الذين أتيت لهم الفرص للوجود في  
هذه البلاد الناهضة ، أن ينقلوا الى مواطنهم صورة صادقة لها ، غير متعصبين في نقلها  
تعصباً سخيلاً لوطنهم أو لتلك البلاد .  
هذا واجب في عنق هؤلاء .  
وهذا هو الواجب الذي أقوم به اليوم .

ع .

١٧ ابريل سنة ١٩٣٤



## مقدمة

بقلم

الدكتور حافظ عفيفى باشا

وزير مصر المفوض فى لندن

كان من حظى أن أطلعنى مؤلف هذا الكتاب على كثير من أجزائه قبل أتمام طبعه .  
تصفحت هذه الأجزاء فى أقل من ساعتين وكنت فى تلك اللحظات اللذيذة  
أشاهد شريط سينما توجرافيا قيا ومفيداً .

صحبنى المؤلف الى أغاب مشاهد لندن ، تلك المدينة الضخمة التى يزيد عدد سكانها  
عن سكان ممالك محترمة فى أوروبا وفى القارات الأخرى .

ولست لندن عظيمة بعدد سكانها فحسب ، بل هى عظيمة بما تحوى من ثروات  
هائلة : فنية وعلمية ومادية . أنها عظيمة بقدمها ذلك القدم الذى كساها رداء من الجلال  
والهيبه . عظيمة بتاريخها السياسى القديم . عظيمة بمجهوداتها الحديثة للاحتفاظ  
بمركزها العالمى الرفيع .

بذلك أكرت عمل مؤلف هذا الكتاب القيم ، فقد استطاع فى زمن قصير أن  
يجوب معى أنحاء تلك المدينة المترامية الأطراف .

ولم يكن المؤلف كاللدليل الذى يكتفى بأن يصف لك ما تشاهد وصفا سطحيا جافا ،  
بل هو يسعى دائما أن يشغل مدارك القارىء بما ترى عيناه . فاذا دخلت معه دار البرلمان

الانجليزى لم يكتف بوصف بناء الدار وتاريخها بل ذكر لك في كلمات معدودة متواضعة سر نجاح الحياة النيابية في انجلترا .

وإذا سار معك في شوارع لندن لم يكتف بأن يصف لك ما تشاهد بل هو يصف لك كل حركة تراها ومغزى كل كلمة تسمعها . وإذا سار معك إلى برج لندن لتمضية بضع دقائق في زيارتك هذا الأثر التاريخى ، أعاد إلى ذاكرتك شقا كبيرا من تاريخ عصر الاستبداد في انجلترا .

نعم إن هذا الكتاب المتواضع يحمل في صحفه القليلة، الكثير من الأبحاث العميقة والملاحظات الدقيقة والانتقادات النافذة . ولئن اختلفت مع المؤلف في بعض ملاحظاته أو استنتاجاته ، فاني سررت كل السرور لتلاوة هذا الكتاب الذى جمع بين اللذة والفائدة .

...

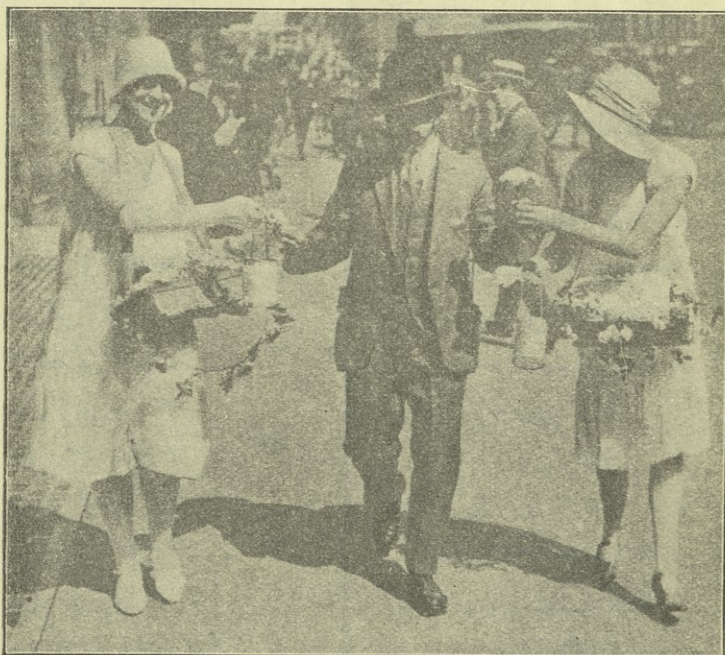
أسفت لشيء واحد ذلك هو أن وقت المؤلف لم يتسع لزيارة طائفة من مستشفيات لندن الكبيرة أو دور الاحسان فيها . فانها من أهم ما يرى في هذه المدينة العظيمة فهي أكبر هياكل الرحمة ومعابد البر . انها مبان ضخمة تكلفت الملايين في اقامتها وتتكلف الملايين في إدارتها ، وهي نموذج لحسن النظام واتقان العمل . وكل هذه الملايين جمعت وتجمع من البنس والشلن والجنيه التى يجود بها الفقير والموسر ، الرجل والمرأة من أهالى لندن الكرماء .

ويشرف على إدارتها وعلى جمع الأموال لها رجال ونساء يتطوعون بلا أجر لهذا العمل العظيم ، ولا ييغون من عملهم هذا إلا الاحسان للمخلوق وارضاء الخالق . فالريض، وضعيف العقل، والمقعد، والضرير، والمشلول، والأصم، والأبكم، واليتيم، يجد له مكانا في قلب لندن ، تواسيه وتعالجه وتربيته وتعلمه ، قلوب رحيمة تواقه إلى عمل الخير بلا أجر ولا ثمن .

ولا أباغ إذا قلت از معاهد البر والاحسان تكلف المحسنين في لندن سنويا نحو  
العشرة ملايين من الجنيهاً ، تجمع بأكملها من أهل الخير ولا تدفع الخزنة العامة  
لإعانتها شلنا واحداً . أليس هذا عملاً عظيماً ومثلاً يحتذى ؟

هافظ عفيفي

مصر في ٣١ مارس سنة ١٩٣٤



أيام الزهور في لندن ، لجمع التبرعات للمستشفيات

## فصول الكتاب

٨٠	يوم الأحد	١٨	من الشرق الى الغرب
	« يوم من الأيام »		« لكى نرى الحياة »
٨٧	الستى	٢٩	لندن التى أحبها *
	« حى المال »		« وجهة نظر انجليزية »
٩٢	فى طرقات لندن *	٣١	ليلتى الأولى
	« منذ قرنين »		« قافلة فى الظلام »
٩٧	مكتب الأمتعة الضائعة	٤١	لندن الجامدة *
	« فى عالم النسيان »		« فى عين الأجنبي »
١٠٢	ضيوف الشارع	٤٤	مسلة كليوباترة
	« النفوس القريدة »		« مصر فى لندن »
١٠٦	لندن فى الظلام *	٤٩	معرض مدام توسود
	« ذكريات الحرب »		« العالم من الشمع »
١١٢	برج لندن	٦١	حمام ترافلجار
	« ذكرى وعبرة »		« فى سبيل السلام »
١٢٣	ولورث	٦٣	البرلمان الانجليزى
	« لندن الاقتصادية »		« حيث يقضى الامر ويبرم »
١٢٨	دير وستمنستر *	٧٣	جناح السرعة
	« مقبرة العظام »		« فى دار البريد العام »
١٣٢	صورة فى معرض	٧٧	رحمة الطبيعة
	« معرض التيت »		« اختلاف النهار والليل ينسى. »



فصول الكتاب

٢١٤	الصباح في لندن	١٣٦	تحت الأرض
	« البركة في البكور »		« في سرايب لندن »
٢١٩	مقاهي لندن المنقرضة	١٤٠	هامدن كورت
	« لندن على ممر العصور »		« في القصور الملكية »
٢٢٢	مجالس بيكادلي	١٤٨	موكب عمدة لندن
	« الشرق في الغرب »		« تقاليد لندن »
٢٢٧	مدرسة الدراسات الشرقية	١٥١	الصحافة والصحف
	« لندن الثقافة »		« صاحبة الجلالة »
٢٣٢	المكتبات القديمة	١٦٠	طيور الليل*
	« عالم الكتب »		« لندن بعد منتصف الليل »
٢٣٧	أيام الثلج	١٦٣	أين تسهر هذا المساء؟
	« لندن البيضاء »		« في عالم المسارح »
٢٤١	مآسى بيكادلي	١٧٤	مقبرة العظام
	« تحت ستار الليل »		« تمثال في دير وستمنستر »
٢٤٣	مشارب الشاي	١٨٠	الطبيعة الإنجليزية
	« لندن الاجتماعية »		« دراسة نفسية »
٢٥٢	المتاحف والمعارض	١٨٩	فليت استريت
	« كنوز الفن »		« بقايا لندن القديمة »
٢٦٢	قبر الجندي المجهول	١٩٤	قاعة الرعب
	« آثار الحرب »		« في معرض الشمع »
٢٦٥	شخصيات لندن	٢٠٠	البحث عن غرفة للايجار
	« في الطريق »		« وطن الى أجل »
٢٧٤	عيد الميلاد	٢٠٧	عشاق لندن
	« أعياد لندن »		« الأسرة في دور التكوين »
٢٨٣	فلسفة الطعام	٢١٠	لندن المتبدلة*
	« في مطاعم سوهو »		« ذكريات الحرب »

فصول الكتاب

- |     |                         |     |                     |
|-----|-------------------------|-----|---------------------|
| ٣٣٣ | بيكادلى                 | ٢٩٠ | وراء جدران الجامعة  |
|     | « حى الملاهى »          |     | « الثقافة العالية » |
| ٣٤٠ | بين المرضى              | ٣٠٢ | فنانو الشوارع       |
|     | « فى المستشفيات »       |     | « على الأرصفة »     |
| ٣٤٤ | أطفال لندن              | ٣٠٦ | هايد بارك           |
|     | « التربية الانجليزية »  |     | « حدائق لندن »      |
| ٣٥١ | متاجر لندن              | ٣١٥ | أيام الزهور         |
|     | « النظام الاقتصادى »    |     | « أعياد الاحسان »   |
| ٣٥٦ | العاملات فى لندن        | ٣١٨ | النادى المصرى       |
|     | « المشا كل الاجتماعية » |     | « الطلبة فى لندن »  |
| ٣٥٩ | لندن فى أسبوع           | ٣٢٣ | الرياضة             |
|     | « على الطائر الميمون »  |     | « أندية لندن »      |
| ٣٦٣ | من الغرب الى الشرق      | ٣٢٨ | جوامع لندن          |
|     | « وداع »                |     | « الاسلام فى لندن » |

## فهرس الصور والرسوم

٨٥	هايد بارك يوم الأحد	٢	قلب لندن
٨٨	بورصة لندن	٩	أيام الزهور
٩٠	بعض أبنية الستى	١٦	لندن الأمس
٩٣	أسواق لندن فى القرن الماضى	١٦	لندن اليوم
٩٥	خابان لندن المنثرة	٣٠	قوس ولنجتن
٩٦	حارس الليل فى القرن الماضى	٤٨	مسلة كليوباترة
٩٩	المظلات فى مكتب الأمتعة الضائعة	٥٠	معرض مدام توسود
١٠٠	فى مكتب الأمتعة الضائعة	٥٣	العرش الأماجزى فى معرض مدام توسود
١٠٤	تحت تمثال نلسن	٥٦	ركن الأدباء « « « «
١٠٨	الغارات الهوائية على لندن	٥٨	الشخصيات السياسية فى المعرض
١١١	تذكار الحرب	٦٠	مقتل ملكة اسكتلندة
١١٥	برج لندن من التيمز	٦٢	حمام ترافلجار
١٢٢	حراس برج لندن	٦٥	البرلمان الأماجزى من التيمز
١٢٩	دير وستمنستر	٦٧	قاعة مجلس اللوردات
١٣٤	صورة الأمل فى معرض التيت	٦٧	قاعة مجلس العموم
١٣٧	محطة للترام الأرضى	٦٩	قاعة الطعام فى البرلمان
١٣٩	فى جوف الأرض	٧١	الليل على كبرى وستمنستر
١٤١	هامدن كورت	٧٣	ساعى البريد فى دورته
١٤٥	حجرة الكاردنال ولزلى	٧٨	الليل والمطر فى ميدان ترافلجار
١٤٧	كنيسة قصر هامدن كورت	٨٢	شوارع لندن المقفرة
١٤٩	موكب عمدة لندن		

فهرس الصور والرسوم

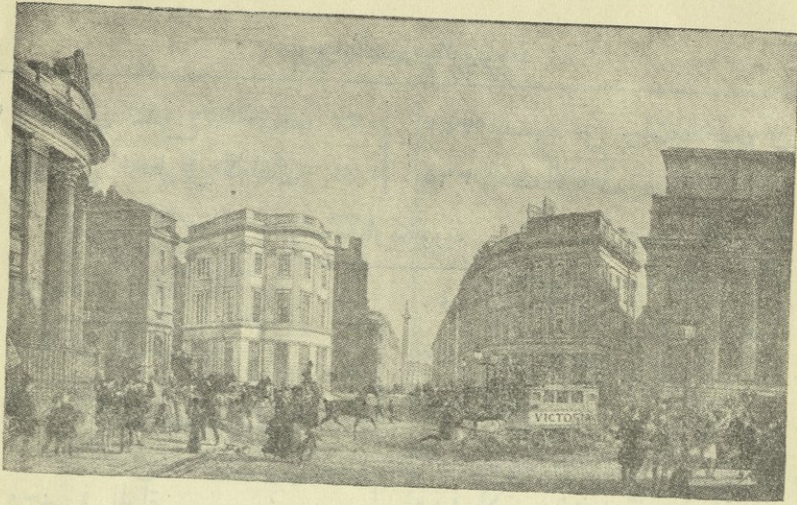
٢٧٠ مصور الشارع	١٥٨ بأعو الصحف
٢٧١ عربات التاكس	١٦٧ صفوف المنتظرين أمام المسارح
٢٧٨ هدايا عيد الميلاد	١٧٠ مسرح الدرورى لين
٢٨١ أمام مخازن البيع	١٧٦ ركن الادباء فى دير وستمنستر
٢٨٨ فى مطاعم الكورنر هاوس	١٩٠ بقايا عصر العربات
٢٩١ جامعة لندن	١٩٣ ناشر الأخبار فى القرن الماضى
٢٩٦ الكلية الجامعة	١٩٥ مثال الشمع
٢٩٩ كلية الملك	٢١٢ حماية لندن من الغارات الجوية
٣٠٣ موسيقى الشارع	٢١٥ المحطات فى الصباح
٣٠٤ فرقة موسيقية فى الشارع	٢١٨ عربة اللبن
٣٠٥ مصور الشارع	٢٢١ حارس الليل فى القرن الماضى
٣٠٨ السربنتين	٢٣٣ المكتبات القديمة
٣١٠ هواة الخيل فى هايد بارك	٢٣٥ أمام صفوف المكتبات
٣١٢ حلقات الخطباء	٢٣٨ ليالى الثلج فى لندن
٣١٦ بائع الصحف يشتري زهرته	٢٤٤ احدى مشارب الشاى
٣٢٤ متفرجو السباق	٢٤٧ مائدة للشاى فى مشرب
٣٢٦ بأعو اشارات الحظ	٢٥١ شخصية عاملة الشاى
٣٢٩ جامع ووكنج	٢٥٣ المعرض الأهلى وعمود نلسن
٣٣٤ تمثال كيوييد فى بيكادلى	٢٥٦ المتحف البريطانى
٣٣٦ الليل فى بيكادلى	٢٦٢ قبر الجندى المجهول
٣٣٧ الشرطة الانجليزية	٢٦٥ الشرطة الانجليزية
٣٣٨ بأعة الزهور	٢٦٧ عربات الامنيوس
٣٤٥ احدى مدارس لندن	٢٦٨ مسح الأحذية
٣٤٦ أطفال فى الشارع	٢٦٩ عامل البريد

فهرس الصور والرسوم

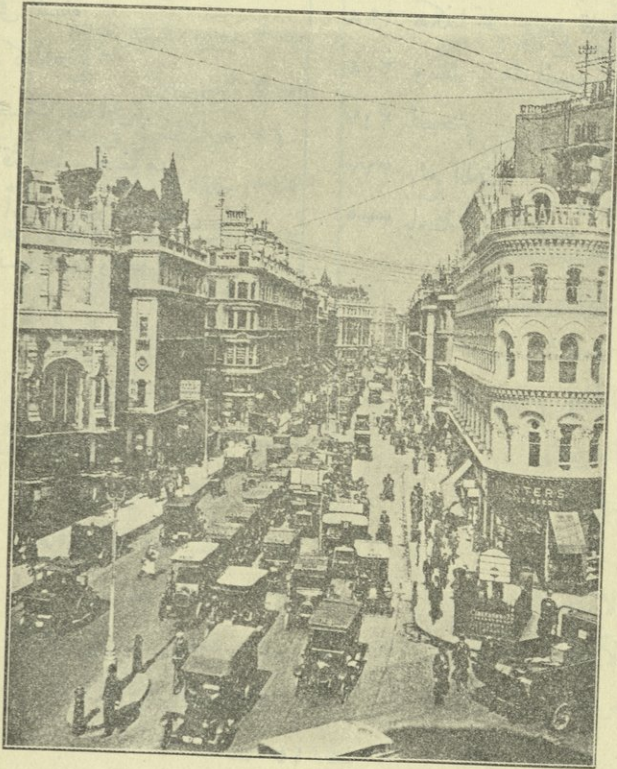
٣٥٢	الصعود على عربات الامنيوس	٣٤٨	أطفال في الشارع
٣٦٥	تحت الانفاق	٣٥٠	البوليس يحافظ على الاطفال

رسوم كاريكاتورية

٤٠	ليلتي الأولى	٢٠	القبعة
٤٣	يعتقد الانجليزى بامتيازه	٢١	ذو الملابس المكسيكية
١٨١	انجليز	٢٢	لباس الجولف
١٨٣	ينقصنا هذا البرود	٢٤	شعرت باننى
١٨٥	لا ترى الانجليزى يضحك	٢٥	وجهى فى المرأة
١٨٨	ارستقراطية انجليزية	٢٦	سار القطار الى باريس
١٩٨	هكذا تخرج من قاعة الرعب	٢٨	لندن فى المساء
٢٠٥	وتنظر إليك السيدة . .	٣١	كنت كالحجاج
٢١٧	الفحام	٣٣	وهو ممسك بذراعى . .
٢٧٣	بائع اللبن	٣٦	وكان اقتراحا سخيفا منى
٣٣٩	باحثة عن الذهب	٣٧	كنت أسير بهذين المعطفين
		٣٨	وكنا نسير صفا واحدا



لندن الامس



لندن اليوم

إذا كنت قد رأيت الكثير مما يعجب في أخلاق  
الشعب الإنجليزي ، فقد رأيت كذلك الكثير من  
النقص - نقص أأكده لى شعور الكثيرين من الإنجليز  
بأنهم لا يعرفون إلا الكمال ، الكمال فى كل شىء .

ولو قدر ، ونقض الإنجليز أيديهم مما نعتبره عيباً  
منهم ، فتغيرت بذلك طبيعتهم ، فمن ذا الذى ينكر أنهم  
سيخسرون ، وسيخسر العالم معهم الشىء الكثير؟

رنير

## من الشرق إلى الغرب

كانت جيوبى ذلك اليوم منفوخة بالمذكرات وبالعاوين وبيطلاقات الزيارة ثم بالتوصيات والملاحظات

وكانت هذه الملاحظات تهطل على من كل من اقبله ، ومن كل من يسمع بأنى ذاهب الى اوربا . ومع ذلك فلم اكن اترك فرصة لهذا التبرع ، بل كنت اطلب النصيحة بنفسى واستمع للملاحظات كل من كنت أعتقد فيه أنه يعرف شيئاً عن اوربا ، وعن انجلترا بوجه خاص .

وكانت المشا كل التي أطب حلها أو بحثها لانهاية لها . وكثيرا ما كنت ارجع لكتبي المدرسية الجغرافية ، لدرس شىء عن الرياح وعن المد والجزر وعن الحرارة وعن طول النهار وعن أهمية البلاد التي سأمر بها فى رحلتى من مصر إلى انجلترا . وكنت اعتقد انه لا بد من هذه الدراسة العلمية لطبيعة البحار والمحيطات ولطبغرافية فرنسا وانجلترا ، قبل أن اترك القاهرة . كأننى سأقود بنفسى الباخرة التي تقلنا من الاسكندرية إلى مرسلية ، أو كأننى سأعبر جبال الالب ، كما عبرها نابليون . وكانت هذه المعلومات تزيد فى مشاكلى ولا تساعد على حلها .

واذكر ان أهم تلك المشا كل كانت مسألة الملابس . اوربا يبردها القارس ، يبردها الذى سمعنا عنه أنه يجمد الأصابع ويثالج الأنف حتى انه ليسقط دون أن نحس



بسقوطه ؛ اوربا بلاد الأمطار التي تسقط كأنها أفواه القرب ، اوربا ذات الضباب  
الذي كنت اقرأ عن عجايبه في روايات سنكلر وشارلوك هلمز ، اوربا هذه لا بد أن نعد  
لها العدة .

لاظن ان هذا التراب الأسمر يجد مكانا له في اوربا، وهذا الهواء لا بد وأن يكون له  
أثر غريب على الوجوه وعلى الخياشيم في هذا العالم الآخر . لا بد من هذا، والافان  
العجب في اوربا !

كان هناك شيء من الاجماع عن مسألة الملابس ، التي كما قلت كانت من كبرى  
المشكلات التي كنت ابحثها ، وأطاب النصيحة والشورى في حلها .

وكان كل هؤلاء الناصحين يدللون بتجارب قد سبقت لهم ، عن اولئك الأبطال  
الذين سبقوني وذهبوا إلى باريس او الى لندن ؛ وعن الأدوات التي تجهزوا بها في  
رحلاتهم هذه . ولا زلت أذكر هذه النصائح الغالية .

الأحذية ذات « الرقبة » العالية لا بد منها .

جوارب من الصوف السميك ، لا تقل كثافة عن جوارب رجال البوليس

ممنوع لبس الجلايب

ممنوع استعمال القباقيب

« صدارى » البدل لا بد وأن تكون محكمة الاقفال (لهذا عمدت الى تغيير صدارى

ملابسى بحيث لا تظهر منها الا عقدة ربطة العنق )

قماش البدل لا بد وأن يكون من الصوف الخشن الانجائزى ، وكلما كان كثير

التخطيط والبهدة ، كلما كان أقرب إلى الملابس الانجائزية .

لا بد من معطفين على الأقل .

ثم تأتي مسألة القبعة .



كان شراء القبعة واختيار لونها من الأمور التي استغرقت وقتا ليس بالقليل ، وقد اشترك في هذه المهمة كثير من الأصدقاء - رعاكم الله - بأنفسهم أو بملاحظاتهم .

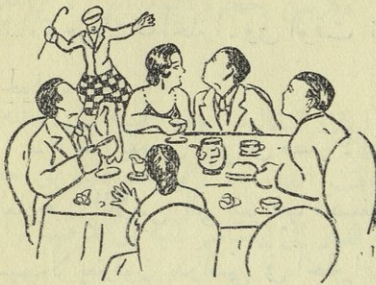
وكنت أراقب نوافذ المتاجر الأجنبية، وأدرس شيئا عن عالم القبعات

من حيث الأثمان والألوان والوضع والمنظر ، وكنت أراقب (الخواجات) في الترام وفي الطريق ، لاكتشف اللون المناسب والشكل الانيق . وعند ما جمعت العزم ودخلت إحدى متاجر شارع فؤاد، وقدر لي ان اشترى أحداها، أخذ صاحب المتجر ، يحاضرني في استعمال القبعات وكيفية وضعها ومسحها، والفرق بين القبعة الفرنسية والانجليزية . وعند ما ذهبت بها الى المنزل، كانت موضع اهتمام أصدقائي الزائرين ، وحاول كل منهم بدوره أن يجربها على رأسه هذه هي القبعة التي كنت أعتقد أنه لايسمح لكائن من كان، أن يهبط أوروبا الا وهي على رأسه .

...

أذكر الآن قصة الملابس هذه ، وأعجب لها لأنها قصة تتكرر ، وفخ يقع في حباله كل من يسافر إلى أوروبا لأول مرة . هذه المشاكل التي كانت تواجهني منذ سبع سنين هي بعينها التي تواجه الشاب الذي يرحل الى أوروبا اليوم .

اجلس قليلا في النادي المصري في لندن وراقب الوافدين من مصر ، الوافدين للدراسة أو للزيارة والاستشفاء؟؛ شبانا ورجالا . وتفحص وجوههم وملابسهم ، لترى كيف أنهم كانوا يدمنون التفكير في هذه المسألة ، كما كنت أفكر فيها .



ثم انظر لهذا الشاب ...

انظر إلى هذا الشاب الذي يدخل عليك  
وعلى رأسه كاسكت ، لاشك أنه قد  
نصح له في مصر أن يكون ( اسبور ) في  
انجلترا بلد الرياضة ، ومن مميزات (الاسبور)  
في نظر الكثير أن يلبس الكاسكت . ثم  
انظر لهذا الشاب الذي وصل اليوم رأساً  
من مصر ، انظر الى البدة التي يلبسها ،

ولا تحاول أن تسأل لماذا؟ . دخل علينا هذا الشاب ونحن في حفلة شاي خاصة ،  
فظننته أحد المدعويين ، وكان يلبس بدلة كثيرة الألوان والمربعات بدرجة ( ترغلل )  
العين ، وكنت أظنه في بادئ الأمر كان مشتركاً في كارنفال في أحد المصايف ولم يخلع  
ملابسه ، ملابس رعاة البقر المكسيكية !

علمت أن هذا الشاب ذاهب إلى اسكتلنده للدراسة ، ولعل أول فكرة خطرت  
له أن يبحث قبل مغادرته مصر عن ملابس اسكتلندية ذات الألوان والمربعات  
العديدة ، لأنه مامعنى أن يذهب الى اسكتلنده من غير هذه؟

وكل هذه الملابس جديدة ، لم يكسر نشاها بعد . لم يستعملها يوماً في مصر ، لم  
يستعملها الا بعد أن امتطى ظهر الماء

وإذا عدرنا هؤلاء الذاهبين الى أوربالأول مرة، فما بال هؤلاء العائدين منها — بعد  
قضاء أعوام ونيل درجات — لا يزالون يفكرون هذا التفكير العجيب . هؤلاء  
الذين لا يفكرون عند رجوعهم الى مصر الا في شراء حذاء ضخيم ، وبدلة للجولف  
بجنبيين من محلات بيرتون، ثم آلة مصورة ومنظار مقرب وغلين استعداداً لمصر .  
استعداداً لاستعراض هذه الأدوات في مصر .



ماذا تصنع بيدلة الجولف ..

- « وما ذا تصنع . . . . بيدلة الجولف وأنت لم تستعملها  
أثناء وجودك في إنجلترا ، وفي الوقت نفسه أنت لا تلعب  
الجولف ؟ »

- « ماذا يقولون عني في مصر ؟ إذا رجعت في ملابس  
العادية ، الملابس التي ليس فيها الصبغة الانجليزية الأصيلة ؟  
إنهم لا يعترفون بدراستي في إنجلترا ، ولا بشهادتي مالم  
تؤكدها هذه الشهادات من أحذية ومن غلايين !

...

ومع هذا الحذر الذي يتوخاه الكثيرون عند رحلتهم الى أوروبا، فقد يحدث مالم  
يكن في حسابان .

أرسل أحد الاخوان ملابسهم إلى الغسل . والغسل تقوم به شركات مختلفة في  
لندن تجمعها من المنازل في يوم خاص وتوزعها في نهاية الاسبوع . أرسل صاحبنا  
ملابسه وكان من بينها سروال من السراويل الطويلة الفضفاضة ، التي تعقد حول  
الجوارب .

لم يعرف من وقع في يده هذا السروال حقيقة أمره ، وربما ظنه بطلوناً من  
بطلونات الصيف ، أو من ملابس السهرة الشرقية . لأنه عني بأمره عناية خاصة ،  
فنشاه ، وكوى ثنياته ، وحمله الى صاحبنا وقد نفخه الهواء ، مدلى من قطعة من  
الخشب . كأنه بوّ عظيم ..

...

وليس بشراء هذه المعدات وهذه الملابس تنتهي المهمة، إذ أن أمر استعمالها أشق من  
أمر اقتنائها . فقد سمعنا بمن ذهب في ملابس السهرة يلبس ربطة عنق حمراء ! .  
والبيجامة في مصر يعتبرها البعض في حكم البديل الصيفية فترى الذين

يتخطرون بها من باب إلى باب في بعض شوارع القاهرة ، أولذين يجلسون بها في الشرفات ، دون أن يشعروا بأن هذه من ملابس حجرة النوم التي لا يراها الا صاحبها .

وهذا ما يحدث لهؤلاء الاخوان في إنجلترا بلاد التقاليد . وفد خمسة من الطلبة إلى لندن وسكنوا حد الفنادق جميعاً ، فلما حان وقت العشاء ، نزلوا بجماعتهم إلى حجرة المائدة فكان منظرًا عجباً ! اضطر صاحبة الدار إلى إرسالهم ثانية إلى غرفهم لمراجعة الرأى في ملابسهم ! نزلوا أصحابنا بجلايلهم ، واللبق منهم في بيجامة ، والتف كل منهم بفوطة أو بشكير ، ثم ساروا في قباقيبهم يرجون سلم البيت ...

وهذا الاعتقاد بقوة البيجامة ، وبجمالها ، وبغريبتها يجعل سلسلة المشا كل التي يقع فيها هؤلاء الوافدون إلى الغرب لاتنتهى .

فوضى الملابس في مصر ، مظهر من مظاهر الفوضى الاجتماعية ، فالصرى يلبس ما يروق له و يقتبس ما يجمل في عينه ، دون اعتبار للجماعة ، أو مراعاة تقاليد وطنية ؛ وإن كانت هذه التقاليد لاتوجد مع الأسف ، وإن وجدت فلا تجد الرأى العام الذي يراها ويحافظ عليها .

...

تركت القاهرة إلى الاسكندرية ، والمذكرات والعناوين مازالت تتراكم في جيبي ؛ وكنت أشعر وأنا في محطة القاهرة بأننى نصف بطل ؛ وكنت أنظر لهذا الجمع من أصدقائى بنيه وإعجاب . إذ كنت أعتقد أن من واجب كل معارفى توديعى على المحطة ، عادة شرقية ليس لها معنى .

أذكر ذلك ، بينما أنا أسير منفرداً على الرصيف عينه بعد ذلك اليوم بسنين ؛ لأنتظر أحداً يودعنى ، ولا أرجو ذلك من أحد . مع أننى ذاهب إلى الغرب من جنوبه إلى شماله ومن غربه إلى شرقه ؛ ولكن لم يعد الغرب يُرسب في نفسى الخوف والقلق ،



شعرت بأنتي نصف بطل

ولم يعد الغرب يستهويني كما كان من قبل ، ولم أعد  
أحلم وأتخيل كما كنت أتخيل .

ضاع السحر الذي كانت تخلقه الجدة، ويولده الخيال .  
ولم تبق إلا الحقائق الباردة .

...

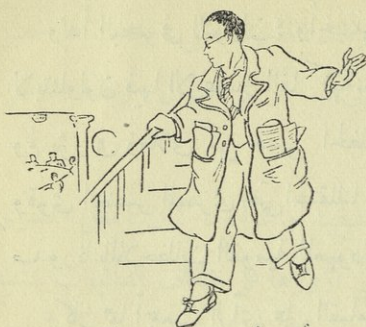
هذه الحجرات الضيقة في البواخر ، ليست مريحة ،  
ولا يلذ لي أن أقضي بها خمسة أيام كاملة - رحلتنا من  
الاسكندرية إلى مرسيلا - أربعة أسرة بعضها فوق  
بعض ، ترتقي إلى الأعلى منها بسلم .

أطلت برأسي من حجرتي ، ونثرت حقائبي وبضاعتي من علب وقراطيس وكتب  
وأوراق على أسرتها ، كأنتي صاحبها الأوحده .

سارت بنا الباخرة وكان زميلاي طبييين مصريين ، ممن رحلوا قبلي مرات عدة إلى  
أوربا . وكان ذلك من حسن الحظ، فقد أخذت دروسا عنهما ، بعضها كانت بالاكراة،  
وكثيراً ما اعتبرت هذه الدروس تدخلاً منهما في شئوني الخاصة .

لم تخرج الباخرة من الميناء حتى دق جرس الغذاء ، وأين الشبية للطعام والأكل  
ومن ذا الذي يضيع هذه الفرصة، منظر ترك الوطن ليملاً معدته بما لا يدري ؟

وحاولت الهرب ولكن تقابلت وجها لوجه مع الخادم الذي كان يبحث عني .  
وذهبت إلى الحجره ، كأنتي ذاهب الى امتحان شفهي ، يتطلب جراءة ويقظة . ذهبت  
بكامل عدتي بمعطفي وبجيبوي المنفوخة ، وبشعري المنكوش . نعم اذ كر ذلك وقد  
مضى على ذلك اليوم سبع سنين ، لأنني رأيت وجهي في المرآة العريضة التي كانت في  
الطريق الى حجره الطعام . رأيت نفسي كأنتي « قسيونجي » يخرج بوجه مغبر من  
قطار الصعيد ..



لأنني رأيت وجهي في المرآة . . .

لا . هذا لا يكون . يجب أن استعد لمسألة  
الطعام ، ويجب أن افكر فيها ، قبل أن ألتقي  
بنفسي . يجب أن استعرض ما قيل لي عن الطعام  
وعن آتيكيت الطعام .

ما اسم لحم الخنزير بالفرنسية ؟ ما لونه حتى  
لا أقع فيه ؛ ما الأطعمة التي يضاف إليها  
النبيذ ؛ السكين في اليد اليمنى والشوكة في اليد

اليسرى ؛ . . . بدأت افكر بجهد في مسألة الطعام بعد مسألة الملابس .

وهكذا خرجت متلصصا من حجرة الطعام لكي لا يشعر بي أحد ، فيقتنصني .  
ولم اكن المهارب الوحيد ؛ بل إنني وجدت من شاركني في العملية . . . ولنفس  
الأسباب أو لغيرها . . .

. . .

كان كل ما أخرجه من حقيقتي جديدا ، من قصص وأحذية وجوارب وربطات  
عنق ؛ واذكر الآن الابتسامة التي كانت تعلق وجه زميلي ؛ الابتسامة التي أرسلتها بدوري  
عند ما رأيت صاحبنا ذا الملابس المكسيكية .

وكان أحد رفيقَي الدكتور « ح » لا يترك فرصة لابتداء الملاحظة ، والرجاء ، حتى  
لا اكسفه بعمالة غير ظريفة في جلوس أو ملابس أو طعام ؛ وكانت هذه النصائح تأخذ  
في بعض الأحيان صيغة الأمر والوعيد .

وكنت أجلس بجانبه على المائدة ، وكانت تعليماته تصدر لي بالعربية بصوت واطيء ؛  
وحيثما كان يصدرها « بزغرة » من عينيه ، أو زققة من كوعه ، أو بابتسامة صفراء .

وبعد قليل كنت أسبق الجميع الى حجرة الطعام ، فشبيقتي كانت مفتوحة ، ولم يكن  
لدى من عمل أقوم به أو تفكير خاص يشغلني .

وبدأ البحر في الثوران ؛ وأخذ ضيوف المائدة في القلة وقد لازموا حجراتهم لا يتناولون فيها الا عصير الفاكهة، ولكن هذا البحر لم يؤثر في نفسى ولا في شهيتى ؛ ولم يؤثر في زملائى من حسن الحظ . فكنا زبائن حجرة الطعام إلى نهاية الرحلة ، وقوى العنصر المصرى حتى استقلنا بمائة خاصة ، تقهقه حولها ماشتنا ، ونفث عن صدورنا بالملاحظات القومية المعهودة !

وكان مما أجمعت الرأى على القيام به ، تدوين يوميات خاصة عن حياتى فى أوربا ؛ يوميات أشبه بيوميات ببى، واعترافات فيها روح جان جاك روسو . وكانت هذه المذكرات تستنفد منى وقتاً ليس بالقليل من كل يوم ؛ وسرت فى كتابة هذه المذكرات أياماً - نعم أياماً قليلة لا تتعدى اربعة أيام ! ووجدت المسألة ممضة تليينى عن المشاهدة الممتعة التى ليس من ورائها غاية أو غرض .

لست أدرى الآن أين هى تلك الأوراق التى دوتها فى الأسبوع الأول من رحلتى الأولى إلى أوربا ، ولا شك فى أنى إذا اكتشفتها يوماً - وأرجو أن يكون بعيداً - سوف أجد فيها متعة وطرافة ، لاسيا وان عين الغريب تلمح كل شىء ويستهوئها كل شىء . فلم أترك موجة صدمت الباخرة إلا ودوتها ، ولاقاربا اقترب منا إلا ووصفته ، ولا طعاماً أكلناه الا وذكرته . بل وكان الخيال مائجاً هائجاً ، فانتقلت من النثر إلى الشعر . وكنت أشعر وأنا أسير على ظهر الباخرة فى الليل كأننى كولبس يحسوه الرجاء والأمل، وكنت أحس وأنا أدمن النظر الى الماء والسماء، كأننى كوك أو ماجلان . وأين هذا الخيال اليوم ؛ وأين هذا الشعور اليوم ؛ وأين هذه اللذة التى أجدها فى التحديق إلى الماء وأنا فى البحر الأبيض أو الاسود أو فى المحيط أو فى البحر الشمال ؛ كانت تلك الروح روح فتوة وصبوة ، وكان ذلك الشعور شعور الطفل الذى يخرج من أركان بيته إلى الشارع المزدهم ، يخرج ليرى الحياة ... وهكذا كان شعورى إذ ذاك .



أما اليوم ، فقد أخذت تلك الشهوة تبرد وتلك الجذوة تنطفئ ، فعدت لأحس بفرق عما إذا كان هذا القطار سيصل بعد ساعة إلى فيينا أو إلى أسوان ، وهذه الباخرة تلتقي مراسيها في البندقية أو اسطنبول .

صارت صور الحياة متكررة جامدة لا تثير عجباً أو غرابة ، كأن العقل البشرى عاجز عن الخلق وعن الابتكار ؛ هذه القلعة التي أزورها على ضفاف الدانوب تشبه القلعة التي أزورها في رودس ، وهذا القصر الملكي في بوتسدام ، يشبه ذلك في شن برن ، وهذا المسرح في باريس يشبه ذلك في فيينا .

نعم ليس من جديد تحت الشمس ، للذي ضرب في الأرض لكي يرى الحياة !

...

وصلنا مرسيليا ، وجينا طرقاتها وجلسنا في مقاهيها وأكلنا في مطاعمها .



وسار بنا القطار إلى باريس

وسار بنا القطار إلى باريس مدينة النور ؛ وكان الجو بارداً ممطراً ، وفي الساعات القليلة التي قضيناها لم أجد صورة من الصور التي تخيلتها عن العاصمة الفاتنة . فتركتها يائساً ، راجياً ألا تخينني لندن كما خيبتني باريس .

وسار القطار من باريس إلى كاليه ؛ وكنت أدرس طبيعة الأرض ، وأنواع الأشجار ، ومناظر القرى ، وحياة الفلاح الفرنسي ؛ ولكن أخذت هذه الحمية للدراسة تبرد شيئاً فشيئاً .

...

أقلتنا الباخرة من كاليه إلى دوفر ، وكنت مشتاقاً لكي ألمس الأرض الانجليزية ، كنت مغتبطاً ، كنت فرحاً ، أريد أن أرى الانجليزي في بيته ، الأسد في عرينه ،

أريد أن أنفض عن نفسي ذلك الاجلال المصبوغ بخوف ورهبة لهذا الشعب  
السكسوني .

•••

ميناء دوفر بمصايحها الغازية وبأبتها الجرداء القاتمة ، وبالبوليس الانجليزى المارد ،  
كل هذا كان خير مقدمة لى نرى لندن .

نعم رأيت لندن فى ظلمة المساء ؛ فكانت رهيبة ، وتحت ستار كشيء من الضباب  
الاسود فكانت مفرعة

هذه لندن فى عين الغريب .  
ولكن هل هى كذلك ؟



نعم رأيت لندن فى ظلمة المساء فكانت رهيبة

## لندن التي أحبها

لقد طفت الشرق والغرب ، وقد زرت عشرات من المدن ، ولكنني لم أجد فيها جميعاً ذلك السحر ، وذلك السر ، وذلك الجمال الذي يحيط بلندن .

نيويورك مدينة عظيمة ، بملايينها وبناطحات السحاب فيها ، وبقبيلها المشرد . وباريس براقصاتها العارية ، وبحياتها البوهيمية وبمرحها الذي لا يهدأ ، مصيدة للفراش . والقاهرة تحمل في قلبها جلال الموتى . واسطنبول تفتح لك نافذة تطل منها على آسيا وعلى العالم القديم . وموسكو بصليباتها وبقبابها توقظ الروح الغافية .

ولكننا ندير الرأس بحسرة من هذه جميعاً ، إلى تلك المدينة ذات الملايين السبعة التي يغطيها الضباب ، ندير الرأس بحسرة إلى لندن الخفية مدينة الأسرار .

انه من العسير أن نجب من نعرف انساناً كان أم غير انسان . وهذا هو السر في أننا نزهد في المدن المخطوطة المنظمة . فهذه المدن الانجليزية تمثل حياتنا أبلغ تمثيل ، فلندن بمفاجأتها وبغرائبها تجذبنا اليها دائماً .

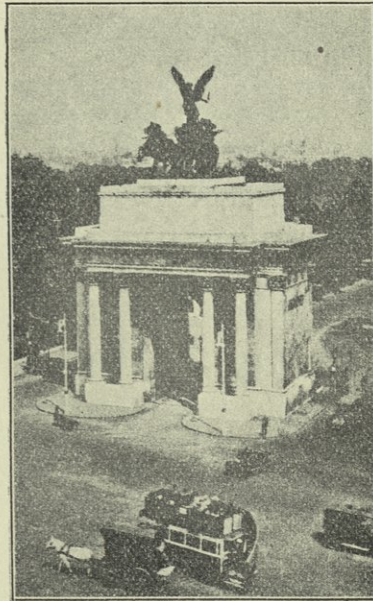
إنني أحب في لندن كل شيء . أحب كنائسها ، فالكنائس الجميلة تعظ بلا خطباء ولا وعاظ ، وليس يهم أن تكون هذه الكنائس فارغة في يوم الأحد . إنني أحب السكون الذي يفيض به دير وستمنستر إنني أحب السربتين في أيام الصيف ، وقد تكدست ضفاهه بالأطفال السابحين ؛ واحب ان أراه في ضوء القمر بمائه الأبيض الفضي .

أما الستى فأنها تثير الأعصاب في النهار ، ولكن اذا ماوقف فيها دولاب الأعمال  
فأنها تصبح مهجورة فارغة ... بديعة في الليل !

ان أولئك الذين يمتقون لندن ، هم الذين يعملون ويشغلون بلا انقطاع ، ولا يرون  
الاجدران الأربعة التي يعيشون بينها ؛ ولا يرون الا نوافذ المصانع المهشمة .  
لا بد وأن يكون هناك من يمتت شيئاً ما في هذه العاصمة العظيمة ، من يمتت بعض  
احياءها الوضيعة ، أو من يمتت بعض سخافاتهما أو دناستها ، ولكنها مع كل هذا  
مدينة عظيمة ، عظيمة جداً . . .

انه لسعيد من يعيش فيها ، سعيد من يكون منها ، من يكون حجراً من أحجار  
لندن الحية . .

استيقظ جبراهام



## لبني الاولى

جلسنا في شيء من الراحة والهدوء، في قطار الساعة السابعة الذي يبرح دوفر الى لندن . ثم طلبنا شيئا من الشاي ، الشاي الانجليزي بعد أن (ماعت) أنفسنا من شرب الشاي الخفيف الذي لاطعم له في فرنسا وعلى ظهر الباخرة .

لم يبق إلا ساعة وبضع ساعة على لندن ؛ بعد سفر اسبوع كامل على البحر والبر ، كنا كالحجاج لا يهدأ بنا مكان ، ولا نشعر براحة اذا ما قطعنا مرحلة من مراحل هذا السفر الطويل ، بل ان «مكتنا» التي كنا نقصدها كانت تجعل كل مكان نهبطه لامتعة فيه ولا راحة ، حتى باريس كانت في نظرنا محطة تغير فيها القطار ليس الا ، وليست مدينة النور كما يدعوها البعض .

بقي على القطار خمس دقائق ، وكنا نضحك بصوت عال ازعج جيراننا : وفي لحظة تذكرت حقايبى ودرت بعيني اعددها ، وجدتها جميعا الا علبتى الصفيح ، علبه البليح !

لقد كنت كالحجاج أحمل معي كل شيء ،  
أحمل معي هدايا الشرق الى الغرب ، أحمل معي  
بعض كنوز مصر الى إنجلترا ، أحمل شيئا من بلح  
اسوان ، اسوان العزيزة .



كنت كالحجاج أحمل معي كل شيء

ولقد كان صديق الدكتور ح . . لا يعجبه هذا  
الحمل من البلح ولا صندوق الكعك والغريبة ،  
وكان يرى انني عتيق في أفكارى ومحدث في  
تصوراتى ، لهذا أبتسم لضياح هذه العلبه التي  
كانت تلتزق كل شيء حولها ونحن في كابين المركب ،

وتجمع النمل ونحن على ظهر الماء ولسنا ندرى من أين كان ينحدر علينا .  
ولكن هذا البلح كان تذكارى من اسوان ، وكان التراث الوحيد الذى أحمله من  
أقصى الصعيد .

خرجت أبحث عن هذه العلبة فى كل أركان المحطة وكنت جزعا على فقدانها  
وكنت جزعا خوفا من فوات القطار . لم أجد لها أثراً وهكذا رجعت يائسا الى العربة .

...

كان البوليس الانجليزى اكثر ما اثار اعجابى ، وأكتر ما يشير اعجاب كل زائر إلى  
انجلترا ، أولئك المردة الضخام الطوال ، بملابسهم الزرقاء القاتمة ، بقلنسوتهم السوداء  
ذات التاج الذى يلمع فى قمتها ، هم صور أنغر من تلك التى كنت اتخيلها عن حرس  
بوتسدام حرس القيصريه الالمانية الزائلة ، أجسام كاملة النمو ممتلئة صحة ونشاطا ،  
يمثلون بحق عظمة الامبراطورية ، ويتناسبون بحق مع ضخامة لندن ، بأبنيتها الحجرية  
المفجرة من دخان الضباب والمصانع .

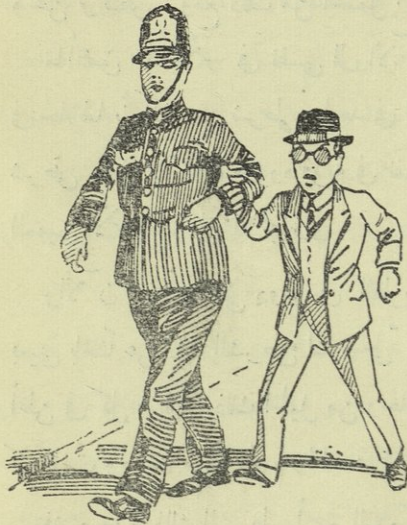
أين هذا البوليس الانجليزى من بوليسنا المصرى الهزيل أو التمدد البطن الذى لا تراه  
الامتعا ولا تراه الا نصف نائم ، والذى تلمح فى وجهه الكآبة والحزن العميق  
كأنه يحمل هماناء بأكتافه ،

وأين هذا البوليس الانجليزى من البوليس الذى رأيناه فى باريس ، البوليس القصير  
بشواربه المفتولة ، وبعبعته المنبطحة ، وبعباءته التى ترفرف على كتفه . لا يبنى على  
شئ من العظمة ، ولا يدل على انه يسيطر على شئ ، حتى ولا على العربات والسيارات  
التي تسير على غير اتجاه فى باريس . . .

من وراء نوافذ العربة وجدت أحد هذه الوجوه ذات القلنسوة السوداء التى تحمل  
التاج على قمتها يعمن النظر ، وينقر الزجاج بأصبعه لكي أفتحها .  
« انك بلا شك قد فقدت شيئا ، أنك بلا شك كنت تبحث عن متاع ضاع منك

لم تجده . ماهذا الذى تبحث عنه ، وأين تظن انك قد تركته ؟ لقد كنت أراقبك وأنت تهرول وتبحث فى حجرة الجمرى وعلى الرصيف ، لقد كنت أسير معك بعينى وكنت أبحث وراءك ....

لقد نسيت أمر علبه البلح ، ولم أكن أظن أن هنالك من يعنى بشئنى الخاصة ، ولم أكن أظن أن هنالك عيوننا ترقبنى وتتبعنى النظر . .



وهو ممسك بذراعى يذرع الرصيف ...

لقد كان خيرا لى أن أفقد هذه العلبه ، من أن يتداخل فى أمرى هذا البوليس الضخم الذى كان يثير فى نفسى كل رهبة ولا أقول كل احترام - غرست فى نفسى فى مصر منذ عهد المظاهرات والمدافع الرشاشة - لقد حاولت أن اتبرأ من ضياع هذه العلبه ، ولكن هذا الشرطى لم يترك لى مجالا للتفكير أو المناقشة بل اننى تبعته ، وهو ممسك بذراعى يذرع الرصيف بخطواته المديدة التى لم أتابعها الا بالركض .

بحثنا من جديد عن العلبه المفقودة فى أركان المحطة ، ثم خطر له أنى ربما فقدتها فى الباخرة التى أقلتنا من كاليه الى دوفر ؛ ومع تأكيدى له بأننى قد حملتها معى الى المحطة الا أنه لم يقتنع ، بل تركنى وركض الى الميناء ، وأنا أنتظره على السلم وقد تصبب منى العرق من الركض والجري ، ومن خوفى من فوات القطار ، وأخذت أسب البلح وفسكرة البلح السخيفة .

عاد الرجل يحمل العلبه تحت ابطه ، العلبه التى أكدت له أنى حملتها معى إلى

المحطة ، لم يكلمنى ولم يناقشنى على تشبئى وخطئى ، بل قبض على ذراعى من جديد وأخذ يجرنى وراه إلى القطار الذى أخذ يصفر وبدأ يتحرك .

دفعنى إلى العربة ، ووضع العلبة بين ذراعى ، وانحنى الىّ وابتسم ابتسامة خفيفة لاتكاد تلمحها فى ظلمة العسق ؛ لست أذكر الآن هل شكرته على ذلك ، أو كيف شكرته ، ولكن الحقيقة انى كنت أصوغ جملة الشكر وأرتب ألفاظها وأصححها ونحن نركض ، ومع ذلك فمن المحتمل انى لم أقل شيئاً ولم أجابه الا بهزة الرأس ... ما أعمق هذا الأثر فى نفسى الى الآن ، وقد مضت سبع سنين ، احتككت فى خلالها بأكثر من شرطى واحد فى لندن وفى غير لندن ، ولكن ذلك الشرطى ، شرطى دوفر لا تزال له صورته قوية فى نفسى ، صورة تدل على مبلغ احترامى واعجابى العميق الأثر بالشرطى الانجليزى .

والآن كلما أمر على دوفر فى الطريق الى مصر أو فى الطريق الى لندن ، أدور بعينى باحثاً عن ذلك الشرطى المارد علىّ اكتشفه ولعلى أشكره . ومع ذلك فكنت أظن فى كل مرة أن ذلك الجيل من رجال الشرطة قد انقرض ، ولم تعد قامتهم باسقة كما كانت ولم تعد ضحاقتهم واضحة كما رأيتها تلك الليلة .

فى صورة ذلك الشرطى أجمع اليوم كل ما أحمله للشرطى الانجليزى من احترام واجلال ..

شرطى محطة دوفر .....

...

أخذت نافذة القطار تبتل بماء المطر أو الندى أو الرطوبة ، وأخذت تسود شيئاً فشيئاً ، فلم نعد نرى شيئاً من الطريق الذى كان يسير فيه القطار من دوفر الى لندن ، وكانت أنوار المحطات والقرى التى مررنا بها تظهر وتختفى فى ظلام تلك الليلة كأنها أنوار المشاعل أو الفتائل .



وصلنا محطة فكتوريا ، محطة لندن العظيمة ذات عشرات الأرصفة ، والتي اكتشفت بعد ذلك أمها ليست المحطة الوحيدة في لندن ، فليس في لندن « باب حديد » واحد بل كثير منها كل منها يختص بطرف من أطراف الجزيرة البريطانية : إلى أين نذهب هذا المساء ؟ بالطبع لم يكن السؤال عن دور الملاهي والمسارح بل عن الفنادق والبنسيونات . قال ثالثنا الدكتور . . . زرت لندن منذ أربع سنوات وقضيت فيها ثلاثة أشهر ، لقد كنت أسكن في منطقة كذا ، لست أدري بالضبط أين هي ولا المنزل الذي كنت أسكنه مع أقرابى . فلم تكن ملاحظته ذات فائدة : أودعنا حقائبنا الكبيرة في حجرة الأمانات ( ويدخل في ذلك علبة البلح بالطبع ) وخرجنا يحمل كل منا حقيبة من حقائب الكتب بها المعدات الضرورية للنوم .

وكان الدكتور . . . يقودنا ، فاقترح أن نتناول شيئاً قليلاً من الطعام ، لاسيما وانه يعرف مطعماً قريباً كان يتردد عليه منذ سنين مضت وهو لا يبعد كثيراً عن دار المحطة . وهكذا ذهبنا بحقائبنا إلى مطعم هناك ، ولست أدري هل هو الذي كان يقصده الدكتور أم آخر يشابهه . الا أنه أكد لنا أنه هو ، فتخبر لنا الأظعمة التي توافق مزاجنا ، الأظعمة التي جربها من قبل فأكلنا والسلام . وأثناء تجهيز الطعام كانت ملاحظاته تتوالى ولا أنسى محاضراته القيمة عن الجردل الانجليزى وطرق استعماله . والدكتور . . . من الناس الذين يقدرون حق الصداقة والمعرفة والعشرة ، وهذه الطبيعة تتجلى فيه بمظاهر قد تعد في بعض الأحيان غريبة نائية . فهو يحب دائماً أن يتردد على الأماكن التي خبرها من قبل ، وكلما كان يتردد على مكان كان يعرف فيه ويصادق فيه أحداً . كان الدكتور . . . يسكن بعد ذلك في طرف لندن الشمالى في مكان يستعمل للوصول اليه أكثر من وسيلة واحدة من وسائل النقل ، ومع ذلك فكان يقص شعره في أقصى الجنوب ، في مكان يدفع في سبيله أكثر من شلن واحد للوصول اليه . وذلك لأنه عرف صاحب « الصالون » ولأن صاحب الصالون عرفه

وعرف مزاجه في قص الشعر !! .

كان ظلام لندن مقبضاً عند ما خرجنا وعند ما بدأنا نفكر من جديد في مسألة المبيت . وكنت أعرف أن في لندن نادياً للمصريين فاقترحت أن نذهب إليه إذ ربما نجد فيه مكاناً لضيافة الغرباء ، ولكننا لم نكن نعرف مكانه ، والسؤال عن مكان نادٍ يجتمع فيه بضع عشرات من المصريين في هذه العاصمة لا يجدي ولا ينفع واقترح أحدنا أن نبحث عن ذلك في دليل التلفون ، فكان ذلك وكان ان اكتشفنا موضعه .

...

سألنا أحد رجال البوليس فدلنا على الامنوبيس الذي يسير إلى بيكر استريت الشارع الذي فيه ولا يزال النادي الملكي المصرى ، وكان حسناً أننا لم نضطر الى تغيير فالأمنيوس يسير من محطة فكتوريا رأساً الى هذا الشارع ويقف أمام النادي المصرى بدأ الليل يتقدم حينئذ ، لهذا لم نر كثيراً من لندن في رحلتنا هذه من فكتوريا إلى بيكر استريت ، لم نر كثيراً لأن لندن تقفل متاجرها في ساعة مبكرة ، ولأن الظلام كان دامساً مغبراً .

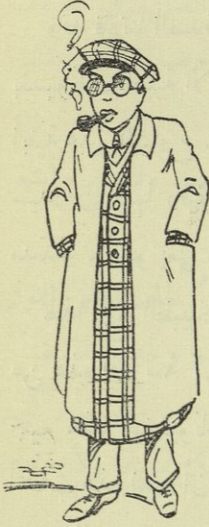
لم نجد داراً للضيافة في النادي المصرى ، وكان اقتراحاً سخيفاً منى أن ننام ولو على مقاعد النادي الجلدية الوثيرة ، خيراً من الجولان في هذا الليل المغمى في لندن ولا ندري أين نبحت .

لم نجد من المصريين في النادي ليلئذ ، غير اثنين أظنهما كانا من زائرى لندن اذ ذاك . ومع ذلك فقد دلنا أحدهم على منطقة تكثرت فيها الفنادق والبنسيونات لا سيما للطلبة الأغرأب . ولست أدري هل يشكر صاحبنا على نصيحة هذه أم لا ، لأنها نصيحته قد كلفتنا شيئاً ليس بالقليل .



وكان اقتراحاً سخيفاً منى أن ننام ولو...

خرجنا نحمل حقائبنا . وخرجت أحمل فوق ذلك معطفين على كتفي لأن البرد بدأ يقسو إذ كنا في الأسبوع الأول من أكتوبر . ومع اعتراض الدكتور ح . علي عن سيرى بمعطفين إلا أنني أصرت على ذلك ، ولم أشعر بغرابة منظرى إلا في الصباح عند ما ذهبنا الى مكتب البعثة .



كان أحد هذين المعطفين من الصوف البني وكان في تفصيله أقرب شيها بالمعطف البلدية ، وكان الآخر من معاطف المطر الصفراء ، وكان قصيرا بعض القصر عن زميله . فكنت أسير بهذين المعطفين كأننى ألبس جبة وعباءة ، ولم أكن أرى في ذلك ضيرا في بادي الأمر ، ولكن مودتى هذه لم تدم إلا ليلة واحدة ، ليلتى الأولى في لندن .

...

عند ما خرجنا نبحث عن منطقة الفنادق ، كان الظلام أكثر قتاما ، ولم يكن قائما فحسب بل كان مغبرا ، وكنت ترى هذا الاغبرار حول أنوار الشارع التى كانت تظهر فكنت أسير بهذين المعطفين كأننى ألبس جبة وعباءة باهتة صفراء .

وكانت الرائحة مقبضة ، أخذت تشتد وتشتد حتى كدت أختنق ، لقد ذكرتنى برائحة الأفران والطوايين فى القرى ، حيث تحمى بالخشب الناشف والبوص وأقراص الجلة ! وقد ظننت فى باى الأمر أن هنالك حريقاً فى مكان ما ! وكان ذلك أول عهدى بالضباب ، بضباب لندن الاسود الذى ينتشر كأنه دخان الأفران والطوايين بسواده وبرائحته المقبضة والمثيرة للعطاس .

ليلتى الأولى فى لندن ، كانت ليلة من ليالى أكتوبر ، الشهر الذى يشتهر بضبابه ويضرب المثل بشدته وسواده . وكانت الليلة تجربة غريبة لى ، تجربة لا أنساها ،

بل أذكرها كلما حل ١ أكتوبر أو نوفمبر علي لندن وكلما اطلخهم ضبابه ! ..  
وصلنا المنطقة التي نبحت عنها وترجلنا من عربة الامنيوس ، وأخذنا ندرس جانبي  
الطريق داراً داراً علناً نعر على مكان نقضى فيه الليل . وفي بادئ الأمر قررنا أن  
يكون ذلك المكان بنسيونا لافندقا لغلو أسعار هذه الأخيرة .

وقد قادتنا الصدفة العمياء إلى جاواستريت ، شارع جميع مساكنه بلا استثناء  
بنسيونات للطلبة الأجانب ، لأنه يقع خلف كلية لندن الجامعة ، وفيما نحن نحملق في  
أبنية هذا الشارع ، قرأ أحدنا اسم « مدرسة طب المناطق الحارة » المدرسة التي  
سيدرس فيها رفيقاي ، لهذا عدت الاخوان توفيقاً ، وأخذ الدكتورح .. يعني  
مدننا ، وهو يعني دائماً كلما يجد خيراً .

لهذا أجمع الطبيبان أن يبيتا في احد بيوت هذا الشارع ، فلا يضطرا للبحث  
عن هذه المدرسة من جديد في الصباح : وأخذنا نطرق الأبواب باباً باباً ، وكانت  
جميع هذه البنسيونات مشغولة ، ليس بها مكان خال لنا جميعاً ، وقد عرض بعض  
أصحاب هذه الدور أن يبيت بعضنا على المقعد ، لم يكن ذلك ضيافة بل بدفع خمس شلنات .  
سرنا من شارع إلى شارع ، وأخذ الضباب يشتد وكنا نسير صفاً واحداً ،  
يتقدمنا الدكتورح .. الذي أبدل الغناء بالصغير فكان دليلنا .



وكنا نسير صفاً واحداً ، يتقدمنا الدكتورح ..

وأخذ الليل يتقدم فمرت الساعة الثانية عشرة، والواحدة والثانية ونحن نبحث ،  
ثم دخلنا في حدود الساعة الثالثة صباحاً وقد بلغ منا الإعياء والتعب وأخذت أذرعنا  
تثقل بحمل الحقائق .

•••

ما ألد النوم بعد البحث وبعد التعب والسهرة ؛ ما ألد أن تترك الضرب في الطرقات  
تحت الضباب ، لنجلس في حجرة مغلقة الأبواب ولو بدفع - كما دفعنا - عشر شلنات  
لأجل هذه الساعات الباقية من الليل .

كانت الحجرة باردة في هذه الساعة المتأخرة ، وكانت فيها مدفأة ولكن لم أشعر  
بوجودها ، ولم أكن أعرف كيف أوقد غازها .

خلعت ملابسى ، وكان على السرير الذى أظنه أنه كان فاخراً لحاف زاهى اللون  
لعله من الحرير ، وكان سميكاً . ولكننى عند ما خبرته عند النوم وجدته خفيفاً ،  
خفيفاً جداً ، محشياً بالريش أو القطن المنفوش . لففت نفسى به ، وثبتت ركبتى  
لأنه كان قصيراً ، إلا اننى لم أتم لأن النوم على هذه الصورة لم يكن مريحاً ولأن هذا  
الحفاف الحريري الريشى لم يكن يدفئنى .

ولم يكن هنالك بد من أن أقوم وألبس جواربى ، ولم يكن هنالك من بد بعد  
ذلك من أن أقوم ثانية لألبس معطى وغير معطى حتى استعملت نصف ملابسى التى  
خلعتها قبل ذلك .

وهكذا نمت نوماً متقطعاً ، أستيقظ كلما تخرج قدمى من حيز المعطف ، أو كلما ينكشف

صدرى ..

وفى الساعة السادسة أو السابعة ، ولم يكن ذلك الصباح مشرقاً مشمساً ، نقر  
الدكتور ح . . الباب ودخل لىكى يسألنى شيئاً أو يقص علي أمراً ، فوجدنى أسب  
وأعلن هذا البرود الانجليزى فى طريقة النوم . .

ولكن الدكتور ح ٠٠ لم يوافقني على ملاحظتي ، ولم أوافق نفسي على هذه  
الملاحظة ، لأنني اكتشفت أنني كنت نائماً فوق ثلاث بطانيات من الصوف  
السميك قد غطيت بملاءة السرير البيضاء ٠٠٠

وفي الساعة السادسة أو السابعة صباحاً بدأت ليلتي الأولى في لندن من جديد . .



## لندن الجامدة

لندن في نظر الزائر الأجنبي ، مدينة لانهاية لها ، مدينة لا مركز لها . ومدينة بلا مركز ، من العسير على الغريب فيها أن يكشف حقيقتها .

وقد يتخير الغريب — إذا كان لبقاً — ميدان ترافلجار مركزاً تبدأ منه جولاته ورحلاته ، ولكن ميدان بيكادلي وهايبارك لا يقران مثل هذا الاختيار ، لأن لندن مدينة بلا قلب واحد تتدفق منه الحياة إلى شرايينها العديدة !

لا يعيش أهل لندن في لندن ، بل تحملهم عرباب الامنيوس والترام بعيداً عنها ، تحملهم بالآلاف من « الستى » حى البنوك حيث يعملون ، ومن « الوست اند » حيث يقضون السهرة . يمرون بالزائر الأجنبي بوجوه جامدة لا تخبر عن مههم وأعمالهم ، ولا عن ميولهم ونواياهم . ينظر إليهم الأجنبي بعجب ، كما ينظر إلى التماثيل ، التي لا تنطوي تحتها فكرة ، والتي ليست بذات قيمة فنية .

قد يجد الزائر لندن ملأى بالمتاحف ، ولكنه لا يجد فيها ما يستحق الفرجة بعد موكب عمدة لندن . ولا تستهويه ابنية لندن الغبراء حتى تربطه الحياة بها ، تربطه بها حياة العمل والعاطفة .

لا يعرف الأجنبي شيئاً عن الانجيزى إذا تفرس في وجهه لأنه يخفى نفسيته ، كأنه أبو الهول امام معبد له تقاليد الخفية .

ولندن كأهلها ، لها هذا التأثير ، فكما انها مدينة لانهاية لها ، فهي كذلك مدينة خفية . والغريب عنها لا يعرف عن حياتها الاجتماعية ، إلا ان آلافا من أهلها مصابون بعسر الهضم من جراء الغذاء الذي يتناولونه بسرعة هائلة ، واللحم الذى يطهونه بطريقة غريبة ، والخضر التى يأكلونها بلا طعم ، هذا هو طعام أهلها الذى تقدمه خادمت عصبيات منهوكات القوى، فى أركان أرضية مظلمة !

ليس فى لندن مقاهى تفيض حياة ، فكل ماتراه فى شوارعها يدل على فعل الحياة الآلية ، وعلى العمل المعقد الذى لا ينتهى ... حتى أن الغريب ليفكر كيف يعيش فى مكان مثل هذا لا يعرف الهدوء ..

...

ولكن إذا ما اكتشف الأجنبي ركنا هادئاً ينزوى اليه - حجرة مفروشة فى منزل - فانه سرعان ما ينسى انه غريب ، وسرعان ما يلفه دولاب العمل اليومي . وسرعان ما يعرف الكثير من الأصدقاء الذين يزورهم ، لأن الانجليزى اذا ما فتح قلبه فتح بيته ..

قد يصارحك الفرنسى بأسرار حياته الخاصة بعد معرفة نصف ساعة ، ولكنه لا يفكر فى أن يدعوك إلى داره

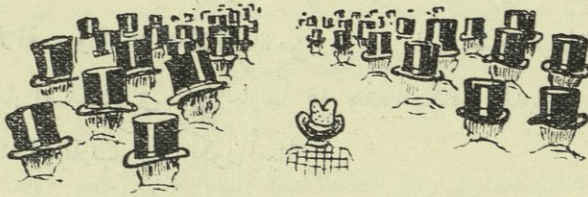
هناك كثير من الفرنسيين فى بعض البلاد الصغيرة ، ممن يجتمعون مرتين كل يوم ، مدة ثلاثين سنة فى المقهى الذى اعتادوا التخلف اليه ، ومع ذلك فقد لا يعرف الواحد منهم زوجة رفيقه ..

أما هنا فى إنجلترا فقد تدعى إلى الغذاء ، ولو كنت فى مركز لا يمكنك من رد هذه الدعوة ، وسرعان ما تتبع هذه الدعوة أخرى لقضاء اجازة السبت والأحد . وتجلس بين مدعويك بلا كلفة ، وتتناول الطعام العادى الذى يتناولونه دون استعداد خاص



يعتقد الانجليزى بامتيازہ ورقى نوعه ، لهذا فهو يجلس مع أى جماعة من أى جنس  
ببساطة وذوق، لشعوره المطلق بكاله وامتيازہ ....

ع . ج . ٠ رنمبر



## مسلة كليوباترة

على ضفة التيمز ، وفي الطريق الواطى الذى ينحدر من اشيرنج كروس ، ترتفع مسلة كليوباترة ، يحيط بها تماثلان من تماثيل أبى الهول الحديثة الصنع .  
وتحت قاعدة هذه المسلة وضعت بلدية لندن فى عام ١٨٧٨ - وهى السنة التى اقيمت فيها المسلة فى هذا المكان - جرارا من الخزف احكم قفلها ، أشبه بالجرار التى خلفها قدماء المصريين . وتحتوى على كل ما يتمثل فيه ذلك العصر الفكتورى من ازياء ووسائل للمعيشة حتى اذا قدر لهذه المسلة أن تنتقل من مكانها إلى حيث ترمى بها يد القدر ؛ فان الجيل القادم ، سوف يخرج هذا الكنز التاريخى الى أحد المتاحف .  
ففى هذه الجرار وضعت سترة كاملة من ملابس الرجال ، وملابس مختلفة للازياء النسوية ، وصحف مصورة ، وسجائر ، ومجموعة صور لأجل السيدات فى ذلك العهد ، وموسى للحلاقة ، ومجموعة كاملة للعملة من ربع بنس الى خمسة جنيهاً .  
وهكذا صار أقدم أثر فى لندن حارساً على هذه الكنوز الحديثة ، حارس عركه الزمن ، وعلمته التجارب كيف يكون أميناً .

...

مياه التيمز مرتفعة فائضة ، تصطدم الأمواج باحجار الشاطىء الصماء ، بينما تسير البواخر النهريه تدافع التيار ، بما تحمله من أخشاب وفحم ؛ منظر قبيح ممل .  
كان ولدان يركبان ظهر أبى الهول . يلعبان . وكان السأرون من رجال ونساء

يقفون ، وينظرون بعجب الى النقوش الميروغليفية التي قد جعلتها الشمس الغاربة  
واضحة جلية ؛ وبعض هؤلاء كان يدور حول قاعدة التمثال وينظر فاغر الفم ، يفكر  
في معنى هذه الطلاسم ؛ ويشعر بأن وراء هذا التمثال المجرى ، سرا وقصة ..  
نعم . ان وراء هذا التمثال ؛ قصة يالها من قصة !

...

اربع وثلاثون قرنا مضت ...

لم تكن لندن اذ ذاك ؛ غير بعض المممج يصطادون في مستنقعات التيمز .  
ايننا لم تولد بعد ،  
ودومة كانت مجهولة .

ولكن مصر وحدها ؛ كانت تحمل راية الحضارة ، كانت وحدها تجاهد في سبيل  
خلق أعرق حضارة عرفت على الأرض . وفي ذلك العهد السحيق ، وعلى ضفاف  
النيل ، كان هنالك كهنة ، وكان هنالك فلاسفة ، وكان هنالك فناون . وفي طيبة  
وفي قصر فاخر ، كان يجلس أعظم رجل في العالم في ذلك العهد ، كان يجلس طوطميس  
الثالث ، ملك الوجهين ، ومانح الحياة والموت .

لعل طوطميس كان على مائدة العشاء ذات ليلة ، حينما فكر أن يخذ عظمته في  
عين الزمن ، حينما أمر أن تقام مسلتان على باب معبد عين شمس . وما أسرع ان بعثت  
الرسل إلى اسوان ، حيث محاجر الجرانيت الحمراء .

...

وها هو المهندس المعماري يرسم تخطيطا لمسلة كيبو باترة على الحجر . وها هي مئات  
من الظهور العارية قد انحنت على الصخر تحفره شهراً بعد شهر ، بأبسط وسائل  
الحفر ، تقطع الصخر بالصخر .

وفي حرارة الشمس المحرقة ، كان السوط يجد طريقه إلى هذه الظهور العارية التي

بللها العرق ، ويقرقع كأنه أسنة الحيات .

وبعد عام كانت المسلة في طريقها من الحجر إلى المعبد ، وقد نقش عليها اسم صاحبها ، ثم نصبت مرفوعة الرأس أمام معبد الشمس في هيلو بوليس ، وعلى قمتها طبقة من الاكتروم تلمع في ضوء الشمس ، حتى اذا ما نظر الضارب في الصحراء إلى مدينة اون فانه كان يرى عمودا ملتهب الرأس .

وفي وسط زوبعة من الرمل ، تسير الجياد البيضاء تنهب الأرض وعلى رأسها يرفرف ريش النعام ؛ وعلى جانبي الطريق تقف صفوف الجنود ، وحملة المراوح ، وفي وسط الكهنة الراكعين ، يقف فرعون ينظر إلى مسلته ؛

« لابأس بها . . ان الآلهة قد رضيت الآن » هكذا ربما قال .

...

دارت طاحونة الزمن

كان موسى يرى هذه المسلة كل يوم في طريقه إلى هيلوبوليس . وكانت ضفادع الطواعين تثب على قاعدتها .

مائة سنة مرت ؛ وجاء رمسيس الأكبر ونقش اسمه عليها . ألف سنة أخرى ، وجاءت كليوباترة ونقلتها معها إلى الاسكندرية ، تسجل قصة أربع امبراطوريات ارتفعت وانحطت .

وبعد ألفين من السنين ؛ ظهر شعب جديد على الأرض . وهكذا حملت هذه المسلة إلى حيث الملك والقوة وهكذا اقتلعت من رمال الصحراء ، ووضعت على ظهر المحيط ، مغللة مقيدة ؛ لكي تنصب من جديد في إنجلترا .

وما أبعد الفرق بين هذه الرحلة على مياه المحيط الصاخبة المزبدة وفي جوه البارد القاتم ، ورحلتها الأولى منذ نيف وثلاثين قرناً من أسوان إلى عين شمس ، تحوطها العيون وتدفعها الأذرع العارية في ضوء شمس مصر الباهرة ، وعلى ظهر النيل المقدس . هنا ، منذ خمسين سنة مضت ، غرست هذه المسلة من جديد على ضفاف نهر بارد قاتم .. ، ونقش عليها بيد مجهولة وبلغة حديثة فنية ، قصة حياتها في أربعة أسطر .

...

وعلى ضفاف التيمز تقف مسلة كليوباترة مرتفعة الرأس ، تنتظر حكم الأقدار . وفي ليلة أرسل رع فيها غضبه ، وست سخطها من الفضاء المظلم القاتم على رأس هذه المسلة ، فتفتت بعض هذا الكساء الجرانيتي وسقط ..

وعلى رأسها ، وفي الضوء الكشاف ، كنت ترى سمكة فضية تذرع الفضاء ، وتطن كطنين النحلة ، وتفقس أيضاً مهلكاً ترسله على الأرض ، فتخربها .  
يا لها من تجربة لم تعرفها مصر القديمة

...

هكذا تقف اليوم مسلة كليوباترة حزينة بأسة - أتعس تمثال في لندن إنها تنتحر .

فذلك الجرانيت الأحمر ، قد استحال أسود كالفتح ، وأخذ البرد والمطر يبرى جمالها يوماً بعد يوم خلال هذه السنين .

نعم هذه السنين الخمسين قد عملت فيها ما لم تعمله الثلاثون قرناً التي مرت عليها وهي على ضفاف النيل .

...

وفي حلقة المساء ،  
 وتحت مياه المطر ،  
 وخلف ستار الضباب ،  
 تقف مسلة كليوباترة وحيدة ،  
 كأنها اصبع أسود مرفوع إلى السماء .  
 ينذر ولا يبشر ..



## معرض مدام توسود

لست أدري على أى أساس تقوم الشهرة ، وعلى اية قاعدة توزع . فالتاريخ يخذ أسماء كان أصحابها مصاب الانسانية ، ومع ذلك فاسماؤهم تفرع آذان الأجيال ، ويردها الانسان فى كل عصر مع انهم قد عاشوا أعداء لهذا الانسان .

أتقوم الشهرة على المال والثروة ؟ أتقوم على العز والسلطان ؟ أتقوم على العلم والحكمة ؟ أتقوم على البراعة والتفنن ؟ أتقوم على الدين والتقوى ؟ أتقوم على البطولة والفروسة ؟

قد تقوم الشهرة على بعض ذلك ، كما تقوم على اضدادها ، وكما تقوم على أتفه من كل هذا .

من هو ابو زيد الهلالي ؟ لا بل ومن هو جحا ؟ شخصيات خيالية لأصل لها ولا حقيقة . ومع ان أبازيد فارس خيالى الا انه اشهر من كثير من الفرسان الذين عاشوا فعلا ، وحملوا السيف حقيقة . ومع ان جحا ؟ شخصيته مبتكرة ، إلا أن اسمه قد عاش على ممر العصور ، مع أن خالقه ومبتكر أقصاصيه لا نكاد نسمع باسمه ، ولا نكاد نعرف عنه شيئا .

ولو كان حب الانسانية مقياس الشهرة ، لما تخذ اسم شارلس بيس فى انجلترا باجرامه ، وما تخذ اسم راسبوتين بنفسوقه

فالأجرام يخذ اسم صاحبه ، كما يخذ حب الانسانية والعلم والحكمة والبطولة .

والحب والغرام أساس آخر تقوم عليه الشهرة . والجنون بالحب لا يقره مجتمع ،  
ومع ذلك يخلد اسم هؤلاء العاشقين ، ويخلدون معهم أسماء من أحبوا ومن عشقوا .  
وترتل لهم الأغاني والانشيد ، التي يتناقلها شباب كل جيل ، يحفظونها كآيات قد  
قدسها الغرام والحب .

والشهرة في عالم المرأة يقوم الجانب الأكبر فيها على شهرة الحب والجنون بالحب .  
فكليوباترة لم يبق من ذكرها الا انها التي فتنت والتي أحببت ، لالتي حكمت والتي  
ملكته اللهم الا على القلوب والنفوس .

...

تتواتر على خاطري مثل هذه الافكار كلما أزور معرض مدام توسود ، وكلما  
أمر على بابه .

معرض مدام توسود ، عالم من الشمع .





يمثل لك في مثل هذا المعرض شخصيات العالم البارزة مصورة في تماثيل من الشمع تكاد تحاكي الحقيقة. هذه هي الشخصيات التي تفرغ أذان العالم، هذه هي الشخصيات التي كتب لها الخلود، كتب لها أن تعيش وإن طويت تحت الثرى، وإن لاقى في حياتها بؤسا ونصبا، ولم يرحب بها المجتمع في الحياة، إلا أنها وقد أمست في ذمة التاريخ، وصارت أسماء أصحابها ذكرى، فإنها تتنفس الحياة من جديد، حياة الشهرة وحياة الخلود.

وما الفرق بين انسان من لحم ودم، وانسان من شمع ودهان؟ اذا كان كل منهما جامدا في مكانه، جامدا في تفكيره، جامدا في احساسه لا يثار ولا يستثير! وما أكثر هؤلاء الذين يعيشون معنا، ويقضون فترة الحياة بسنينها المعدودة كما نقضيها، وهم ليسوا أقل جموداً من هذه التماثيل الشمعية!

وهكذا كثيراً ما تخطيء العين الفرق بين الانسان وغير الانسان...

وهكذا تخطيء اذا ما مررت في معرض مدام توسود وحاولت أن تبصرك تلك الفتاة الانيقة برجراما للمعرض فتبسم لك وتبسم لها، وتظن انك ملكت ناصية الحياة. فاذا بهذا الوجه الباسم، الذي ملأ قلبك عاطفة حارة، اذا بهذا الوجه تمثال من الشمع، لا يخفى وراءه قلبا يتدفق فيه الدم، بل عوارض من الخشب ومسامير من الحديد! ألسنا نعيش في عالم من الخيال والتصور؟

...

إذا ما مررت على هذه الفتاة الأنيقة، وعرفت كيف ان العين تخطيء وان سهام الغرام قد ترسلها عيون من الشمع المصبوغ، اذا ما اكتشفت ذلك فانك تسير حذرا اذا ما مررت على انسان صامت لا يتكلم.

ولا تكاد تتخطى القاعة الكبرى، حتى تمر على رجل من رجال البوليس، واقف لا يتحرك ولا يتململ من وقفته، ولكنك تبسم له، ابتسامة العارف بيوطن

الأمر ، فان فتنتك تلك الفتاة بعيونها المكحولة ، فان يهزأ بك هذا الشرطي  
الجامد . فتبسم له . فيبتدىء هذا الشرطي في الحركة والحياة ، ويرد لك ابتسامتك  
ساخرا ، وهكذا تخطيء ثانية وتخدعك عينك ، اذ لم يكن ذلك الشرطي تمثالا من الشمع  
والاصباغ ، بل هو انسان حى .

السنا نعيش في عالم من الخيال والتصور ؟

...

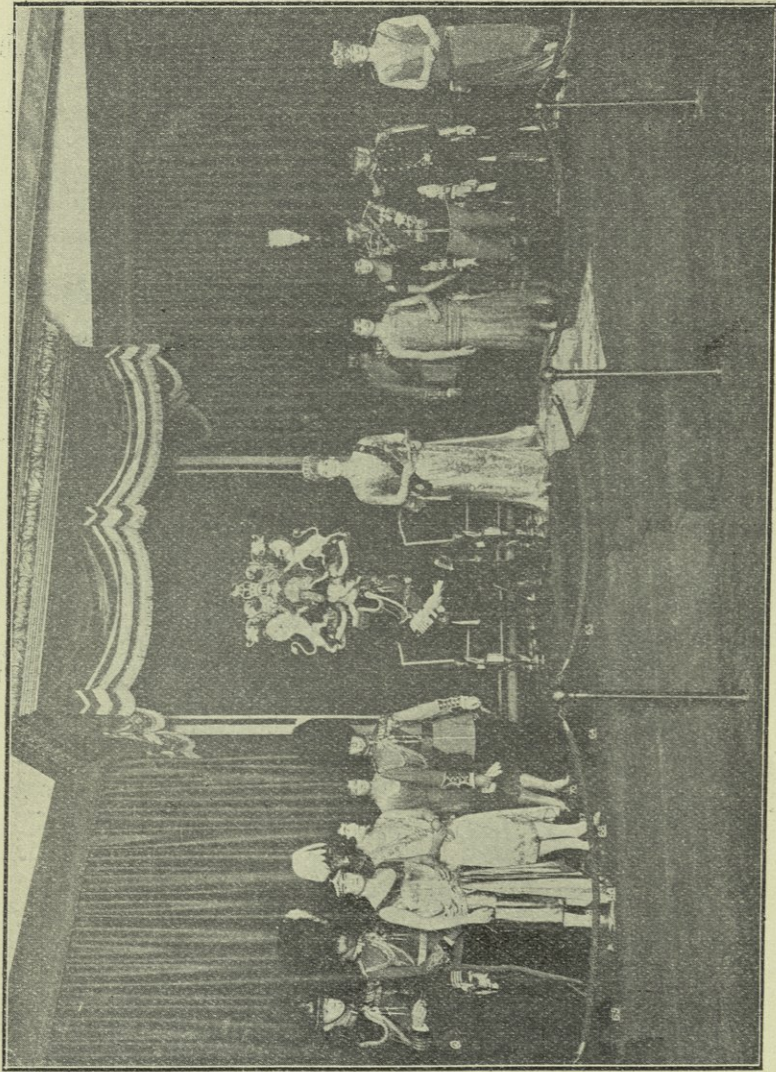
فاذا ما دخلت القاعة الكبرى ، أخذت الألوان الزاهية وبريق التيجان ولمعان  
الأوسمة والسيوف المغمدة والمسولة تخطف البصر .

وفي وسط المكان ، تقف العائلة المالكة الانجليزية ، يتوسطها المكان أمام عرشيهما  
يحملان التاج ويلبسان مسوح الملك . خير لك أن تسمع بها ولا تراها ، ألوان  
فاقعة زاهية ، وبريق الذهب ، ولمعان أحجار الماس ، لا يبهز الا العين الفطرية  
البربرية ، فاذا ما طبقت العين أجفانها ، تلاشت هذه العظمة ، عظمة مبنية على الألوان  
والاصباغ وانعكاس الضوء وانكساره ، عظمة لا ترسب إلا في قلب المرأة !

ألا تراها تقترب من الملكة وتمعن في لباسها الحريري ، وتدمن النظر الى عقد الماس  
(المزيف) الذى يتدلى على صدرها . ألا تراها تنظر بذهول الى التاج ، تلك النظرة التى  
دفعت زوجة ما كبث الى القتل والغدر !

لا ، ليست هذه العظمة تستهوى قلبى ، وليس هذا الجمع من الأمراء يجعلنى اقف  
شاخصا ، أو مفكرا أو ساهما . عظمة تقليدية ، نخلقها لنعبدها .  
وعن يمينك تجد جمعا آخر . وجوها تعرف بعضها وتعرف أصحابها من كتب  
التاريخ .

هذا نابليون بوناپرت ، نخصلة الشعر المتدليلة على جبينه وبيده فى (عبه) وبسر اويله  
البيضاء الضيقة . ليس بالديد فى قامته ولا الضخم فى جثته ، ولا القاسى فى نظرتة ،



العروش الانجليزى

بل ان عينيه الساهمتين ، أقرب الى عيون الفنانين والشعراء واخيليين من عيون رجال الحرب والدمار .

ومن بجانبه ؟ لويس السادس عشر وولده ومدام دي بنبادور . أليست هذه المأساة مضحكة ؟ أو لعلها فكاهة مخزنة . هكذا جمع فنان المعرض من لم تجمعهم الحياة ، ومن ارتفع الى العرش على اسلاء عاهله ، ومن مات في سبيل حياة غيره .

...

وعلى مقربة من هؤلاء ، الوزراء الانجليز وهم وقوف بلا بسهم الرسمية ، يتوسطهم ماكدونالد في موقف خطابي ، وبجانبه مس بونفدل الوزيرة الانجليزية . وكم امرأة تمر على هذه السيدة وتحبها بتلك النظرات الزائفة ، كما تحبوا الأميرات والملكات ؟ وكم فتاة تقف امام هذه السيدة مطأطئة الرأس وتحمل لها في صدرها الاكبار والاعجاب ، لا الغيرة والحسد عدة الصغير الضعيف ؟

وفي الجناح الآخر الذي يملأه السياسيون والقواد ، لا أجد من يستأهل الوقوف وامعان النظر الا اثنين . لورد نلسن بوجهه الشاحب ، وبعينه المقلوعة ، وبذراعه المبتور . عظمة مبينة على التضحية ، مبينة على غير الأوسمة والتيجان وملابس الحرير وأطواق الذهب

ثم ذلك الجندي المغربي الوجه ، الكث الشعر والاحية ، المعفر الحذاء ، المرقع الملابس ، الذي يحمل ما تبقى له من زاد من خبز ناشف أسمر في جراب ملطخ بالطين وغير الطين . هذا هو الجندي المجهول الانجليزي ، الجندي الذي كسب الحرب العظمى ، أو « جوني » عائدا ظافرا الى إنجلترا بعد سنى الشقاء والعناء .

شعب يتمثل في فرد ، وفرد يمثل شعبا ، كل فرد من أفراد هذا الرجل يموت هذا في سبيل شعبه ، ويضحى الشعب في سبيل هذا الفرد .

هذه العظمة التي ترتكز على الحرب والدمار أو على الملك والسلطان ، ليس فيها

نفحة الخلود ، اذا لم يكن الموت الذى ترسله على ابناء آدم فى سبيل حياة اسحق وارفع ...

•••

وفى ركن هذه القاعة ، وجوه أعرف أصحابها جميعا ، وجوه تطل علينا فى وحدتنا ، وترفرف علينا روحهم كلما رجعنا الى أنفسنا . هؤلاء حملة الاقلام ، لاجل حملة السيوف ، ورجال الفكر والخيال ، لاجل الحرب والقتال .

فى مؤخر الجمع ارقب شوسر بلحيته السوداء المستديرة وبوجهه السمع وابتسامته الهادئة . ثم بثوبه من المخمل الأسود الذى يشبه الزعبوط . هذا شوسر الذى كتب لنا « قصص كوتبرى »

ومن الذى قرأ هذه الأفاصيص ولا يحب شوسر؟ ومن الذى قرأ شعره الجدل ووصفه المتع وفكاهته المستلحة ، ونقده اللاذع المقبول ، ولا يقف هنيهة يملاً العين بهذه الصورة المجسمة لجوفرى شوسر .

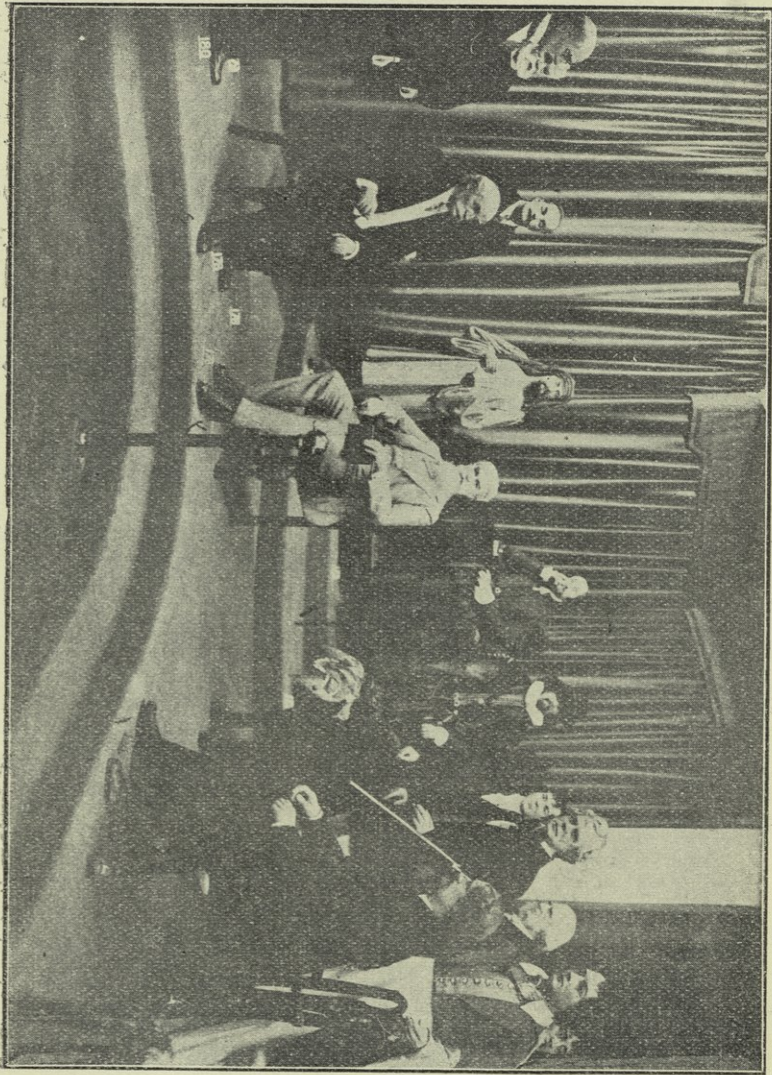
ومجانبه وقف شكسبير بملابس عصره ، وقد وضع يده تحت خده يفكر ، ولكثرة ما قرأ لشكسبير وقرأ عن شكسبير ، صارت صورته قريبة الى الفكر والخيال ، حتى أنها لامهز قلب المتفرج فيقف مليا امام صاحبها .

وتنتقل العين الى ملتن ، بملابسه البيوريتانية ، صورة لا تثير فيك اعجابا ، صورة لم يرد «هزلت» ان تطل عليه فى حمله عند ما كان يفكر فيمن يحب أن يراهم من رجال الأدب الأقدمين ، ملتون من الذين تحب أن تقرأ لهم وتمعن فى قراءتهم ، ولكنك لا تحب أن تعيش معه وتتحدث اليه ، وتحفظ بصورته .

هذا ملتن الذى خلف لنا الفردوس المفقود ، وشمشون ودليله ، وكومس . هذا الذى تحدث لنا عما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ، ولو ان ملتن تحدث عن الأرض وعن أهل الأرض وعن نفسه ، لكان تصويره مهزولا جامدا .

واين ملتن من شخصية الدكتور جونسون ، واين ملتن من شخصية سيوفت .

مجلس الادباء والشعراء



وأين هو من بوب؟ هؤلاء الذين عاشوا ملوكاً للأدب في عصورهم، عاشوا بشخصياتهم وخلدوا شخصياتهم في أدبهم. تنظر إلى جونسون، بحسبه الضخم وهو جالس في وسط هذه الجماعه، فتتصور جونسون وهو جالس في «النادى الأدبي» في فليت استريت، منذ قرن ونصف مضى، وتتصور حوله جرك وبوزول وجوها نارينالد وليس بعيداً عنه يقف «دين سويفت» مؤلف رحلات جلفر فيذ كرنى بيشار ابن برد بضخامة جثته، وبمزاجه السوداوي.

ثم يجلس في المقدمة ادباء العصر الحديث. ويلز واقف كأنه النموذج في نافذة أحد الخياطين، وبرناردشو بذقنه الطويله وشعره المسترسل وبضحكته التهكمية، لا يريد أن يثبت في مكانه. جالورزى جالس، يصلح أصول بعض رواياته. في الجانب الآخر يقف رجالان في شبابهما. شاعران استمتع بشعرهما، أحدهما فلاح ساذج، والآخر استقراطى نبيل، روبرت برنز الفلاح الاسكتلندي وشاعر الطبيعة، ويرونز شاعر الحب والشباب.

وبجانبيهما يقف وولتر اسكت، اسكتلندي آخر ببندقية وبكلبه وبملابسه التي تشبه ملابس فرسان القرون الوسطى، شخصية ماأبعدها عن شخصية مواطنه بيرنز، شخصية لا أحبها. وهكذا تخرج من القاعة الكبرى.

•••••

ليس في القاعة المجاورة من شخصيات أحمل لها في نفسي مثل هذا الحب الذي أحماه لأصحاب هذا الركن. شخصيات لم تجمعني بهم رابطة ولا صداقة. هؤلاء أبطال التنس والجولف والكرة، هؤلاء الطيارون والسباقون وحمالو الأثقال، هؤلاء المثلون والممثلات، مالى ومالمهم، لم أتشرف بعد بمعرفتهم، ولا أظن ذلك يوماً.

ولكن لماذا حشروا غاندى في ركن هذه القاعة؟ غاندى بأسنانه المهتومة،

وبابتسامته الساذجة ، وبرأسه الأصعب ، وبنظراته وعلايته البيضاء ، (تربع) في ركن  
هذه القاعة !

وبجانبه يقف ثائر آخر ، يقف ديفاليرا ، الزعيم الأيرلندي ، وهكذا يجد غاندي  
سلوي ، بين هؤلاء الرياضيين والممثلين .

وتترك هؤلاء لنصعد الى القاعة العليا ، لنزور ملوك إنجلترا من وليم الأول الى



ادوارد السادس . وقليل من هذه الشخصيات تستحق الوقوف والتأمل . الملك  
جون الذي منح الشعب الانجليزي الدستور منذ عشرات القرون ، أشبه بالشاعر



شوسر بجلبابه وبالحرّام الذي يتمنطن به، ثم رتشارد الثالث وهنرى الرابع، يقفان جنباً لجنب؛ وقد اغتصب هنرى الملك من رتشارد اعتصاباً بعد أن قتله. لعلمهم الآن تناسوا على ممر الأجيال حقدهم وحفيظتهم.

ثم هنا هنرى الثامن يدها في خصره كأنه أحد الفتوات، وبذقنه الدائرة ووجهه العريض وبريش قبعته، يذكركنى بسانكوبانزا، ثم ماذا؟

هذا الجمع من الفتيات والنساء اللاتي يحطن به «ماشاء الله» عدتهن ثمانية. بينهن الشقراء والبيضاء والسمراء والطويلة والقصيرة، والضخمة والملاحظة والرفيعة الهيفاء.

وبجانبه انا بولين الفرنسية، كأنها صبي، قصيرة، نحيفة القد والوجه، تحمل عصاً أو سوطاً لا أذكر، هذه الفتاة كانت زوجة لهنرى هذا، ما بعد الشبه! وما

أوضح الاختلاف! كم حزنت لها، ولكن من يدري لعلها كانت تهزأ بي لوعلمت؟ هنرى الثامن بجسمه الضخم وبلحيته الكثة وريش قبعته وبفرائه الأبيض

وساقه العارية: وهو بين زوجاته الكثيرات، كأنه الديك شونتكلير فى قصة شوسر وهو واقف يرفرف وسط زوجاته، وكأن انا بولين بجسمها المهضوم زوجة

شونتكلير العزيزة. برتيلود!

•••

وإذا عرجت على القاعة التي خفت ضوءها، ترى صوراً أكثر حياة من هذه التماثيل الخاملة، مناظر مجسمة لبعض مواقف التاريخ الهامة.

الملك جون يسلم الماجنا كرتالى ممثلى شعبه، نلسون وقد أصيب فى موقعة الطرف الأغر، نابليون على سرير الموت، وغيرهم وغيرهم.

وهنا وقفت جامداً أمام منظرين، وأقف أمامهما جامداً كلما زرت هذا المعرض. الأول يمثل مقتل مارى ملكة اسكتلندة، والآخر مقتل غردون فى الخرطوم

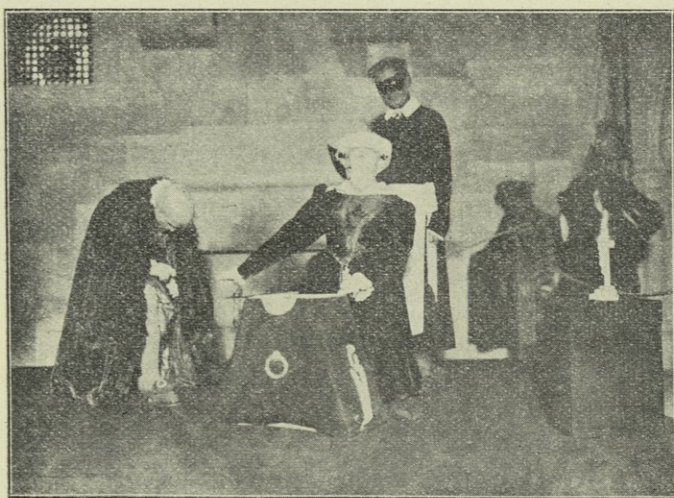
المكان الأول غرفة من غرف «برج لندن» ماشبهها بالباستيل فى باريس! الجدران

حجزيّة سوداء ، والوقت شتاء ، اذ ان نار الموقد تستعر بشدة وتعكس ضوءها الأحمر على الواقفين في الحجرة . وفي وسط القاعة ترقع الملكة الشابة الجميلة ، وهي مغمضة العينين على قطعة من الحجر أو الحديد .

ويقف الجلاد بملابسه السوداء وبغطاء وجهه الأسود يحمل الفأس التي سوف يفصل بها هذه الرأس الجميل البديع عن جسم صاحبه

وبين هؤلاء الواقفين بعض النساء لعلمهن وصيفات هذه الملكة الشابة التعمسة ينظرن بدهول ، ويبكين ويتضرعن

يا لها من نهاية ؟ اني أبكي على الشباب وارثي الجمال، وانذب الانوثة الغضة، ولست ارثي ملكا وانذب سلطانا !



## حمام ترافالجار

في ميدان ترافالجار الفسيح ، وهو الميدان الفريد في لندن ، وتحت ظل عمود نلسن الهائل ، وتحت أقدام الكثير من تماثيل الاسود الفرسان والقواد التي تحيط به - تجد مئات من الحمام الأسمر ، يطير ويحط على أرض الميدان وعلى حنايا هذه التماثيل ، ثم على أكتاف السائرين .

حمام أليف ، لم يعد يخاف الانسان ، ولا يهرب منه - بل يهرع الى كل سائر يرحله بالحب وبفتات الخبز . وما أشبه هذا الميدان الفسيح بتماثيله ، وما أشبه هذا الحمام الوديع بميدان سان مارك في البندقية .

وهذا الحمام رسول السلام ، ورمز الحب . ولكنه لم يجد مكانا يرفرف فيه إلا ميدان ترافالجار ، ميدان اخذ اسمه من الحرب ومن القتال . ولست أدري ماذا كان يصنع هذا الحمام لو درى بهذه الحقيقة ؟

ولكن لعله يريد أن يكون رسول السلام في ميدان بُني لتخليد رجال الحرب ، ويعلم الانسان كيف الخلاص من نير الحروب

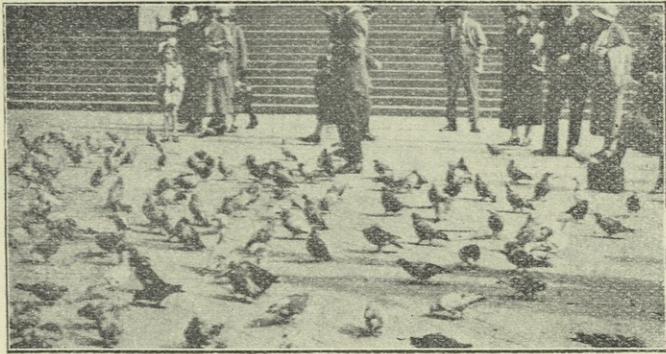
...

ما أرق قلب هذا الشعب الذي لا يرضى بحبس الحمام ، بل يتركه طليقا ، ولكن بين تماثيل الفرسان والقواد الذين خلدتهم الحرب والنيران !

...

وتمر السيدة الريفية بميدان ترافلجار ومعها أطفالها، وتشير بأصبعها من نافذة عربة  
الامينيوس إلى عمود نلسن الهائل ، تذكر أبناءها بموقعة الطرف الأغر التي أحالت  
مياه المحيط الى حمرة قانية

تذكرهم بنلسن العظيم ؛ لتدكي في دمائهم حرارة الفروسية وتنسى تلك المئات  
من الحمام الأسمر الذي يطير ويحط على حنايا هذه التماثيل ، وعلى أكتاف السائرين ،  
تنسى أن هذا الحمام رسول السلام ورمز الأخاء على الأرض ...



## البرطان الانجلىزى

فى كل يوم من أيام السبت يفتح البرلمان الانجلىزى أبوابه للجمهور، كما تفتح بعض القصور الملكىة أبوابها ، اذا كان الملك والملكة لا يقتضيان اليوم فيها .  
تفتح هذه الأبواب للشعب لى يعرف ما يجرى وراء جدرانها ، لى يعرف كيف يعيش من يحمون صورته بالوقوف وخلع القبعات ، لى يعرف شيئاً عن المكان الذى يجلس فيه اولئك الذين يمثلونه فى التشريع والحكم ، لى يعرف شيئاً عن المكان الذى يقضى فيه أمر امبراطوريتهم ويرم .

الشعب الانجلىزى لا يمنع عنه شىء ، ولا يقفل باب فى وجهه ، ولا يحرم حق المعرفة والدراسة العامة ، مدارسهم ، ومكاتبهم ، ومتاحفهم ؛ ومعارضهم ، ومصانعهم وقصورهم مفتوحة للجميع بلا قيد ولا شرط ولا بدفع اجر .

بل أنهم يشجعون الشعب على الاطاعة بما يجرى وراء هذه الأبنية العامة ؛ وفى المتحف الامبراطورى ، تجد مكتبا لتشجيع الشبان على الاستعمار ؛ وللإستشارة المجانية التى تعطى لكل شاب يريد النزوح الى أى ركن من أركان الامبراطورية .

هكذا ينشأ الانجلىزى شاعراً بأهميته الفردية ، شاعراً بحقوقه ، عارفاً بواجباته ، لابقراء ذلك فى الكتب والمذكرات المدرسية ، بل بما يراه حوله من وسائل التشجيع ، ومما يراه من مظاهر السهر على حقوقه وعلى مصالحه العامة والخاصة

•••

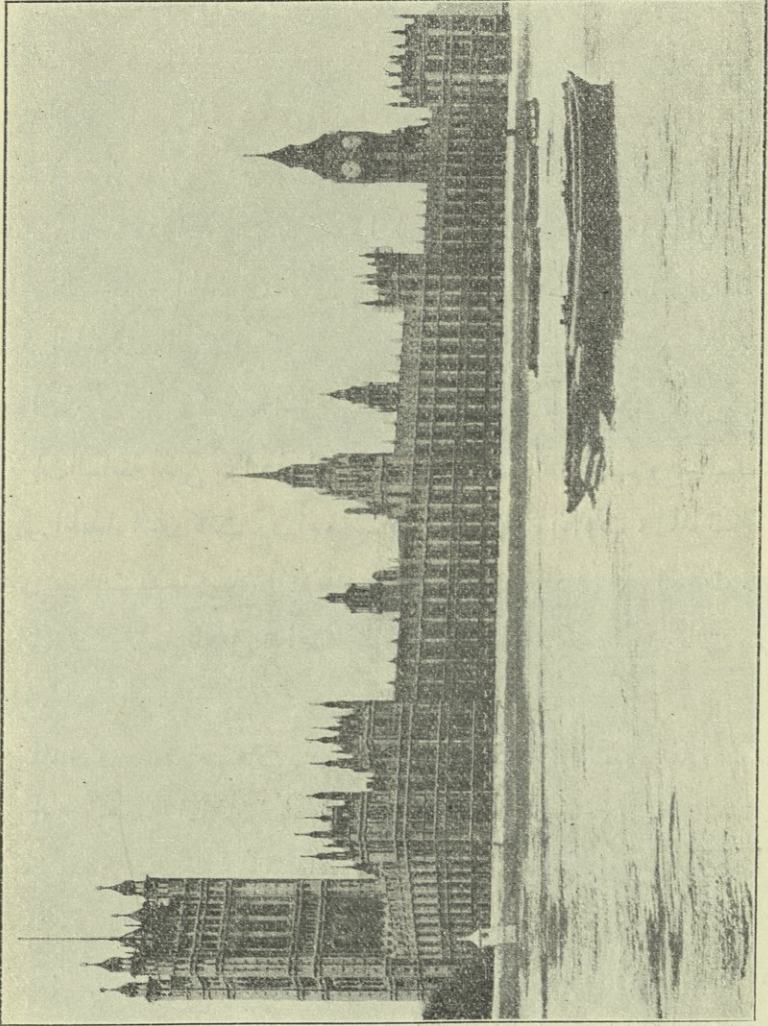
لا شك أن البرلمان الانجليزي أنخم بناء في لندن ، تشعر وأنت واقف تحت جداره الأسود ذى النوفذ المشبكة والزخارف القوطية القديمة ، بأنك في ظل معبد من معابد الصين أو الهند . وقفة تشعرك بالرهبة ، وبالعظمة والوقار ؛ كذلك الشعور الذى يملكك وانت واقف تحت ظلال الهرم الأكبر في ظلمة المساء .

البرلمان الانجليزي صورة ممتازة للندن ، ومن أى وضع تلتقط هذه الصورة فإنها تترك فيك أصدق اثر عن لندن ، لندن التى تلمح جمالها في عظمتها وضخامة ابنتها السوداء .

وقفة على كبرى وست منسرفى الليل ، فى الليلة المظلمة العابسة ، تحت المطر وتحت الضباب الأسود ، تشعرك بجمال البرلمان الانجليزي الذى يقف كأنه البرج الحصين ، أكبر سوادا من الليل والظلام ، تنبعث من نوافذه اللانهائية أنوار تظهر ضئيلة خافتة من وراء زجاج هذه النوافذ المشبكة .

وتحت أقدامه يجرى التيمز ، يجرى الآن كما كان يجرى عاما بعد عام وقرنا بعد قرن ، وهذا البناء الشامخ يطل عليه من الضفة اليمينية ؛ يجرى التيمز بمياهه البيضاء الباهتة ، كما يجرى النيل حول قصر أنس الوجود ، يلثم أقدامه للترك . البرلمان الانجليزي فى لندن ؛ كبرج ايفل فى باريس ، وكقصر الدوق فى البندقية ، وكالقلعة فى القاهرة ، وكنائس السحاب فى نيويورك ، لا تراها الا وتعرف من النظرة الاولى ان هذه لندن وباريس والبندقية والقاهرة ونيويورك .

البرلمان المجرى الذى يطل على الدانيوب قد يشبه بعض الشبه هذا البرلمان الانجليزي وان كان لا يرسل الرهبة التى يفيضها هذا البناء على النفس ؛ الرشستاغ « برلمان برلين » ابعده منه شبيها ؛ هو تحفة فنية بديعة ، بناء أنيق ، بقبابه الذهبية ، وتماثيله وأعمدته ودرجاته الرومانية العريضة ؛ وهو أصالح ما يكون دارا فخمة للاوبرا ، أو متحفا لطرائف الفن ، أو كاتدرائية .



البرلمان الانجليزي من التيمز

من أحد الأبواب العديدة ، التي في طرف البناء الخلفي ، يسمح للزائرين بالدخول .  
 أى شعور يملكك وانت تعتنى الدرجات القليلة التي تقودك الى البهو الأوسط ؟ أى  
 ذكريات تختلج في نفسك وأنت تلج هذا البهو الواسع الرحب بسقفه المرتفع وجدرانه  
 المزينة بالصور الزيتية المنقوشة وبمائمه النصفية والكاملة ؟

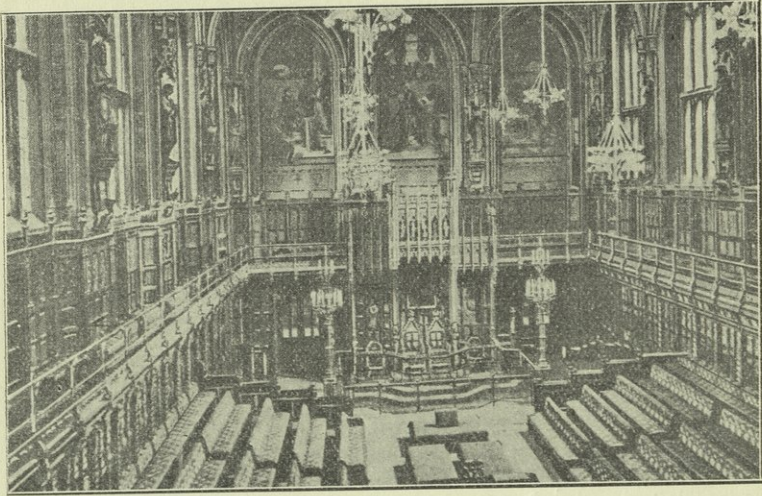
التاريخ الانجليزي قديمه وحديثه يمر امام ذاكرتك ، تذكر الحروب والمواقع التي  
 حددت اتجاه هذا التاريخ ، تذكر الملوك الذين تربعوا على عرش هذه الجزائر من وليم  
 الفاتح الى جورج الخامس ، تذكر الملكات اللاتي زهت انجلترا في عصورهن ،  
 تذكر اليصابات والملكة فكتوريا

ولكن لا . ان ذكريات أخرى تجعل كل هذه الأسماء تتلاشى من مخيلتك ،  
 ذكريات الساسة الذين بنوا هذه الامبراطورية بخططهم وبمعاهداتهم وبدسائسهم ، إنك  
 تذكر الخطباء الذين كانت ترن أصواتهم في جدران هذه القاعات ، إنك تكاد تسمع  
 صدى صيحات الاستحسان أو الاستهجان التي كانت تتردد في هذه القاعات .  
 إنك تكاد تسمع توماس بيرك يتكلم عن استقلال أمريكا ، حين كانت مستعمرة  
 انجليزية ليس الا .

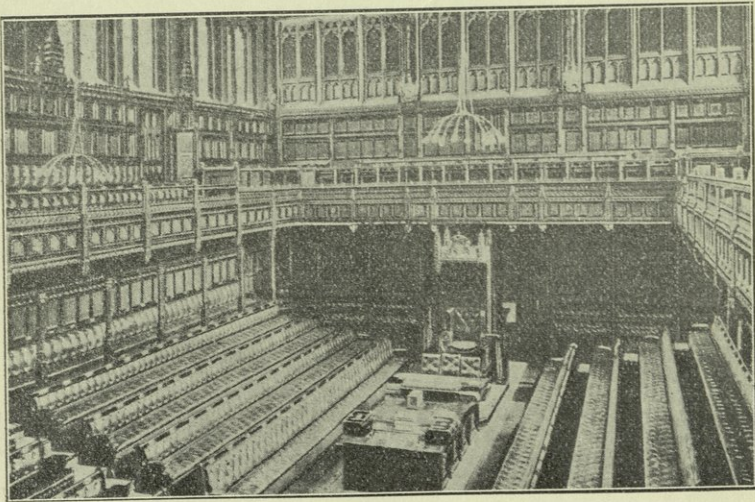
إنك تكاد تسمع صيحات شردان بلهجته الارلندية ، وتتصور جلادستون  
 ودزرائيلي بحسمه الناحل وبظفراته النافذة ، عندما كان يتحدث عن الهند ، وعند  
 ما كان يشرح مسلكه تجاه قناة السويس ، وعندما كان يتنبأ لنواب ذلك العهد  
 الفكتوري بأهمية هذه الترفة التي لا تشق الا الصحراء ..

تنتقل من هذه القاعة وتسير من قاعة إلى قاعة ، جميعها من الرخام وجميعها مزينة  
 بمائيل الملوك والقواد والساسة ، وعلى جدرانها عشرات الصور الزيتية البديعة المنقوشة  
 على هذه الجدران .





قاعة مجلس اللوردات



قاعة مجلس العموم

هذه الصور تمثل لك مراحل التاريخ الإنجليزي ، تمثل لك المواقف التي كان فيها الملوك  
يزولون للشعب عن رغباته ويرضخون لمطالبه ؛ مثل هذه الصور التي تزين بها قاعات  
البرلمان الإنجليزي لها معناها ومعزاها ، لم تخترب عبثاً ، وليس فيها مذلة للملك ، بل أنها  
تذكر النائب الإنجليزي الجديد الذي يسير في طريقه إلى قاعة المجلس ، ان أولئك  
الذين كانوا يجلسون على هذه المقاعد التي يجلس عليها اليوم ، هؤلاء قد جاهدوا وعملوا  
في سبيل تثبيت أساس هذه الدار .

ثم تسير في سرايب طويلة ضيقة ، على جانبيها القماطر المتلاصقة المشحونة بالمراجع  
والكتب والتقارير ومحاضر الجلسات التي يرجع تاريخها إلى قرون .  
تقارير في كل موضوع ، كتبت في عهود وعصور مختلفة ، تجعل النائب  
الإنجليزي يزهو بنفسه إذا ما أراد دراسة بعض المشاكل الراهنة ، يزهو بنفسه عندما  
يجد عشرات التقارير والدراسات التي قام بها أخصائيون ونواب ووزراء مرت عليها  
مئات السنين ، وما زالت تنتظر من يفحصها ويراجعها من جديد !

...

وبعد أن تنعطف يميناً وشمالاً وشمالاً ويميناً ، تدخل قاعة مجلس العموم ، وهي من  
خشب البلوط النقوش نقشاً دقيقاً ، ذات أعمدة متدلّية من الخشب أشبه بقاعات  
بعض الكنائس ، وهي ليست دائرة بل مستطيلة ، ذات باين متقابلين .

والداخل من أحد البابين يجد مقعد خطيب المجلس ، ومن الآخر رئيس المجلس ،  
وبجانبه مقعد يسع جالسين ، هذا يخصص للنائب الجديد ، يجلس فيه قبل أن يقسم  
يمين النيابة ، وأمام هذين المقعدين قضيب من النحاس يفرد فيقفل الطريق إلى داخل  
القاعة . على هذا القضيب النحاسي يقسم النائب الجديد اليمين ، ثم يرفع ليفسح له  
الطريق ...

ومقاعد النواب ليست مستقلة بل متجاورة ، وهي مكسوة بالجلد الأحمر

الزاهى ؛ ولعل هذه المقاعد قد صنعت منذ عهد بعيد ، أو لعل حركة النواب على هذه المقاعد دأمة ، لأن بعضها باهت قد تسلخ غطاؤه .

وإنك لتعجب كيف لا يفكر نائب فى تجديد مقاعد زملائه ، بل كيف لا يفكر رئيس المجلس فى ذلك وهو يجلس على مقعد باهت متسلخ ؟؟ ولكن هذه ملاحظة شرقى قد ربط فى عقله العظمة بالوجهة ، والجاه بالفخامة ؛ فالنائب الذى يفكر فى اهمية انسلاخ الهند من الامبراطورية لا يفكر فى انسلاخ جلد المقعد ، والذى يفكر فى تجديد سياسة أو قانون ، لا يفكر فى تجديد أثاث قاعة المجلس .



حيث يتناول الاعضاء الطعام . .

وفى الجانب الذى يواجه موقف الخطيب ، شرفة الزائرين والزائرين الممتازين ، وفى الجانب الآخر منها شرفة عالية مسورة بالقضبان والزجاج ؟  
ما أشبهها بشرفات النساء فى الشرق ! وليست هى أكثر من هذا . نعم هذه شرفة السيدات الزائرات لهجاس ، وقد سورت بالقضبان ، لكى لا يتسنى لهؤلاء الزائرات أن يقذفن النواب أو الخطباء بالزجاج أو غير الزجاج ، إذا كن لا يرضين بما

يجرى بين النواب ، كما حدث أكثر من مرة .

هذه القضبان وهذه الحواجز لم تصنع لمنع فئنة النواب بالزائرات الفاتنات ، بل لمنع أذهن وخطرهن على الرؤوس والأنوف ؛ نعم هذه المقاصير المسورة في البرلمان الانجليزي ، اقرار بطبيعة المرأة الثائرة ، التي لا تحتكم لعقلها كما تحتكم لعاطفتها .. ومع ذلك فان في هذه العاطفة الثائرة نبلا . جدير بالمرأة الانجليزية أن تذكره وتنتبه به

...

تخرج من باب المجلس الآخر وتسير في ردهة فارغة عدا ما بها من التماثيل والصور والمشاجب ورفوف للخطابات ، فتدخل قاعة مجلس اللوردات وهي قاعة أقدم من زميلتها تاريخياً ، وأفخر أثاثاً ، وأقل حجماً ، ولكنها لا تختلف كثيراً عن جارتها في نظامها وفي ألوانها .

ومن الردهة التي توصل بين القاعتين ، تسير في طريق متدرج على جانبيه الكثير من تماثيل الخطباء ورؤساء الوزارات والساسة ، تسير في درجات نازلة إلى قاعة وستمنستر .

وهذه القاعة فارغة من كل شيء حتى من التماثيل والصور ، قائمة الجدران مرصوفة بأحجار ضخمة ، تشعر في ظلامها وضخامتها ووحدها باللامهائية ..

وقاعة وستمنستر أقدم أجنحة البرلمان الانجليزي ، فعلى أرضها الحجرية القائمة ، تشاهد لوحات من النحاس تلمع في الظلام ، لوحات تذكر السائر بحوادث هامة حدثت في مكانها ، من ملوك وقفوا وجها لوجه أمام نوابهم الساخطين ، ومن وزراء أقبلوا ، ومن ساسة تصافحوا إلى غير ما هنالك مما يرتبط بتاريخ الدستور الانجليزي .

...

ومن قاعة وستمنستر المظلمة التي تشبه بعض ابهاء جامع السلطان حسن ، تخرج



اللیل علی کبری وستمنستر

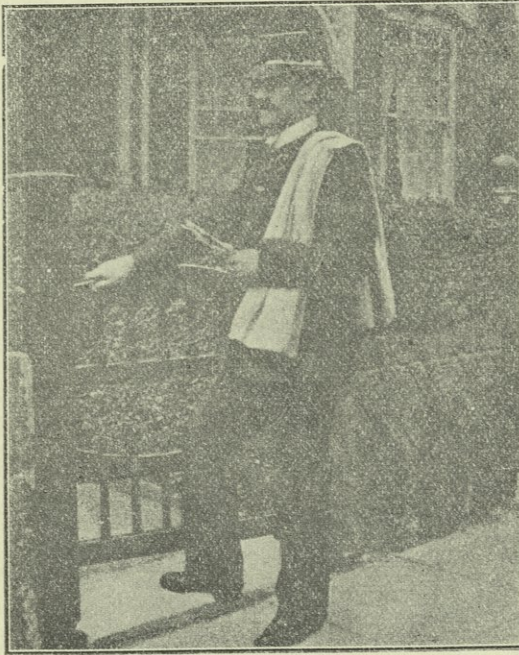
إلى ضوء النهار إلى الميدان الفسيح المسور الذي يحيط بدار البرلمان الانجليزي  
وتحت البرج الذي يطل على هذا الميدان من ناحية وعلى التيمز من ناحية أخرى ،  
تسمع دقات « بيج بن » ساعة البرلمان الضخمة، التي تدق من حين إلى حين كأنها  
أجراس العرس ...

...

وفي الليل ، وأنت على كبرى وستمنستر تشاهد هذا البرج وساعة « بيج بن »  
المضيئة في قفته، كأنها حارس ساهر على هذا البناء .

## جناح السرعة

الوقت مساء . قاربت الساعة السادسة . وقد رفعت الأقراص البيضاء من صناديق البريد في شوارع لندن وطرقها ، التي كتب عليها «الساعة الخامسة والنصف» جمع بريد المساء الكبير ، الذي تفخر به لندن ، البريد الذي ينحدر على دار البريد



العام في لندن كأنه الجارف الثلجي ، والذي لا يلبث طويلا حتى يخرج ثانية وقد فحص ورتب إلى كل ركن في لندن قبل الساعة السابعة من اليوم نفسه .

...

في غرفة مستطيلة في دار البريد العام في لندن ، وفي هذه الساعة ، تجد ألفاً وثلاثمئة رجل يفحصون بريد الساعة الخامسة

في دورته اليومية . .

والنصف . وفي طريقك إلى هذا المكان تجد جيشاً من موزعي البريد يحملون أكياسهم التي فرغوا مابها ، بعد ان أودعوا الأقراص البيضاء التي كتب عليها « الساعة الخامسة والنصف » ومفاتيح صناديق البريد .

وفي هذه القاعة تجد سيوراً متحركة قد حملت بالخطابات تقذف بحمولتها في سلال وأسبته ، فإذا ما وضع خطاب في إحدى صناديق البريد الكبيرة التي حول دار البريد العام ، فإنها تسير رأساً على هذه السيور المتحركة إلى غرفة « الختم » ثم يرفع العمال هذه السلال المحملة إلى طاولة قد غطيت بالخطابات حيث تتخاطفها الأيدي وترتبها بوجوهها إلى أعلى ، لكي تمر تحت آلة الختم التي تبصم ألغاً من هذه الخطابات في الدقيقة الواحدة ، وتنقش عليها تاريخ التوزيع والاعلان المعروف « اشتر البضائع الانجليزية » فإذا بصم البريد سار إلى طرف الغرفة حيث يختلط بتيار آخر من المكاتبات التي وردت الى لندن من الأقاليم في الوقت نفسه . هنا تفحص هذه المكاتبات بحسب المناطق التي توزع فيها ، فخطابات همستد تسير في ناحية ، ونورود إلى ناحية أخرى ، وبارك لين إلى ناحية ثالثة . وهكذا .

وتنتظر هذه الأكوام من الخطابات موزعي البريد الذين يفرزونها ويقسمونها الى أكوام أصغر فأصغر ، بحسب الشوارع وبحسب نمر المنازل . وفي عملية الفرز هذه لا ترى موزعاً يشابه آخر ، فكل له طريقته .

\*\*\*

ترك هؤلاء الموزعين حول الموائد يفرزون هذه الخطابات كأنهم يلعبون الورق بطريقة غريبة سريعة . ترك قاعة الفرز ونسير الى فناء دار البريد ، حيث السيارات الحمراء التي كتب عليها « البريد الملكي » تنتظر أكياس البريد لتوزعها على مكاتب البريد المحلية في لندن .

وفي لحظة تظن آلامها وبعد أخرى ترتج أبوابها وتطير محملة بخطابات من كل نوع؛



بخطابات الضرائب المتأخرة ، بخطابات تبدأ « سيدى .. » ، لقد أسفنا كثيراً ، لتعلم أن الوصل المرفق مع هذا لم يدفع ... » وخطابات تبدأ « عزيزتى لقد مضت مدة كأنها أجيال ، منذ أن رأيتك .. » وخطابات تجارية تبدأ « بالرجوع الى مكاتبتكم بتاريخ ١٨ الجارى أفيدكم ... » ملايين من هذه وتلك

...

ان متوسط المكاتبات التى تفرز كل يوم فى بريد الساعة الخامسة والنصف فقط تبلغ ١٤٦،٣٩٥ خطاباً ، ٣،٩٨٣ بطاقة ؛ ٥،٧١٥ خطاباً مؤمناً عليه . وهذه إذا أضفنا اليها الدوريات والمطاريق فانها تصل الى ٢٦٠،٢٨٠ مكاتبة يومياً فى مثل هذه الساعة .

ولكن هذه ليست أكبر نسبة للتوزيع لأنه فى توزيع الساعة السابعة والرابع من صباح الاثنين ، يبلغ هذا المتوسط ٦،٦٤٢،٧٠٠ فى حى الستى فى لندن ، حى البنوك .

...

وفى الطابق العلوى ، غرفة البريد الأجنبي . بعض مئات الآلاف من المكاتبات قد أرسلت الى كوبا ولى مصر ، والى جمهوريات أمريكا الجنوبية التى لاتكاد تلمح أسماءها حتى تذكر كتب الجغرافية المدرسية .

وفى ركن من أركان هذه الغرفة ، قد وضع البريد الخاص بالأسطول الانجليزى فى صناديق صغيرة على كل صندوق اسم بارجة . وعلى هذا القسم كتب بخط واضح « مكاتبات القباطنة » ، لان مكاتبات كل قبطان توضع فى كيس خاص به

...

تترك هذه القاعة الى الطابق الاسفل ثانية ، حيث ترى تيار الخطابات الأبيض قد بدأ يهبط ولا تلمح الا طرفه مختفياً فى صناديق التوزيع .

وفي خارج المكان تسمع دوى السيارات ، وخطبات الأبواب ، وموزعى البريد  
يسرون بأكياسهم على أكتافهم كأنهم جيش يسري في الظلام .  
ولا تكاد تدق الساعة السابعة حتى تهدأ الحركة في قاعة الفرز الكبيرة التي قد  
هضمت بريد الساعة الخامسة والنصف .

...

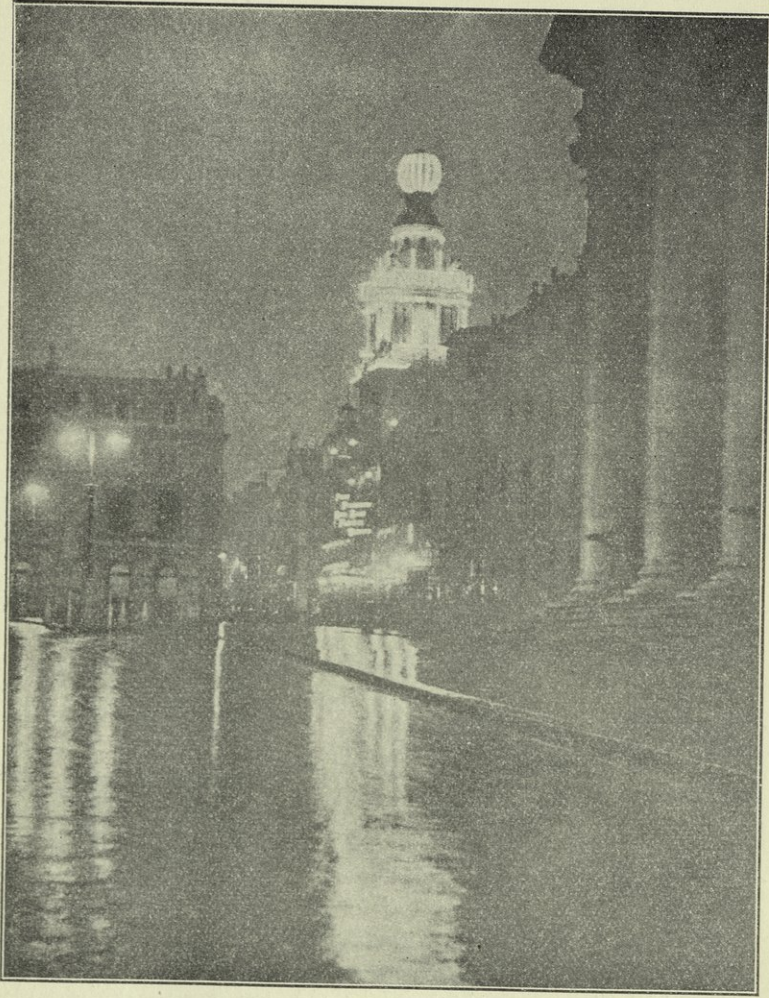
وعلى حين فجأة تسمع نقرات آلات الفرز ، وترى جيش الألف والثلاثمائة يعمل  
حول المائدة الواسعة ، وقد امتلأت من جديد بأكوام الخطابات البيضاء . هذا هو  
بريد الساعة السادسة والنصف .

...

وفي ركن من أركان الحجرة يقف رجل له عين الخبير الخطى ، ونظرات البوليس  
السرى ، يفحص الخطابات الغريبة التي ترسل إليه ليحل رموزها ، وتراه يقرأ  
مظروفاً كتب عليه « مسترجون بلندن » ثم يلقيه بامتعاض في صندوق كتب  
عليه « أعمى » \*

## رحمة الطبيعة

الضباب في لندن لا يحتمل ،  
والمطر في لندن لا يحتمل ،  
والبرد في لندن لا يحتمل ،  
والضباب والمطر والبرد اذا اجتمعت فانها لاتطاق .  
وفي ليالى نوفمبر كثيرا ماتجتمع هذه الثلاثة ؛ كثيرا ماتجتمع فتجعل الحياة في لندن ،  
والعمل في لندن ، مقبضا .  
والضباب في لندن معروف بالضباب الأسود تميزا له عن درجات أخرى من الضباب ؛  
وفي هذا الشرف تشارك « منشستر » العاصمة .  
ضباب كأنه الدخان ، دخان الأفران والطوايين التي تنبعث ايام « العجن والخبز » في  
القرى في مصر . ينبعث ولا أدرى من اين فيملاً كل مكان ، ويزحف اليك وأنت  
في حجرتك من تحت الأبواب ومن بين فتحات النوافذ .  
فاذا أحكمت ايصاد حجرتك كدت تحتنق ؛ وإذا خرجت الى الشارع قابلتك في  
وجهك فملاً أنفك وخياشيمك ، وتراه زاحفا عليك كأنه الغازات الخائفة .  
ولندن في الضباب ، لاتنسى ذكرها . فانوارها القوية الكشافة ، التي تجعل ظلام  
الليل لا يحس ، لاتجدى مع هذا العدو العنيد الذى تسلطه الطبيعة على العاصمة في أيام  
الشتاء .



الليل والمطر في ميدان ترافالجار

فهذا النور الأبيض الناصع الذي يتدفق من مصابيح الشارع العالية ، ومن مئات  
المخازن التجارية المتلاصقة ، يستحيل لونه أحمر خائبا كأنه نور الفتائل . قد ترى  
مصباحا مضيئا ، ولكنه لا يضيء شيئا ، لا يضيء الا نفسه . وتلك السلسلة من

مصاييح الشارع تستحيل نقطا من الضوء تظهر وتختفي كأنها تحت رحمة الأمواج .  
وفي هجمات الضباب العنيفة ، تعجز هذه المصاييح ، ولا تكاد نحس بوجودها  
إلا اذا كنت على مدى قريب منها . فتسير تتلمس الجدران تلمسا ، وتحذر ان تنتقل  
من جانب الشارع الى جانبه الآخر وأنت لا تدري بما يخبئه لك القدر اثناء انتقالك .  
وفي ليالى الضباب هذه ، تعطل الكثير من القطارات عن المسير ، واذا سار بعضها  
سار بسرعة لا تريد عن سرعة القطار الاوّل الذى اخترعه استيفسن . . .

وتعطل البواخر عن الاقلاع وعن عبور بحر المنش مهما كان فى ذلك من غرم أو  
ضياح للمال أو الوقت ، وفى شوارع لندن تعطل مركبات الترام والامنوبيس ، أو تندر .  
واذا سارت انتقلت ببطء وحذر وملأت الجو بنفيرها .

ولندن بضبابها الأسود فى نوفمبر ، هى لندن يبردها القارس فى ديسمبر ، هذا البرد  
الذى جعلنى فى ليلة من ليالى الشتاء أقدم حذاءى طعمة للنار ولا أشعر ؛ فبينما كانت  
أصابع قدمى متشلجة كان (بوز) حذاءى تلتهمه نار المدفأة التى هرعت اليها كالمجنون . . !  
وهذا البرد لا يهاجم إلا الأنف وأصابع اليد وأطراف القدم ؛ يهاجمها حتى لا تشعر  
بوجودها ، فتتصلب الأنامل حتى انك لتمعجز عن أن تخرج شيئا من جيبك .  
ويتلج الأنف حتى انك لتشعر بأنه جسم بارد غريب حط على وجهك !

...

والطر ضيف لا يزور غبا ليزداد حبا ؛ ومع ذلك فهو ليس ممقوتا كما نكرهه فى  
مصر ؛ اللهم إلا اذا جاء على غير حساب ؛ وقد امتلأت هايد بارك بمن خلفوا قبعاتهم  
ومعاطفهم فى البيوت . وفى غير ذلك فهو لا يعوق رجلا أو فتاة أو طفلا عن عمله أو  
عن لهوه .

بل فى ليالى المطر قد يحلو السير ، ويذكى نار الغرام برذاذ المتساقط . .  
فمن عاش تحت الضباب وتحت البرد وتحت المطر ؛ فانه يعرف ماالشتاء فى القاهرة ،  
وما غروب الشمس فى اسوان ، وما سحر الصحراء فى هزيع الليل . . .

## يوم الأحد

في مقدمة كتاب « إقرافات آ كل أفيون » وصف الشاعر الانجلىزى دى كوزى ذلك اليوم الذى ذهب فيه إلى الصيدلى فنصح له بأخذ جرعة من هذا المخدر تهدئة أعصابه الشائرة ، وللتخلص من انقباض صدره ، ومن الملل الذى كان مستولياً على نفسه .

...

كان ذلك اليوم يوماً من أيام الأحد ، وكان الوقت صيفاً . وقد دفعت الوحدة والانقباض والملل دى كوزى إلى أن يسير فى شارع أ كسفورد ، أبهج شوارع لندن إذ ذاك ، ولا يزال من أبهجها اليوم ، يصخب بالسائرين والسائرات ، وبالعربات والسيارات ، وبمخازن البيع الفخمة المتلاصقة ، التى تفنن أصحابها فى الاعلان عنها . ولكن ذلك اليوم كان من أيام الأحد ، وشارع أ كسفورد فى يوم الأحد غير فى بقية الأيام . ولندن فى يوم الأحد غير لندن فى يوم السبت . وانجلترا فى يوم الأحد غير انجلترا فى غير يوم الأحد .

ذلك الشارع الذى يبهج ويفرح ، قد أغلقت أبواب مخازنه وندرت فيه العربات ، وقل أن تجد فيه سائراً ، إلا عابر طريق يسرع الخطى . وليس فى ذلك كله ما يفرج عن كربة صدر مقبوض ، كصدر الشاعر دى كوزى .

ذهب دى كوزى « كما ذكر فى اعترافاته » إلى صيدلية صغيرة ، قد ترك نصف

بإبها مفتوحاً ، ذهب بعد أن شعر بأن اقفار الشوارع من السائرين من ناحية ،  
وحرارة ذلك الصيف من ناحية أخرى ، قد زادت من انقباض صدره ، وولدت فيه  
قلقاً هستيرياً .

في ذلك اليوم المقبض للصدر بوحدته واقفاره ، وفي تلك الصيدلية الصغيرة ، عرف  
دي كوزي الأفيون كدواء ، ثم عرفه كمخدر ، تناوله بعد ذلك إلى حد الإدمان .

...

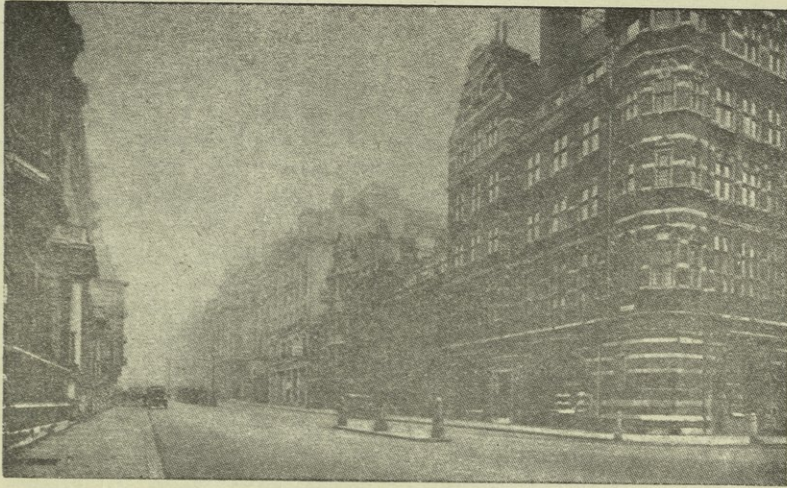
هذه صورة ليوم الأحد في لندن في القرن الماضي ، ويوم الأحد اليوم ، لا يختلف  
كثيراً عن هذه الصورة .

يوم الأحد يوم راحة ، ويوم عبادة ، ويوم زهنة وممتعة . ولكنني لا أعرف فيه  
شيئاً من ذلك . صحيح ان مخازن البيع والشراء ، والشركات والبنوك والمدارس  
والمصانع ، بل والمطاعم والصيدليات تقفل أبوابها ، ولكن هل معنى الراحة أن ننام  
هذه الأربع والعشرين ساعة لكي نشعر بأننا في يوم راحة ؟ هل معنى ذلك أن نربض  
في قعر بيوتنا ، لأنهم لنا إلا أن نتناول طعام الافطار والغداء والمساء ، وأن نستيقظ  
وننام وننام ونستيقظ ؟ هذه راحة نهك الأعصاب ، وتولد الصداع ، وتدفع إلى تناول  
الاسبرين أو الأفيون والمورفين كما دفعت دي كوزي .

تصور أنك تخرج من دارك فلا تجد سائراً في الطريق ، لا تجد مطعماً تأكل فيه ،  
لا تجد مخزناً مفتوح الأبواب تقطع الوقت بانظر اليه ، لا تجد مسرحاً أو ملهى أو  
سينما ، بل أنك لا تجد « كما في بعض البلاد الصغيرة » وسائل من وسائل النقل ؛  
المحطات خالية ، والشوارع مقفرة من عربات الترام .

يوم الأحد يوم عبادة ! حضرت فتاة من أهل ويلز الى لندن ، وويلز في إنجلترا أشبه  
بأقاليم الصعيد العليا ، أو واحات سيوه والعريش . ولشد ما أثار عجبها يوم الأحد ،  
أن وجدت الخادمة تمسح درجات الدار ، ولشد ما أثار عجبها أن رأت أهل البيت

يقدون ناراً يوم الأحد ويشربون الشاي ساخناً والطعام طازجاً !  
ولماذا هذا العجب ؟ لأن يوم الأحد يوم عبادة ، لا نار توقد ، ولا بيت ينظف ،  
ولا طعام يطهى . أثر من آثار القرون الوسطى ، حيث كانت سيطرة رجال الدين على  
أشدها . قوة الكنيسة وسلطانها يجب أن يجد له منفذاً في يوم من أيام الأسبوع ،  
وقد ألهت الناس الحياة والجهاد في سبيل الحياة ، عن الكنيسة وعن أصحاب الكنيسة  
ولا أقول عن الله وعن عبادة الله .



شوارع لندن المقفرة

وفي كل شارع في لندن تجد كنيسة ، كما تجد مسجداً في كل شارع وحارة ودرج  
وزقاق في القاهرة . وهذه الكنائس تفتح أبوابها طول يوم الأحد ، وتعلن عن نفسها  
باعلانات كبيرة ملونة ، كما يعلن عن المسارح والملاهي . عصر بروباجندا في التجارة  
والسياسة ، وما قد لحقت البروباجندا الدين . وبعد ذلك هل تجد الجموع غفيرة في  
هذه الكنائس التي تصل نواقيسها من الساعة الثامنة صباحاً ، بينما لا يستيقظ أهل



لندن يوم الاحد قبيل الحادية عشرة أو بعد ذلك !! ؟

والى عهد قريب كانت الرياضة محرمة يوم الأحد ، والسنت لا تفتح يوم الأحد، ووسائل النقل معطلة ؛ ولكن أخذ القوم ، بل وبعض رجال الدين، يشعرون بهذا التطرف الذى لا معنى له ولا يقره الدين نفسه . فنجحت هذه الحركة فى لندن أخيراً كما نجحت فى غير لندن . وأخذت الملاهى والملاعب والسنت تفتح أبوابها ، تحت شروط خاصة فى بادئ الأمر ، ثم بغير قيد بعد ذلك .

...

وهذه هى الصبغة الدينية التى يصطبغ بها يوم الأحد فى إنجلترا ، هذه الصبغة التى لا تجدها فى بلد آخر فى أوربا ، فبرلين وباريس وفينا وغيرها ، قد تقفل أبواب معاملها ومخازنها وبنوكها يوم الأحد ، وقد يهرع العابدون والعايدات إلى الكنائس ولكن الحياة الاجتماعية ، وبهاء العاصمة ، يكون على أشده فى هذا اليوم ، الذى وان كان يوم عبادة ، فهو يوم راحة وممتعة ورياضة .

...

يوم الأحد فى بعض أحياء لندن يذكرنى بأيام الأعياد فى مصر لاسيما فى الأحياء الوطنية الصميمة ، حيث يسير الغلمان والفتيات جماعات فى أثوابهم الزاهية الألوان ، الجديدة التى لم تغمر فى الماء بعد . وفى يوم الأحد تجد مثل هذه الصورة فى لندن بين طبقات العمال ، لكل واحد من هؤلاء بذلة خاصة لا يلبسها إلا يوم الأحد ، والدوق الفطرى فى اختيار هذه الملابس واضح فى ألوانها الفاقعة . كما أنه لا يغيب عنك أن الثنيات التى تشاهدها فيها تدل على أنها كانت محفوظة طوال أيام الأسبوع . ولا تخرج فى الهواء الطلق إلا فى يوم من أيام المواسم !!

وتجدهذا الاصطناع فى لباس يوم الأحد، عند الكثير من أفراد الطبقة الوسطى ،

فالملابس الرسمية تشاهدها بكثرة في هذا اليوم . القبعة السوداء المكورة ، البنذلة السوداء ذات السراويل المخططة ، والياقة المنشأة العالية ، والمظلة السوداء ، والقفاز ، ثم احدى صحف اليوم . هذا هو جنتلمان يوم الأحد ! !

وكل من في لندن غريب يوم الأحد ، فمن تجده في شوارعها من النادر أن يكون من أهلها ، فهؤلاء ينتهزون يوم العطلة ، ورخص تذاكر السفر ويهرعون إلى لندن ، ولكنهم بالأسف لا يرون فيها إلا أنفسهم . . .  
وأهل لندن بدورهم ، لا سيما في فصل الصيف يهرعون إلى الشاطئ ، حيث لا يرون كذلك إلا أنفسهم هناك .

ولو أنك لا تجد كثيراً من السائرين في يوم الأحد ، إلا في بعض مناطق خاصة ، إلا أن الحانات ترحب بزبائنها يوم الأحد في الساعات القليلة التي تفتح فيها أبوابها ، فإذا وجدت ( زحمة ) في ركن من أركان الشارع ، فلتعرف أن هذه الزحمة حول حانة ، حيث تدار كيزان الجمعة ولا أقول أقداحها ، في الشارع من شدة الازدحام وهم وقوف وهن واقفات !

ولكن من الخطأ أن تتذكر حانات كلوت بك ، إذا أردت أن تأخذ صورة حقيقية للحانات الانجليزية ، التي لا يكاد يرى السائر ما بداخلها ، فهي محكمة القفل ، حتى أنني - وقدمضى لى في لندن شهر - كنت أظن أن ليس في لندن حانات البتة ؟

.. .

وهايد بارك في يوم الأحد ، تزدحم بالوافدين والوافدات اليها . فهي أشبه من ناحية بمديقة الأزبكية يوم الجمعة . ولكن وجوه الاختلاف أكثر من وجوه التشابه ومن عادتي أن أذهب الى هايد بارك بعد ظهر كل يوم أحد ، لا سيما إذا كان الجو معتدلاً . ومن عادتي أن أقضى ساعة وساعتين وثلاثة أستمتع لما يلقي على منابر هايدبارك

من الخطب ومن الأحاديث ومن المناقشات في كل فن مستطرف ومستطرف ؛ من  
خطب دينية أشبه في طريقتها وقدم أبحاثها بخطب الجوامع .



هايد بارك يوم الأحد

وأستمع الى المجادلات السياسية ، وأستمع الى الأبحاث الفلسفية وشبه الفلسفية ،  
وأستمع الى الابحاث الاقتصادية والمجادلات الاجتماعية . وأستمع بلذة الى الكثيرين  
من يخطبون في كل فن وفي كل باب ، ويخطون بين الدين والسياسة والاقتصاد والعلم ،  
يخطبون لأجل الخطابة ، ويتجادلون للذة المجادلة ، ويتناقشون لغرض المناقشة ليس الا .  
وما أشبههم ؛ وما أشبه هذه المنابر والحلقات ، بالسوفسطائيين في بلاد الاغريق منذ  
عشرين قرناً مضت أو يزيد .

...

وفي يوم الأحد يجتمع أفراد العائلة الواحدة حول مائدة الغداء وحول مائدة  
الشاي . وقل أن يجتمع شمل العائلة في غير أيام الأحد .

وتناول الطعام على مائدة واحدة ، حلقة اتصال بين أفراد البيت الواحد ، فالأب  
الذي لا يحضر من عمله الا متأخراً كل مساء يجد فرصة لأن يجتمع بأولاده ،  
ويتحدث إليهم .

غداء يوم الأحد في العائلات الفقيرة والمتوسطة ، له امتياز ، لذلك من العسير  
أن يترك أحد أفراد العائلة فرصته ، ويتناول الغداء في خارج البيت .

...

هذا يوم الأحد في أيام الصيف التي كثيراً ما تكون شمسها دفيئة ، فتدفع  
الكثيرين إلى الخروج إلى هايد بارك أو التخطر في ريچنت بارك أو بيكادلي . ومع  
ذلك فهو يوم مقبض ، يشعر الانسان بالوحدة فيه وهو يعيش في بلد سكانه تزيد على ستة  
ملايين . فما بالك بيوم الأحد في أحد أيام الشتاء ، والمطر يتساقط والضباب يملأ  
كل مكان كأنه دخان الأفران .

وحدة بين الملايين ، أشبه بوحدة السجين . وعبوس الطبيعة ، عبوس يرسب  
في القلب .

...

ومع ذلك فيوم الأحد يوم راحة ، وعبادة ، ومتعة ؟ !

## الستى

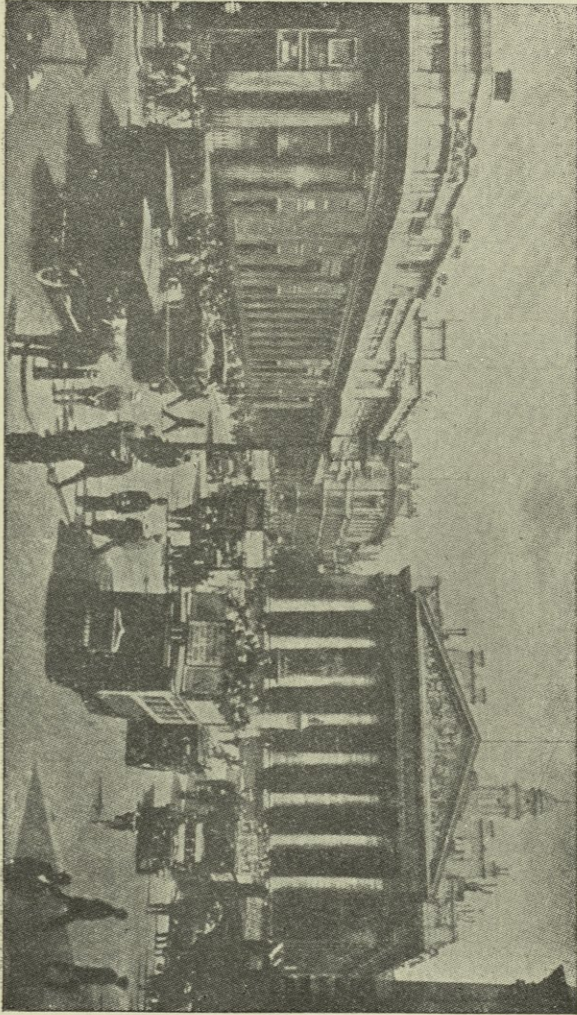
ليست جاردن ستى فى مصر ، تشبه بعض الشبه الستى فى لندن؛ فان كانت الأولى حى الترف والجمال ، فان الثانية حى المال والأعمال .

الستى هى القلب النابض للإمبراطورية الانجليزية ، حى البنوك والشركات التى بنت استراليا ، واستغلت امريكا ، وشيدت جنوب افريقية .

حى الستى حى الحركة والنشاط ، نشاط لا يتجدد فى أى ركن آخر من أركان لندن ؛ وحركة هستيرية لا تشاهدها فى شوارع اكسفورد أو اليجنت أو الاستراند مع أزدحامها .

والوجوه التى تشاهدها تنتقل من دار الى دار فى حى الستى لاتشاهدها إلا نادرا فى غير هذا الحى . والملابس السوداء الرسمية والقبعات العالية غالبية بين رواد الستى ؛ هؤلاء هم الذين يقبضون على أزمة الثروات العامة ، والذين إذا عبثوا بالثقة الموضوعة فيهم أو تهوروا فى مضارباتهم لم يجرؤوا الشقاء والفاقة على رؤسهم فقط، بل ويرسلونها جحيماً على رؤوس الآلاف والملايين ، الذين ائتمنوا هذه الشركات بما لديهم من قليل أو كثير من هذا المال .

تسير فى لومبارد استريت ، أحد شوارع الستى ، فكأنك تسير بين قلاع على جانبى الطريق ، أبنية من الحديد والأسمنت والصلح والحجر ؛ بنيت ولم تترك وسيلة من وسائل التحصين إلا استخدمت لحمايتها .



بورصة لندن في حي السيتي

هذه الأبنية الحديدية المسلحة قد بنيت لأجل المال .

وهذه الأوراق المالية التي تقبر في بطون الخزائن الحديدية والتي لا ترى ضوء النهار والتي قد تنتهي الى أن تحرق ولا تصل الى يد أحد من الناس ؛ هذه الأوراق التي استخدمت الكهرباء والأبواب الخفية لحراستها ، وخصاص المسدسات لحمايتها ؛ هذه الأوراق قد طبعها الانسان لكي يمنعها عن يد الانسان ؛ وزخرفها الرسام لكي تعبد وتقدس وهي من صنع يديه !

...

تسير تحت أعمدة البورصة ، وترى الخارجين والداخلين غارقين في أفكارهم ، يسرون كالجناين قد اجنهم المال الذي عبده ، وجعل طعم الحياة فترا على شفاههم ، يقامرون وراء جدرانها بكل مالمليهم من مال وجاه وسعادة ، جنون بالمال في سبيل المال ! فللال الذي كان وسيلة ، قد صار غاية ؛ والمال الذي كان يجب أن يكون خادما ، قد صار سيداً على نفوس أصحابه ،

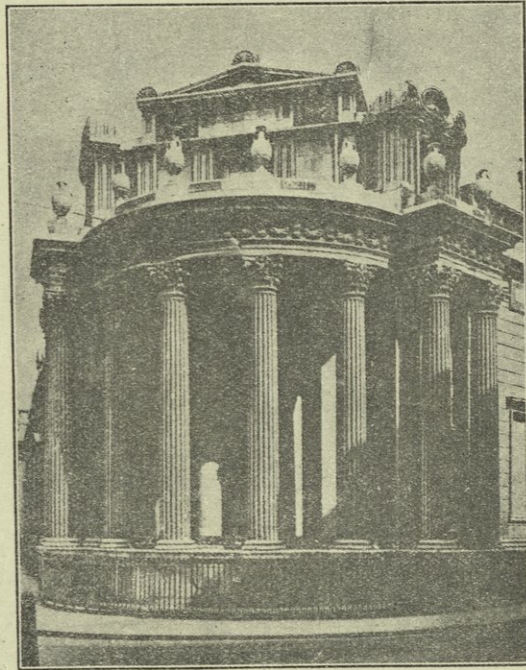
وماذا يرجو هذا الرجل الذي جمع الآلاف والآلاف من هذه الأوراق ؛ واية لذة يؤمل فيها ، اذا زادت هذه الآلاف ألفا جديدا وهو لا يرى منها الا الشيك الذي يرسله إلى البنك ؛ واية متعة يجدها اذا جمع هذه الحزمت من أوراق البنكنوت حوله ونام عليها ، أو حملها على رأسه ؛ أو نثرها في كل ركن من أركان داره . اذا فعل ذلك لرموه بالجنون ! ولكن الجنون في جمع هذه الأوراق أمر مشكور ؛ والعبث بها على هذا النسق لا يقره عليه أحد .

كان الكاتب الانجليزي رتشارد استيل كلما سار عند هذا البناء نفسه منذ قرنين ، كان يشعر بأنه أسعد مضارب في البورصة ، لأنه كان يشارك كل رابع سروره وغبطته ولكن الربح لا يكون إلا بخسارة آخر ؛ فاذا ثقلت احدى كفتي الميزان شالت الأخرى . أما أنا فلا أشعر هذا الشعور بأنني أسعد الناس حول بناء البورصة ، لأنني

أفكر في هؤلاء الذين قاموا في سبيل المال وفي سبيل سعادة موهومة بسعادة بيت  
وأطفال وزوجة ! .

...

وإذا كانت الساعة الرابعة ؛ وعرجت على السبي وسرت في لومبارد استريت  
أو ميدان البورصة ؛ شعرت بالوحدة والوحشة المقبضة .  
لم يبق في هذا المكان الذي كان مزدحماً منذ ساعة أو نصف ساعة ؛ إلا الذين  
كتب عليهم أن يجرسوا هذا المال وراء الخزائن والسراديب الخفية ؛ كتب عليهم أن  
يمنعوا الأيدي من العبث بهذا المال ؛ وقبل ذلك أن يمنعوا أيديهم من لمس هذا المعبود  
المقدس .





انك لتشعر بالوحدة ، وأنت بين ظلال هذه الأبنية الضخمة الهائلة التي تشبه  
المعابد الرومانية ، أو قلاع القرون الوسطى ؛ تشعر كأنك في مقبرة قد اقفرت بعد  
أن ذهب المشيعون عنها ، ذهبوا بعد أن ملأوا المكان بكاء وعويلا؛ ذهبوا بعد أن  
دفنوا عزيزهم وخلفوه وحيداً . . .

وهأنذا أشعر كأنني غريب في السبي ، وأشعر بأن هذه الوحشة قد خلفها المال  
المحبوس وراء هذه الجدران .

المال الذي صنعتته أيدينا لكي نقطع الحياة في البحث عنه .

## في طرق لندن

ما أمتع أن يعرف الانسان شيئاً عن هذا العالم ، وهو يعيش فيه دون أن يشعر به أحد !

إنه لا يعرف هذه المتعة إلا الذين لديهم ميل للسياحة والاستطلاع ، أولئك الذين لا يقدرّون قيمة ما يشاهدونه بما يجدونه من نفع أو فائدة ؛ بل لان لذة المشاهدة ، واتساع أفق تفكيرهم هو كل ما يرغبون فيه ، وهم يسرون دون أن يعبرهم أحد التفاتاً .

...

حدث ذات ليلة ، في الأسبوع الماضي . وأنا في رتشموند ، أن أصابني أرق أقض مرقدى وجعلنى أفكر فيما لا أريد ان أفكر فيه فاستيقظت في الساعة الرابعة صباحاً ، وقد عزمت على أن أقضى الأربع والعشرين ساعة القادمة في لندن، أنتقل فيها دون غاية خاصة حتى أكل من السير والنظر ، فأنام من شدة الاعياء .

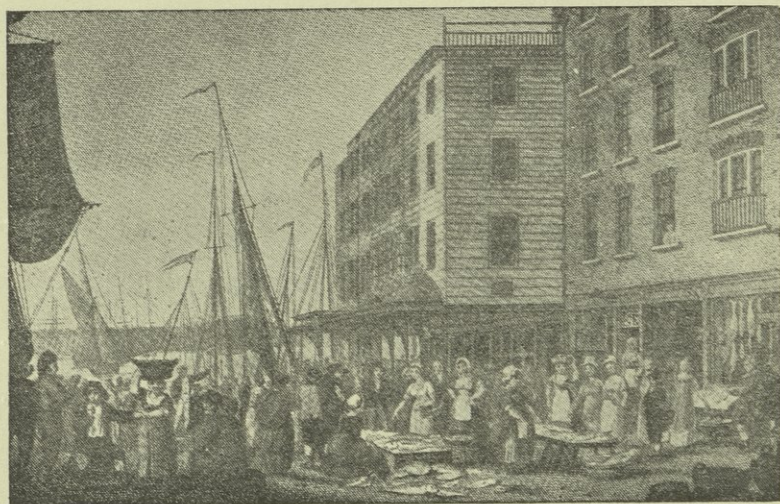
...

إن الوجوه التي تراها في لندن في ساعات اليوم والليل المختلفة ، وجوه متباينة غريبة عن بعضها كأن أصحابها يعيشون في بلاد مختلفة . فأولئك الذين تراهم في الساعة السادسة سرعان ما يتركون مكانهم لأولئك الذين يظهرون في الساعة التاسعة؛ وهؤلاء إلى جيل الثانية عشرة الذين تحتفى وجوههم ويتركون

مكانهم إلى طبقة أرستقراطية قد أخرت موعد الظهر ساعتين . . !

...

وعندما تركنا الشاطئ كان يصحبنا فريق من الفلاحين وبائعي الخضرا يقصدون أسواق لندن تلو وجوههم ابتسامة رضاء ، تقر لها النفس . وكان شاطئ النهر ، والناس الذين قد تجمعوا حوله ، والمزارع التي تحيط به ، منظرًا بهيجًا لا يقل جمالًا عن أي بقعة أخرى على الأرض ، بله التميز نفسه بما يحمله على مياهه من قوارب محملة بثمار شاطئه ، قد أضافت جمالًا إلى هذا الجمال . وقد كنت تعرف من وجوه هؤلاء القوم ومن لهجاتهم الأسواق التي يقصدونها في لندن .



أحد أسواق لندن في القرن الماضي

ولم يحدث في رحلتنا ما يستحق الذكر ، فقد وصلنا في الساعة السادسة صباحًا إلى كبرى الاستراند ، ومعنا عشر قوارب أخرى محملة خوخًا ، مرسله إلى إحدى شركات الفاكهة .

•••

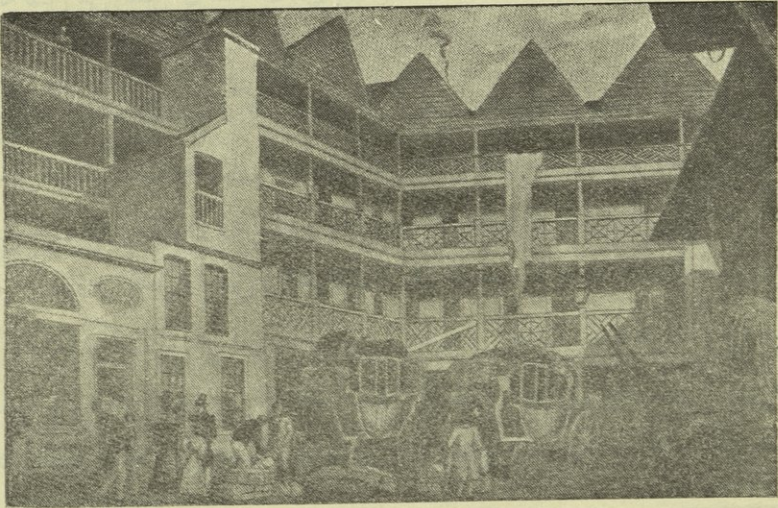
وعندما وصلنا كان حراس الليل يتكون مكانهم إلى من أتى ليحل مكانهم قبل أن يفتح الصباح . وبينما كنا في طريقنا إلى السوق كان منظفو المداخل يمرون بنا إلى عملهم الباكر ، وقد حدث أن احتد الجدل بين أحد هؤلاء وبين فتاة من بائعات الفاكهة ، عن حواء والشيطان ومهمة كل منهما !  
ولا أظن هنالك أمتع من أن تقطع الوقت في سوق «كوفنت جاردن» تنتقل من مخزن فاكهة إلى آخر ، بينما يحيط بك جمع من الفتيات الصبوحات الوجه ، يتعن من هذه الفاكهة ويحملنها إلى دورهن ، ولم أترك هذا السوق بمناظره المتجددة إلا وقد بلغت الساعة الثامنة .

•••

وهنا استأجرت عربة ، وتبعتم بها عربة أخرى استأجرتها فتاة ، من هؤلاء الفتيات اللاتي يعشن لأنفسهن ويعشن لكي يوقعن غيرهن في جهنم .  
وإذا تقابل سائقان من سائق العربات في الطريق أشارا بأصابعهم اشارات خاصة عن مقدار مكسبهم في ذلك اليوم ؛ ويرسلون هذه الاشارات الخفية فيما بينهم ليدلوا عن المكان الذي يذهبون اليه . وفي لحظة عرف سائق عربتي المكان الذي يقصده السائق الآخر ، وكان سانت جيمس .

وقد كان سائق عربتي كيساً فاختصر الطريق ودار حيث تلاقي بعربة الفتاة ، وتظاهر بأنه يهدد رفيقه ليفسح له الطريق حتى اضطر الفتاة الى أن تفتح نافذة العربة وتطل بوجهها المحجب لتسأل عن الخبر ، وكانت النافذة صعبة الاغلاق فتركتها مفتوحة !  
بعد ذلك أخذت الوجوه الارستقراطية تختفي ، عندئذ فكرت في أن أسير على قدمي اقتصاداً . مع أنني أشعر بارتياح للتجوال بالعربات ، خوفاً من مواجهة جموع

المتسولين ومعنى الشوارع . وقد حدث هذا فجأة ، فبينما كنت أنصت الى احد هؤلاء المغنين في ورك استريت ، إذ بشحاذ يعرفنى هجم على ، وبدأ يوجه الى الأنظار بما يقصه على عن فقره ، وعن حاجته الملحة الى ست بنسات ليروى غلته من أقرب حانة ، لتلاميوت ظمأ اذا لم أسعفه ؛ ودفعت المهزلة الرعاع الى تبادل النكات ، فلم أجد بدأ من الهرب الى أقرب عربة .



احدى خانات لندن المندثرة

وكانت مظاهر النشاط والحياة والعمل بادية في كل مكان مررنا به ، وكنت شديد الاغبتاب بكل ذلك ، واشتد هذا الاغبتاب عندما أخذنا طريقنا الى السقي مركز لندن التجارى ، بأبنيتها الفاخرة ، ومتاجرها الأنيقة ، ومعرضاتها الزاهية . وهكذا سرنا حتى وصلنا الى برصة لندن القلب التجارى للعاصمة .  
وأخذت أرقب بلدة ذلك الجمع الفقير الذى يروح ويدعو حولى يقوده الرجاء والأمل بالكسب والثراء ، وقد كنت أشعر بأننى أسعد رجل فى البورصة ذلك اليوم،

لأننى كنت أشارك كل راجح في سروره وغبطته .  
ثم عرجت على المتاجر النسوية ، وفيها الأصابع البضة تعمل بجد في لف الشرائط  
والوجوه النضرة منهمكة في بيع المشابك .

ثم أخذت طريقى الى احد المطاعم حيث كان كل من فيه يتناول طعامه من «حساء  
وقديد اللحم» في صمت وفي سكون ، هذه الطبيعة وهذا الجمود الذى جبلنا عليه ،  
كأنه ليس من العقل أن نتحدث الى بعضنا الا اذا كنا معارف ، لاعلى اننا ناس ليس الا

...

وقبل الساعة الخامسة تركت الستى الى كوفنت جاردن ، وقضيت المساء فى احدى  
المقاهى حيث كنت انصت الى أحاديث كثيرين ممن كانوا يتناقشون عن القمار وعن الحظ  
وعن الحب وعن الفنون وعن السياسة . وقد طال الجدل فى شؤون السياسة حتى سمعنا  
ناقوس حارس الليل ولم يبق فى الطرقات الا هو يصبح « انها بعد الساعة الثانية »  
وهكذا تركت المسكان الى مخدعى يقودنى خادم ، أخذت أسأله عن شئونه وحياته  
الخاصة ، ونفحته متساخيا ست بنسات . ولما كنت فى حجرتى أخذت فى تدوين هذه  
الملاحظات الدقيقة التى سمعتها ، ولعمري ماذا يستفيد القارئ من هذه الملاحظات  
التى لا قيمة لها ؟ ...



### رستارد امبيل

لندن فى ١١ أغسطس سنة ١٧١٢

حتى سمعنا ناقوس حارس الليل . . .

## مكتب الامتعة الضائعة

في بناية اسكوتلاند يارد المعروفة ، وعلى الجانب الآخر من وست منستر وامام البرلمان الانجيزي ، مكتب للامتعة الضائعة في لندن ، أو على الأصح مخزن لهذه الأشياء المنسية .

لم أدخل هذا المكتب زائرا أو متفرجا ، بل زبونا ، ولم أدخله مرة واحدة ، بل أكثر من مرة .

ومن الذي يعيش في لندن ولا ينسى ؟ ولا ينسى نفسه في بعض الأحيان ! وانا من هؤلاء الذين ينسون أنفسهم في بعض الأحيان ، وان كنت لا ابحت عنها في هذا المكتب ..

ان مثل هذا المخزن لم يوجد إلا لأن بعض الناس ينسون ، ولم يوجد الا لأن بعض الناس أمناء ، فالنسيان وحده لا يخلق هذا المكان الا اذا اقترن بالأمانة

...

تدخل هذا المكان فتجد مئات الأشياء الضائعة ، تجد الآلاف منها ، حتى انك لتذهل كيف ان هناك آلافا من الناس رجالا ونساء تشغلهم الحياة عن أن يفكروا فيما حملونه . يتركون هذه الأشياء في القطارات وفي الترام وفي الامنوبيس وفي عربات التاكس .

ودرجة النسيان ترايدت بتزايد الحركة ، وكثرة وسائل النقل ؛ فالسافر الذي صار

متقيدا بالدقائق والثواني ، لاتتاح له فرصة ليفكر في شؤونه الخاصة . وسرعة وسائل النقل من ناحية اخرى قد جعلت التذكر لايجدى ولا يفيد ؛ وعند ما كان العهد عهد العربات ، كان ميسورا للرجل أن يركض وراء العربة اذا خلف فيها شيئا ، أما اليوم فاذا ماترك الامنوبيس فان الركض أو النداء لايجدى ولا ينفع في الوصول اليها .  
بالأمس فقط خلفت أكثر من شيء واحد في ميلان ، وقد كنت مسافرا من لندن إلى البندقية ، ولم أكن اعرف أنه لابد من التغيير في هذه المدينة ، مع محاولة سيدها الإيطالية كانت بجانبى تفهيمى هذه الحقيقة بلا جدوى  
لا يعرف الم النسيان الا من ذاق مرارته ولا يعرف لذة الوجود بعد الضياع إلا من وجد شيئا فقدده ولو كان نافها ضئيلا .

...

حذاء ، ولثام ، وعلبة حلوى ! مجموعة غير متناسقة ! وهكذا لاتعجب إذا زرت مكتب الأمتعة الضائعة في لندن ، لأنك تجد فيه كل شيء ، كل شيء تتصوره ، كل شيء يمكن لانسان أن يحمله .

ليس في أن ترى حذاء مفقوداً شيئاً من العجب ، ولكن كيف يتسنى لرجل أن يترك ( جرامافونا ) بأكملها في القطار ؟ وكيف تنسى سيده حقيبة ضخمة ، أو علبة كبيرة بها ملابس حريرية جديدة ؟ كيف ينسى هؤلاء الناس معاطفهم وقبعاتهم ؟؟ كيف يسرون بدونها ولا يشعرون !

سأل أحد الصحفيين الانجليز عن أغرب ما وصل الى مكتب الأمتعة الضائعة في لندن ، فعد له الموظف أشياء لا تكاد توجد في عربات الترام والقطارات .

« حمل إلينا بعض أصحاب عربات التاكسي ، دباً صغيراً قد نسيه أحد الزبائن في عربته . وكانت مشكلة حفظ هذا اللب لا يستهان بها ، حتى جاء صاحبه وهو اسكتلندي عاش في المستعمرات واسترد بضاعته . وخيرا فعل .



وفي مرة أخرى وردت إلينا لفافة بها عظام إنسانية ، وفي مرة أخرى كبد محفوظ  
وهذه بلا شك خلفها بعض طلبة الطب .

...

وأكثر الأمتعة ضياعاً ، المظلات والعصى ؛ فانك إذا دخلت ردهة هذا المكتب ،  
تجد مئات بل آلاف من المظلات لا ترى منها الا رءوسها الناتئة وقطعة الورق المتدلّية  
منها والتي كتب عليها تاريخها ونمرتها .



آلاف المظلات والعصى لا تظهر إلا قبضاتها . .

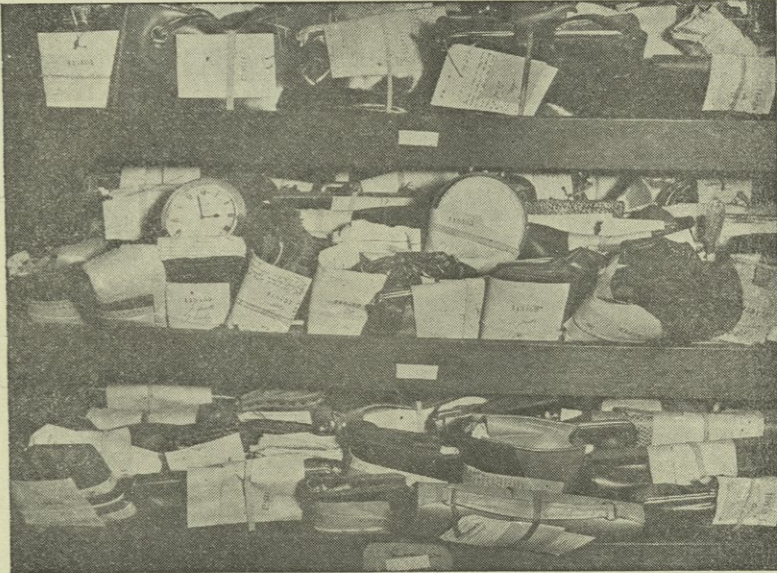
انك لتعجب كيف يتسنى لرجل أو امرأة أن تبحث عن مظلتها المفقودة ، بين هذه  
الآلاف من المظلات الممتدة رواقاً رواقاً من السقف إلى الأرض . قبضاتها جميعاً  
متشابهة ، لأنه إذا ابتكر زى جديد لاسيما من أزياء السيدات فانه ينتشر كالنار  
والهواء .

وفي هذه القاعة تشاهد أحدث الأزياء وأكثرها انتشاراً فاذا كان الزى الغالب  
في ألوان هذه المظلات اللون الأزرق رأيت هذه القاعة يغلب عليها هذا اللون  
راقب هؤلاء الداخلين تجد أكثرهم من السيدات ؛ وليس ذلك لأن السيدات  
أكثر نسياناً أو لأن لديهن من مشاغل الحياة ما يلهيهن عن التذكّر ، بل لأنهن

أكثر اعتزازاً بما يملكن فإذا ما ضاع منهن شيء ولو كان تافهاً بحثن عنه بجهد وعزم .  
 وبين هذه الآلاف من المظلات قد تلمح السيدة مظلتها في لحظة وتهرع إليها ؛  
 يا لها من عين فاحصة ، بل ياله من قلب يدير صاحبه إلى حيث يحن !  
 ثم راقب القادمين للبحث ، وانظر إلى لطفهم وإلى عيونهم الزائغة وهم يشرحون  
 أمرهم إلى عامل المكتب ؛ ويذكرون الكثير من التفاصيل ، وكثير من هؤلاء أيضاً  
 من السيدات ؛ لأن المرأة أكثر الناس عطفاً على الغير ، وأكثر الناس طلباً للعطف ؛  
 فهي تشعر بأن مصيبتها مصيبة الجميع ؛ وان ما يتبناها يجب أن يعرفه الجميع .

...

ولو كان لكل الناس عزم المرأة في البحث عما يضيع منها ، خلف الحمل ، ولكن  
 الكثيرين يتألمون ولا يتكلمون، ويتذكرون ما يضيع منهم ولا يحاولون البحث عنه.



لأنك تجد فيه كل شيء . . .

وفي كل ثلاثة أشهر ، تجرى عملية تصفية ! ولولا ذلك لكان سيل المظلات  
والعصى والقبعات والحقائب لا ينتهى ، ولا يمكن أن تتسع له جدران هذا المكان .  
وفي كل ثلاثة أشهر توزع هذه الأمتعة على من وجدها من عمال القطارات والترم  
والامنويس والتاكس ؛ توزع على غير أساس سوى أن كل من وجد شيئاً أخذه  
لنفسه ولو كان لا يصلح له .

وهكذا تجد سائق التاكس الضخم يخرج حاملاً مظلة نسوية صغيرة ؛ أوزوجا  
من القفازات ! ..

ولكن ، أليست كذلك الحياة حطاً وقسمة !

## ضيوف الشارع

في ضوء النهار ، وفي ضجيج الحياة والعمل ، وفي زحام الطرقات في هذه العاصمة  
الصاخبة لا تكتشف تلك الوجوه التي جعل أصحابها هذه الطرقات وهذه الشوارع  
بيوتهم ودورهم .

لعل أحداً منا لم يشعر هذا الشعور ، شعور من يضرب في الأرض دون أن يقصد  
داراً معينة يأوى إليها إذا ماتعب أو سأم السير، ودون أن يبحث عن مكان يستقل به  
وحده دون أن يشاركه فيه أحد، ذلك لأنه قد جعل هذه الشوارع وهذه الميادين والطرقات  
داره وبيته ، ومن الذي يشاركه في ذلك ؟ لا يرضى بهذه الملكية سواه . فهو في الحقيقة  
ضيف الشارع وصاحبه .

قليل منا من رأى ضيف الشارع في بيته وقد دخلت الشوارع والطرقات من الناس ،  
ولم يبق إلا رجال البوليس وبعض أصحاب التاكس يتخطرون في ملابسهم السوداء ،  
وتترجرج نمرهم المعدنية على صدورهم .

...

أخذت أدق باب منزلي ، فلا من مجيب . فقد خلفت المفتاح ، ومن نكد القدر ان  
صاحبة الدار صماء لا تسمع . فكان من العيب أن أسمع الصم دعائي .  
خرجت لأبحث عن فندق أقضي فيه ليلتي . فأخذت الساعات تتوالى وأنا أطرق  
باب الفنادق القريبة فلا أجد مكاناً خالياً ، مرت الحادية عشرة والثانية عشرة . ثم الساعة

الواحدة والثانية والثالثة ، وأخذت لندن تقفر ، ولم تبق إلا وجوه جعلت الليل نهارها ، ولم يبق من مظاهر الحياة والبيع والشراء ، إلا تلك المقاهى الليلية المتنتقة ، حيث يباع الشاي والساندوتش ويقف أمامها هؤلاء الضاربون في أرض الله بلا غاية ولا حساب للزمن ؛ ومن حين لآخر تجد بعض فتيات من فتيات الشارع بطابعهن المعروف ، يتحدثن مع رجل البوليس في ركن الشارع ، ويحيين رجال التاكس إذا مررن بهم .

أخذ اليأس يتطرق إلى نفسي وأخذت أفكر كيف أقضى هذه الساعات الباقية من الليل ؛ ولكن فجأة انقلب هذا اليأس شهوة غريبة ، فلم أعد أشعر بتعب السير أو اعياء السهر ، وأخذت أغنى وأصفر ، وأضحك إلى نفسي .

ولماذا البيوت والمنازل ؟ ولماذا لا نعيش أحراراً نبيت في أي مكان ، ونسكن أي ركن ؟ لماذا لا نعيش ضيوف الشارع . قيدنا أنفسنا في هذه الحجرات الضيقة ، حتى تحكم سلطان العادة على نفوسنا .

ما أجمل الليل في هذه الساعة المتأخرة ؛ وما أجمل ميادين لندن ومنتزهاتها الصغيرة وما أفن الجلوس تحت إحدى تماثيل ميدان البرلمان أو ترافجار !

قد يجد الشباب فتنة وسحراً في هذه الحياة الحرة الطليقة في المربع الأخير من الليل ؛ وقد أجد متعة وجمالاً في هذه المنتزهات لكي أجلس وأدمن التفكير ، ولكي أتصور وأتخيل ، وأحلم . ولكنها حرارة الشباب وقوة الفتوة هما اللتان ترسمان هذا السحر وهذا الجمال .

فإنك إذا تلمست الراحة بين هذه المقاعد ، لم تجد ذلك الشباب الذي يبحث عن السحر والجمال والحرية ، لم تجد تلك القلوب الحارة التي تتدفق بدم الفتوة ؛ لم تجد أحداً من هؤلاء .

ليس ضيوف الشارع من عشاق الحرية ، بل من هؤلاء الذين أعجزتهم الفاقة ، وأعجزتهم السن عن أن يطلبوا الراحة والدفء وراء جدران البيوت . .



وتحت أقدام تمثال نلسن يجلس هؤلاء الضيوف . .

على ضفاف التيمز ، على مقاعده الحجرية المبللة بالندى ، وتحت مسلة كليوباترة المصرية يجلس هؤلاء الضيوف ، وتحت أقدام تمثال نلسن يأوى هؤلاء الضيوف ، وفي ظلال البرلمان الانجليزي ، ودير وستمنسر، وفي تلك الحدائق التي ارتفعت فيها تماثيل الساسة والقواد الذين بنوا الامبراطورية الانجليزية ، وعلى المقاعد الحديدية الجامدة المتفرقة في الحديقة ينام هؤلاء الذين لفظتهم الحياة . ينام هؤلاء رجالا ونساء ، وقد هدهم الكبر وعجزوا عن العمل فطفقوا يجاهدون الطبيعة في بيتها ، وقد وهن عزم الشاب عن جهادها! هذان الزوجان يجلسان على المقعد جنباً إلى جنب وقد التفا بأسمالهما حتى لا تكاد ترى وجهيهما؛ لم يبق لهما من أمل في هذه الحياة إلا أن يقضيا السنين الباقية من حياتهما بل الشهور والأيام جنباً إلى جنب . لقد ارتقيا درج الحياة خطوة خطوة ، وقد سارا سوياً في ربيع الحياة ، كما قطعنا مراحل الحياة الأخيرة في جهاد ونضال .

لا يملكان إلا الحب ، جبا ثبت على ممر الأيام ، جبا غسلته مياه المطر التي تسقط

على رأسيهما في ليالى الشتاء الطويلة ، جبا قدسته الفاقة والفقير .  
وماذا فعل هؤلاء الساسة والمفكرون في سبيل هاته النفوس الشريفة، ماذا فعل هؤلاء  
القواد في سبيل هؤلاء الذين يجاورون تماثيلهم ويصحبونهم في الليالى الموحشة المظلمة ؟

...

ولكن من بدري لعل هذه النفوس قد استولت عليها الشهوة التى استولت على غيرها  
من قبل، استولت عليها النزعة البوهيمية التى لا تقرب ولا تهدأ فى نفوس أصحابها .  
لعلهم يهزأون بنا ونحن نمر بهم سراعاً إلى بيوتنا وقد انهمر المطر أو عصفت الرياح،  
لأننا نهرب من الطبيعة ، أمنا . لأننا نهرب من الحياة ، ونفر من الحرية !

## لندن في الظلام

لم يكن غريباً أن تجد في سنى الحرب الأولى، كثيرين ممن كانوا يجدون متعة وجمالاً في ظلام الشوارع والطرقات في الليل، ممن كانوا يقولون ان لندن لم تكن في وقت ما أكثر جمالاً. نعم، قد يكون ذلك. ولكن هذه حقيقة مرة.

لقد كانت مرتفعات بيكادلي دائماً جميلة جذابة، وكان التيمز من كبري وستمسر إلى بلاك فراير فتانا في الليل، تسرى مياهه بين الأضواء والظلال المنعكسة عليه من الضفتين، وكانت هايد بارك دائماً أشبه ببرية مظلمة، كثيرة المصاييح، تعكس نورها على مياه السربنتين المترجحة فترسم عليها ما يشبه الكتابة الصينية.

أما شلسي ففي ظلام دامس، وكانت شلسي قبل ليالى الحرب كذلك شديدة الحلكة كأنها قرية في برية موحشة. وإذا كانت شلسي مظلمة إذ ذاك، فان الايست اند كان أشد حلكة وظلاماً، كانت المصاييح التي تنير دروبه وأحياءه القذرة الملتوية لا يكاد ضوءها الأصفر الباهت يكشف عن مظاهر الفقر فيها.

وإن كانت الذاكرة تخوننا اليوم عن أن نذكر بدقة ما كانت عليه لندن إذ ذاك، إلا أنها بلا شك كانت بقعة سحرية جذابة؛ بقصورها المضاءة المتألثة، وبأحيائها المظلمة القائمة، وبضواحيها النائمة الهادئة.

وخير ما فعل هذا الظلام أن غطى عن عيوننا تلك الضواحي التي ليس لها من الشخصية حتى نقول عنها أنها قبيحة، وأنه حول تلك الصفوف من المنازل المتلاصقة



إلى أكواخ بسيطة ، والشوارع العريضة ، إلى ممرات تسير فيها أشباح تحمل المشاعل بكل احتراس وهدوء .

وموزعة البريد وحدها بمصباحها الكبير ، وبخطواتها الثابتة تنتقل من منزل إلى منزل ، كانت لها شخصية رجل البوليس ، وكانت تمر على هذه الأشباح بقدم ثابتة ، بينما هم كأرواح تبحث عن أبواب الجنة على ضوء الشموع !

...

لقد كان النور الكشاف جميلاً فاتناً ، كأنه سيف ناصع البياض يلمع فوق لندن . لهذا كان عشاق الظلام على حق ، عندما كانوا يلهجون جمالا في أركان لندن المظلمة . وهذه الأنوار الكاشفة ، التي كنا نراها في سنى الحرب الأولى لا تقارن بعشرات الأنوار القوية التي كانت ترسل على لندن بعد ذلك . تلك التي كانت تثير الخيال ، وتجعل الناظر يتصور كأنه رحالة يبحث بين النجوم البعيدة .

وكانت هذه الأنوار العديدة تكوّن أشكالاً هندسية مركبة في الفضاء ، وكأن لندن رياضي يرسم هذه الأشكال المنتظمة على ورق أسود .

في ليالي الضباب الرطبة ، كانت هذه الأنوار الكاشفة تثير حوافي السحب باطواق من الذهب ، وفي الليالي التي تغير فيها مناظير زبلن ، كنت ترى الفضاء السحيق كأنه منشور بزهور الزنبق الأبيض في شماله وجنوبه ، في شرقه وغربه .

ولقد كانت مناظير زبلن في نظر الكثيرين تحفة جميلة تجمل فضاء لندن وظلامها ؛ ومن ينظر إليها بلا تحامل - كما أنظر إليها أنا - يرى هذه المناظير وقد انعكست عليها الأضواء الكاشفة ، كأنها أسماك فضية لامعة .

ومن الذي لا يهتز لرؤية هذه المناظير ، وقد انفجرت حولها القنابل في الليالي المظلمة الممطرة ، كأنها ألعاب نارية فتانة ؟

وعندما أخذت العيون تعتاد رؤية هذه المناظير في جو لندن ، أخذ هذا السحر

يتلاشى من القلوب ، ولم تكن تخفى في الصدور من أثر إلا المصائب التي كانت تفيض  
بها على لندن وأهلها . ولقد اعتادت العيون على غارات زبلن ، حتى لم يعد يستحق  
الفرجة والاستطلاع أن ترقب منطاداً من هذه المناطيد تلتهمه النيران في الفضاء !

...

ومع كل هذا فان ذكرى غارات زبلن وذكرى الأنوار السكشافة لن تبرح الذاكرة  
خلال الستين سنة القادمة .



الغارات الهوائية على لندن

وسوف يقص رجال ونساء اليوم على أحفادهم فيما بعد ، كيف رأوا سفينة معلقة في الفضاء تنعكس عليها الأضواء الذهبية من كل جانب . وكيف اختفت هذه السفينة فجأة ، فابتلعها الظلام ، يدوى فيه الصدى ...

وعلى حين فجأة أخذ الفضاء ينير كأنه فجر كاذب . وأخذت كرة من اللهب تسطع في الفضاء ، ثم ابتلعها الظلام ثانية ، ولم يبق إلا خيط متقطع من النور يهوى إلى الأرض ، هو آخر منظر من مناظر هذه المساة .

أما من كان قريباً من الحادث فانه يقص قصة أخرى . انه سوف يذكر كيف أن الظلام قد انكشف عن مئات من الأضواء الخاطفة في منتصف الليل ، وأنه سوف يذكر كيف تلاقي شروق الشمس بغروبها ؛ وكيف أن الشمس الغاربة قد ابتدأت تهوى إلى أسفل ، تهوى على رؤوسهم بعينها الحمراء ، وبفمها الفاجر القاني ، تحمل الهلاك والدمار . ثم كيف التهم الظلام هذه الأضواء ، وارتفع الهتاف والضحك في الشوارع ! نعم لم تكن لندن تخلو من ساعاتها الشائقة ، في تلك الأيام .

...

نعم إن لندن بطرقاتها المظلمة كانت فائتة في ذلك العهد ، وفي غير الليالي المقمرة ، كنا نسير في عالم من الخيالات والظلال ، تسرى بلا صوت كالأطياف حولنا . ولكن عربات الترام التي كانت تخترق الطرقات كأنها سفائن من النور ، كانت بلا شك أكثر فتنة من عربات الأمنيوس المظلمة التي تضيق بركابها والتي تسير في ذلك الظلام الى حيث لا تدرى .

وكانت صفوف عربات التاكسي في الشوارع تشبه خطوطاً من النجوم المتلألئة ؛ وفي الليالي الممطرة كانت العربات بمصابيحها الحمراء الخالية التي تنعكس على أرض الشارع المغسولة بمياه المطر ، كانت تقلب هذه الطرقات الى شيء أشبه بجداول البندقية .

وفي سني الحرب الأولى لم تكن قوانين الاضاءة صارمة كما هي اليوم ؛ فقد كان

يسمح لنا ببعض الضوء الخافت، حتى كنا نقرأ صحيفة المساء في عربات الامنوبيس .  
نعم لقد كان جديراً بنا أن نذكر ذلك الجميل لا أن نضج به .  
أما اليوم فقد بلغت الحلكة شدتها ، حلكة لا ثلثة فيها للضوء والنور . والسير  
في هذا الظلام الدامس ، كالسير في منجم غم بلا مصباح . وفي كثير من الطرقات  
كان عسيراً على الرجل أن يتحاشى الاصطدام بشجرة أو بمصباح الشارع ، وكان ليس  
بعجيب في الليالى التى لا يطلع فيها القمر ، أن ينكفئ السائر على عتبات منزله إذالم  
يكن يحمل مصباحاً كهربائياً في جيبه .

والتفكير في الوسائل التى كانت تستخدم لاحفات ضوء المصابيح ، فيه شئ من  
المتعة والسلى . فبعض هذه المصابيح كان يلمخ « بالهباب » الأسود ، حتى صارت  
أشبهه بالداخن والأفران ؛ وبعضها كان يحمل نقاباً أسود ، به فتحات صغيرة  
ينفذ منها الضوء فكانت هذه المصابيح أشبه بالجلادين المقنعين في القرون الوسطى !  
وكانت الاضواء الخافتة التى ترسلها هذه المصابيح على كل لون ، من أزرق وأخضر  
وأصفر . وكانت هذه المصابيح التى خفت ضوءها تشبه مصابيح الورق الصينية تهتر  
على خيوطها .

ولم يكن في هذا الظلام الحالك ما يشرح الصدر ، أو يدخل السرور والمرح على  
النفس . حتى أولئك الجنود من الاستراليين الذى يسرون جماعات وبتجمهرون  
في أركان الاستراند ؛ تراهم في هذا الظلام كأنهم خيالات لا حقيقة لهم ؛ وأولئك  
الفتيات يسرن كأنهن أطياف لا تسمع الا أصواتهن .

لقد كان هذا الظلام مقبضاً لمن كان يخرج للسهرة ؛ فلم تعد المشارب والحانات  
ترسل أضواءها من النوافذ فيتجمهر حولها الرعاع ، بل كانت أشبه بالسجون الموحشة .  
وكانت أبواب دور السينما مظلمة مقبضة كأنه كتب عليها « تخل عن الرجاء والأمل ،  
أيها الداخل في هذه الدار .. » .

وكثير من الناس كان يفضل أن يجلس في قعر داره عن أن يبحث عن متعة في هذه الأماكن التي كانت تثير الانقباض ولا تثير المرح . كانوا يجلسون في بيوتهم يتحدثون . . . ولكن ياله من حديث !!

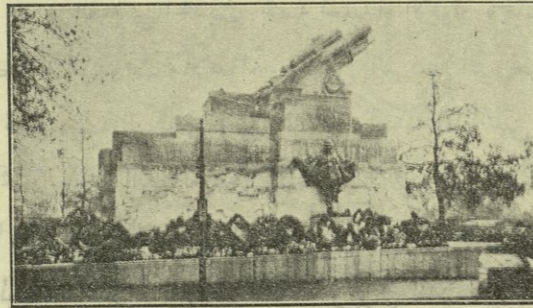
ولكن لحسن الحظ ، لقد خلقت عند خلق هذه الأرض شمس كما خلق مع خلقها القمر . وانه ليس هناك من قوة ، ومن سلطان على تنظيم دوران هذه الشمس .  
لقد كان ذلك من حسن الحظ .

انه القمر الذي كان يجعل الليل في لندن جميلاً فتاناً في سني الحرب ؛  
انه القمر الذي كان يجعل ميدان ترافلجار ناصع البياض ، ساحراً يلعب بالعواطف ،  
كأنه مدينة مراكشية بيضاء .

انه القمر الذي كان يجعل متحف سوت كنز جتن يبدو كأنه بني حقيقة لأجل  
الفن والموسيقى .

لندن تحت ضوء القمر مدينة خيالية بشوارعها وأهلها . وفي ضوء القمر ، لم تكن  
المصاييح المعتمة تبعث في النفس الانقباض والحسرة ، بل انها كانت كالشاعل  
المنطفئة ، اذا ما برز القمر ، وأخذ يفيض على لندن جمالاً وسحراً ، ويجعلها فاتنة  
كأنها البحر المتماوج الذي لا يهدأ .

روبرت لندر



## برج لندن

قضيت في لندن سنين قبل أن أفكر في زيارة برج لندن . ولم أجمع الرأي على زيارة هذا الأثر التاريخي إلا حين عزمت على نشر هذا الكتاب عن لندن .

وليس ذلك لأن برج لندن لا يستحق الزيارة ، بل لأن برج لندن قد ارتبط بذكريات عديدة ، بذكريات سوداء لا أريد أن استرجعها ، ولا أريد أن أثبتها برؤية المسرح الذي مثلت عليه هذه المأساة ؛ لأن برج لندن يذكرني بتلك العهود التي كانت فيها حياة الافراد تحت رحمة الالهواء ، وكانت فيها حريرتهم مرهونة بكلمة يفوه بها صبي أو تتلفظ بها محظية ، في الغرب كما في الشرق .

برج لندن يذكرني بالباستيل في باريس ، يذكرني بقصور السلاطين وسجون البسفور التي كانت لا يدري أحد ما يجري وراء جدرانها وما يقترف في سراديبها . ولكن الباستيل لم تبق ذكراه الا في الكتب ، وعلى انقاضه قام ميدان الحرية وتمثال الحرية ، يذكرني الفرنسي الحديث بقصة استبداد الافراد بالجماعات ، وبتاريخ اسود دونت صحائفه الشهوات والأهواء . ولكن الفرنسي التي يجري فيه الدم اللاتيني الفائر ، قد يشرب الكأس حتى ثمالته ، ولكنه اذا انتهى جرعه غيره ؛ فالأعصاب التي تحتل رؤية الفظائع ، هي الأعصاب التي ترسل هذه الفظائع على رؤوس أصحابها دون تردد أو خور في العزيمة .

هنا تتجلى الطبيعة الانجليزية الباردة . هذا هو برج لندن لا يزال يرفرف عليه

العلم الانجليزي ، ولا يزال يحتفظ بيهاه وعظمته ، ولا يزال يحتفظ بتقاليده التي  
صرت عليها مئات السنين . حراسه بملابس القرون الوسطى الحمراء الزاهية ، يصغون  
جوه بصغة تلك العصور التي كان فيها هذا البرج مركز الرحي في لندن .  
في كل ركن من أركان هذا البرج صورة سوداء لعصر من عصور التاريخ  
الانجليزي : عطاء سجنوا في سراييه عشرات السنين ، أمراء اغتيلوا في أمهائه ،  
ملكات ونبيلات شنقن في حدائقه .

...

ليس في كل هذا ما ينفّر هذا الشعب من قضاء يوم بأ كمله في البرج يستعيدون  
هذه الذكريات بجمود وبرود ؛ ليس في كل هذا ما يثير الدم في صدورهم فيفكرون  
في القضاء على مثل هذا الأثر الذي لا يرتبط بمحدث يدل على عظمة أو مجد في الماضي ،  
بل على استبداد وعلى وحشية .

لا . ليس هذا متيسراً في إنجلترا . ليس هذا مما يحتمل حدوثه من افراد هذا  
الشعب الذي يحتمك لتمييزه قبل أن يحتمك لعواطفه .

ولماذا نهدم هذا الأثر ؟ ولماذا نقضى على حلقة من تاريخ إنجلترا ؟ ان كان هذا  
البرج رمزاً للاستبداد ، فان ذلك قد كان في عصره وليس في هذا القرن العشرين .  
إننا نذهب بأولادنا لنقضى اليوم في حدائقه ، لنأكل ونشرب ونطرب . ولا نذكر  
أن في هذا المكان أقيمت المشنقة أو رفعت الفأس لقتل وترالى أو آن بولين أو  
جان جراى . ولكننا نذكر أن هذا البرج رمز لقوة الملك في عصور مضت ، رمز  
لعظمة إنجلترا ؛ لعظمة الآباء والأجداد .

هذه هي الفلسفة الانجليزية ، التي لاتدع الدم الحار يطغى على تفكيرها فتفقدتها  
البرود والجمود الذي تتميز به .

...

تسير في الطريق الى البرج فتجد صورة أخرى للندن لا تعرفها من قبل . تجد حياة غير الحياة التي تعيشها في لندن هذه السنين الطويلة . لندن القديمة التي تطل على مياه التيمز ، هي غير لندن التي تتمركز حول بيكادلي أو هايد بارك .

ليس في التيمز ما يبهز بياحه البيضاء التي اختلطت بالجير والطباشير ، ليس في هذه لأبنية التي تطل على مياه التيمز ما يفرح ، وليس فيها جمال ولا ابداع . أبنية تلطخت بالدخان والهباب من مداخن المصانع العديدة التي تطل على النهر ، ومن مداخن القطارات والبواخر النهرية التي تنقل الفحم والخشب والخبور وغيرها من هذه المعامل والمخازن والمستودعات إلى المحيط .

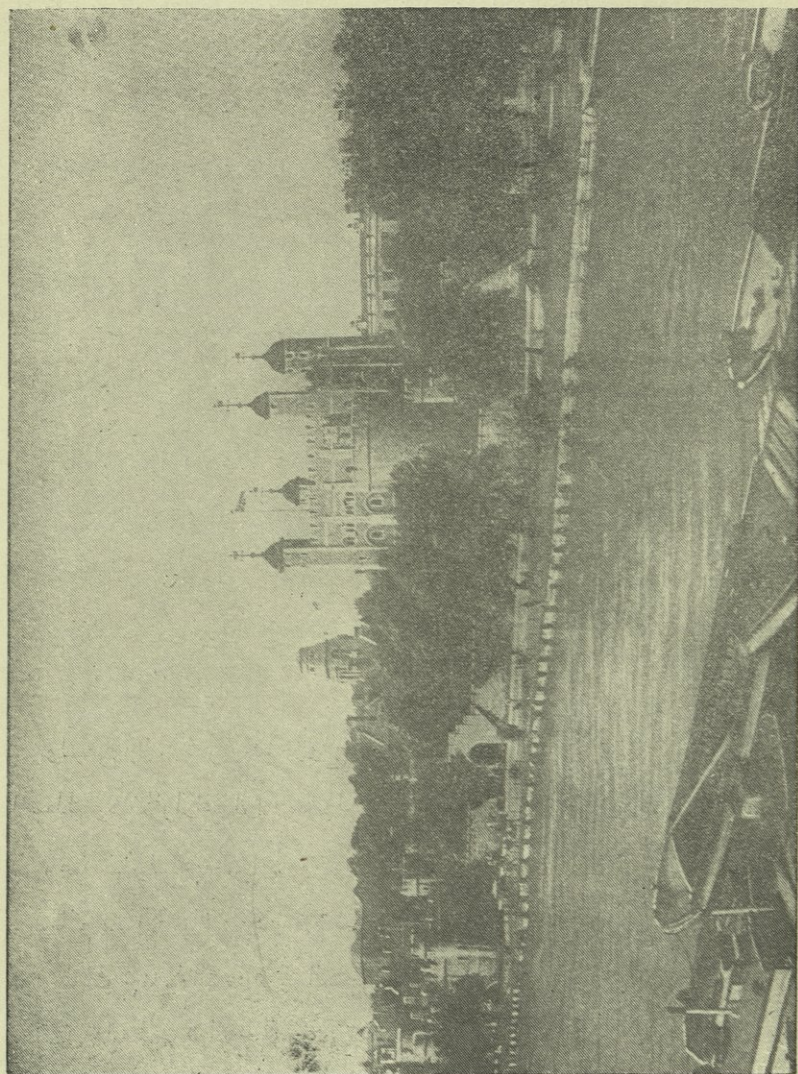
إذا ما تخطيت السور وسرت في اتجاه البوابة الحجرية ، قابلك بعض الحراس بملابسهم الحمراء المخططة وبقبعاتهم الملونة الطويلة ، يتخطر بعضهم بشئ من العظمة المصطنعة ، أو يجلس يرقب الرأحين والغادين برزانة وثقة بنفسه ، وإذا سألته لا يكاد يسمعك الا كلمات معدودة على قدر الحاجة وهو منصرف عنك بوجهه ، زعة مصطنعة يحاولون بها أن يرجعوا بك الى قرون خلت ، عند ما كان اسم هذا البرج يبعث الرهبة والخوف في النفوس ، وعندما كان أجداد هؤلاء الحراس أو آباء أجدادهم ، يتصرفون في أولئك التعساء الذين يرسل بهم الى البرج ليعيشوا هناك الى الأبد ، تحت رحمة هؤلاء الحراس أو تحت سوط تقمتمهم .

تسير في الممر الذي يقودك الى قصر الجواهر ، فتمر على بوابة ضخمة واطئة تصل النهر ببعض سراديب القلعة .

هذه المداخل السرية للقصور والقلاع كانت شائعة في القرون الوسطى ، هذه هي الطرق السرية التي لا يعرف من يدخل فيها أو من يخرج منها .

هذه البوابة تدعى « بوابة الخونة » وهذا الاسم وحده يكفي ليدل على مهمة هذه البوابة . هؤلاء الخونة الذين نصبت من أجلهم هذه البوابة ، هم أولئك الذين غضب





برج لندن من التيمز

في حين اننا نرى في هذه الصورة منظرًا رائعًا من نهر التيمز في لندن، حيث نرى برج لندن في الخلفية، وهو من المعالم الشهيرة في المدينة. في المقدمة، نرى قاربًا صغيرًا يبحر على المياه الهادئة. هذا المشهد يعكس الجمال التاريخي والثقافي لهذه المدينة العريقة.

عليهم الملك أو أحد الأمراء ، أو من يتصل بهذا الملك أو بهؤلاء الأمراء من محاسيب أو محظيات . فيرسلونهم سرّاً على مياه التيمز الى هذه القلعة ، دون أن يعرف أحد من أمرهم شيئاً ، قد يسجنون في إحدى زرنات البرج وقد يعذبون فيها أو يقتلون ولا يدري بخبرهم أحد . فاذا اختفى أحد هؤلاء ، سرى الهمس بين الشعب بأن هذا الغائب قد صار ضيفاً على برج لندن .

هؤلاء هم الخونة . وقد لا تكون هذه الخيانة نحو وطن أو نحو أمة أو شعب ، بل نحو أفراد وفي سبيل مطامع شخصية . وعلى هذا النحو كانت تعرف الخيانة .  
كلما ذكر برج لندن كلما ذكر اسم سير ولتر رالى القائد البحرى المشهور الذى أسس ولاية فرجينيا فى أمريكا ، هذا القائد العظيم قضى أيامه الأخيرة ، ولم تكن أياما بل أعواما طويلة ، أربعة عشر عاماً ، فى حجرتين ضيقتين . وفى نهاية ذلك حكم عليه بالاعدام . كانت أول جريمة ارتكبها ، والتى اثارَت عليه غضب الملكة اليصابات ، انها سمعت بشبه علاقة بينه وبين إحدى سيدات القصر الجميلات ، اثارَت هذه العلاقة غضب الملكة أو غيرها على الأصح ، فامرت رالى أن يعطل سياحته الجديدة ، ثم ماذا . . وان يتزوج .

ولكن رالى رفض هذا الزواج ، وذهب ليقابل اسطول أعدائه الاسبان فى عرض المحيط ليعود ظافراً رافع الرأس ، ولكن الملكة لم تغفر له رفضه فردته إلى البرج ليسجن فيه وعند ماتولى جيمس الأول رد رالى الى برج لندن ، لان الملك أراد أن يعيش فى سلام مع الاسبان ، وكان من شروط الصلح القضاء على خصمهم العنيد ولتر رالى ، فرمى الملك بجندي الشجاع فى السجن ، فى البرج الذى يطل على بوابة الخونة ، والذى يطلقون عليه اسم « البرج الدموى »

هناك قضى ولتر رالى أربعة عشر عاماً تحت عين يقظة ووجوه عابسة ، ومع كل هذا لم يرض الاسبان بحبس عدوهم ، فأوعزوا الى الملك بقتله ، بقتل أحد الأبطال

الذين عاشوا وعملوا لرفع العلم الانجليزي فوق المحيط .  
وهكذا أعدم رالى فى صباح ٢٩ اكتوبر سنة ١٦١٨ بينما كان موكب عمدة لندن  
السنوى يسير فى شوارع لندن « لكي يجذب الاحتفال عيون الشعب عن مشاهدة إحدى  
المآسى التى ذهب ضحيتها أحد أبطال إنجلترا العظماء » هكذا يقول احد الكتاب  
المعاصرين .

هذه قصة من عشرات القصص التى تتصل بتاريخ برج لندن ، هذا مثل لتلك  
المآسى التى كانت تمثل خفية وعلنا بين جدران هذه البروج وهذه القلاع ، تحت اسم  
الخيانة .

فى هذه القلعة قضى أحد أمراء فرنسا الشطر الكبير من حياته لا لأنه فارس  
هزم فى موقعة ، بل لأنه غريم فى الحب ومنافس للملك الانجيزى .  
وفى هذا البرج قضى شيخ فى الثمانين من عمره هو الكردنال فشر من البرد  
والجوع . وفى هذا البرج الذى قضى فيه ولتر رالى ، اغتيل فيه طفلا الملك شارل وهما  
فى نومهما ، بعد ان سجننا فى بعض حجرات هذا البرج

...

تخرج من هذا « البرج الدموى » بعد أن تنتقل بين حجراته الضيقة الخشبية  
القديمة ، وسقوفه الواطئة ، وسلاله المظلمة ، وتلك الزنانات التى لا تسكاد تدور فيها  
بجسمك ولا ترى فيها يدك من شدة الظلام ؛ تخرج من هذا البرج ، الى برج آخر  
بجواره ، برج ليس به أكثر من حجرة واحدة وسرداب أو سردابين .

هذا هو برج الجواهر ، ما بعد الفرق بين البرجين المتجاورين !

فى هذه الحجرة الواحدة ، تدخر إنجلترا أنفس مآليها من جواهر ومن صولجانات ؛  
فى هذه الحجرة الواحدة تجد تاج الامبراطورية الانجليزية التى لا تغرب عنها الشمس ؛  
بل انك تجد أكثر من تاج واحد ، تاج الملك وتاج الملكة ، وتاج ولى العهد ،

وتيجان كثيرين من الملوك السابقين .

فى هذه « الفاترينة » الصغيرة ، وفى هذه الحجره القديمه المتهدمه الآلاف من الأحجار الكريمة ، من ماس ومن لؤلؤ ومن ياقوت ، من أحجار جمعت من كل ركن من أركان الأرض ، ومن كل منجم من مناجم هذه الأحجار . وكثير من هذه الأحجار ليس له مثيل فى العالم ، كثير من هذه الأحجار التى ترصع التاج البريطانى قد استلبت من تيجان ملوك واقبال قد ذهبوا وذهب سلطانهم !

أما الذهب فى كل مكان ، ليس له قيمة بجانب هذه الجواهر الزاهية اللامعة ؛ صولجانات ضخمة كأنها المتاريس ، بنوء الكنف تحتها ؛ أطباق كبيرة للملح ونوافير للخمر مما يستعمل فى حفلات التتويج ، جميعها من الذهب الخالص .

هذا الغطاء الزجاجى الذى يحجز هذه الكنوز من عبث الأيدى ليس ضعيفا كما تراه العين ، لأنك اذا أمعت النظر خلفه وجدت سياجات خفية ، ووجدت عددا وآلات ، وأسلاكاً . تحرس التاج البريطانى من أيدى العابثين

وحول هذه النافذة التى تتوسط الحجره ، نوافذ أخرى صغيرة تحفظ فيها مجموعات من الاوسمة والنياشين البريطانية على اختلاف درجاتها وأنواعها .

وتقرأ باللاتينية على الكثير منها « ملك بريطانيا وامبراطور الهند » تجد اسم الهند على كل أثر يتصل بالملك ، وفى كل أثر يدل على عظمة هذه الامبراطورية ؛ نعم الهند التى اذا فلتت من يد بريطانيا ، يخر بانسلاخها صرح شامخ من صروح الامبراطورية .

...

انظر الى المرأة فاعرة الفم ، ذاهلة لا تكاد تتحرك وهى مسترسلة فى التحديق إلى هذه التيجان !

أنفس ماتصبو اليه المرأة من حلى ومن جواهر ومن زينة لا يحجزها عنها الا هذا

الغطاء اژجى ! ليست الجواهر فحسب هي التي تذهل ، بل هي التيجان ، رمز الملك والعظمة .

في سبيل تيجان لم تكن تبهر العين كما تبهرها هذه التيجان سفكت الدماء ، واقترفت أفضع الجرائم ، لم تراع فيها حرمة شيخ ، أو اب أو ابن . نعم في سبيل هذا الطوق الأصفر وهذه الأحجار اللامعة !

هذا التاج لا يلبسه الملك نصف ساعة طول حياته ، هو محبوس في هذه الحجرة تطوف حوله الوفود كما يطوف الحجيج حول الكعبة ، تتورق قلوبهم الشهوة والحسرة والأحلام الجامحة ، لا هدوء النفس ولا الأمل في الرحمة والمغفرة كما إذا طاف الحجيج حول الحجر الأسود .

إنك لتفكر معي أية متعة تجدها من حمل هذا الثقل المعدني على الرأس ! لو أتاحت الفرصة لأي رجل ، أو لأية المرأة ، فإنها لا تتوانى عن إلقاءه بعد ساعة ، وتتنهد بعد ذلك تنهد الراحة !

خير لنا أن نسمع عن هذه الجواهر وهذه التيجان من أن نراها وأن نلبسها . لأن تلك الأحلام الذهبية ، تتبخر عندما نجد أن هذه التيجان ليست إلا أطواقاً ثقيلة تحنى العنق ، وهذه الجواهر ليست إلا نوعاً من الزجاج والحصى والخرز !

...

ترك هذا البرج بتيجانه وجواهره ، لتجلس هنيئة تحت ظلال أشجار القسطل الوارفة في الحديقة الواسعة التي تتوسط هذه الأبراج .

وبين أحواض الزهور ، مربع رخامى صغير ، تحيط به ؛ هذه الزهور الياضعة المتعاقبة . وفي وسط هذا المربع لوحة صغيرة من النحاس ، لاشك أنها تذكر السائر بمحادثها ، لعله حادث حب أو زواج تحت ظلال هذه الأشجار المتدللية الفروع .

تقرأ على هذه اللوحة: في هذا المكان نصبت المشنقة لقتل آن بولين، وجان جراي  
« و . . الخ »

هذا العدد من الأمراء ومن الملكات ومن الاميرات ، قتلن في هذا المكان ،  
وبين هذه الزهور ، وتحت هذه الفروع المتدلية .

هل الموت تحت هذه الأشجار وبين هذه الزهور فيه شيء من المتعة واللذة ؟ هل  
يخفف هذا الجمال من غصة الموت ومن رهبة النزع وجمال المشنقة !

أظن أن ذلك يزيد الموت رهبة ، ويفيض على النفس ألماً وحسرة عميقة . خير  
لنا أن نموت في حجرة مغلقة ضيقة محكمة الأبواب ؛ خير لنا أن نترك هذه الحياة بين  
جدران أربع ، لا في الهواء الطلق ، ولا بين الأشجار والزهور .

إن شدة الموت ورهبته ، لا تتناسب مع جمال الطبيعة ، خير لنا أن نموت في البحر  
لمرشد الصاحب ، لافي البركة الهادئة التي يرسل عليها القمر ضوءه

...

وبين هذه الأبراج وهذه الحدائق ، تمر في طريقك الى « البرج الأبيض » وهو  
أقدم هذه الأبراج وأضخمها . هذا البرج قد صار الآن متحفاً تاريخياً . متحفاً  
للسيوف والحراب والبنادق والخناجر والمدافع .

آثار تراها في كل متحف ، حتى لم تعد تثير اهتماماً أو عناية ؛ وهي من ناحية  
أخرى لا تعينني ولا تثير اهتماماً خاصاً عندي .

لست أدري لماذا لا يحتفظ في هذه المتاحف الا بأدوات القتل والسفك والدمار ،  
لماذا لا نرى إلا هذه الحراب والسيوف والخناجر ، لماذا لا نرى الا كيف كان يتقاتل  
أجدادنا ويتنازلون ؟ !

وإذا كان القتل والنزال لا بد منه في سبيل المبدأ أو في سبيل الشرف ؛ وإذا  
كانت تضحية الجسم في سبيل حياة أسمى لكان هذا معقولاً سائغاً ، ولكننا نتقاتل

لأجل لاشيء ، ونخذ ذكري القاتل ونخذ ذكري المقتول . . .  
تسير في هذا المتحف بين صفوف تماثيل الفرسان بدروعهم وخوذاتهم وتروسهم  
وحراهم وبجياهم المزركشة المجللة بالزرد ، منظر جميل فاتن ، هؤلاء هم الفرسان الذين  
كانوا أبطال الحب الفروسي في القرون الوسطى ، الذين كانوا يجوسون خلال أوروبا  
لينجدوا فتاة مخطوفة ، وليقعوا في حبها وغرامها ! ما أشبههم بفتوات العهد الماضي  
في مصر .

ولكنك إذا اقتربت من هؤلاء الفرسان ومن ملابس الزرد والصلب السميك التي  
تغطي كل عضو من أعضائهم ، تعجب كيف يسرون بهذا الحمل الثقيل ، بل كيف  
تسير أفراسهم بهم وبها ؟

تعجب لهذه الفروسية المسوخة ، هؤلاء الفرسان يحمون أنفسهم وجيادهم بهذه  
الدروع وهذا الزرد ، حتى لا ترى منهم إلا الفتحات التي تبصص منها عيونهم ، وإذا  
ساروا للقتال حسبتهم تماثيل صليبية متحركة ، ومع ذلك فهم يذهبون بكل هذه الحواجز  
الواقية للمنازلة . يذهبون للموت طائعين ، ويحمون أنفسهم من الموت ، تناقض عجيب .  
وبين هذه المعروضات تجد ما يستحق المشاهدة . تجد العربة التي حملت جثمان الملكة  
فكتوريا والتي حملت جثمان ادوارد السابع الملك السابق إلى حيث دفن في دير وستمنستر  
تجد بعض الفؤوس التي كانت يستعملها الجلادون وقطعة الخشب التي كانت تسند  
إليها الأعناق وتشاهد على سطحها الأملس فعل الفؤوس .

...

ثم نزل من هذه القاعات بدرجات لولبية ضيقة إلى الطابق الأرضي . بهو مظلم رطب  
لا تكاد ترى يدك في ظلامه ، تضيئه أنوار خافتة تفيض على المكان رهبة وفي هذا  
الضوء الخافت تشاهد بقايا مدافع قديمة كانت تستعمل يوماً ما لتحصين هذا البرج ،  
وتشاهد بئراً تتصل بمسرب أرضي إلى التيمز . ومن ثم تخرج إلى الحديقة وإلى ضوء

النهار ، فكأنك تنشر من بين الأحداث الى الحياة ثانية

...

لم يبق في هذا البرج ما يستحق الزيارة تمر على أبراج أخرى ، ولكنك بعد أن أجهدك السير لا تكاد تفكر في ارتقاء درجاتها الضيقة من جديد .

وهكذا تجد طريقك إلى الباب الخارجي !

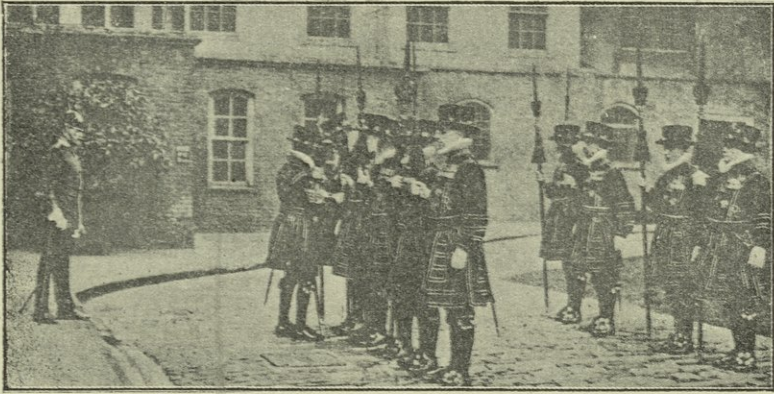
وهكذا تخرج من برج لندن ساها مشئت الفكر تخرج فتجد الطرقات التي تؤدي

الى برج لندن ، كذلك حزينة خالية من الناس ومن الحركة .

وتأخذ الترام فتشعر كأنه مغبر ، وتشعر كأن الوجوه التي حولك عابسة كأن أصحابها

قضوا اليوم كما قضيته في برج لندن وفي سراديبه المظلمة المقبضة ، حتى إذا عبرت التيمز .

تبدلت لندن ، وأخذت الحياة تنبض فيها من جديد .



حراس برج لندن بملابسهم التاريخية



## ولورث

أعلى بناية في العالم هي بناية ولورث في نيويورك . هذه حقيقة أعرفها منذ زمان . ولكني لم أكن أعرف أن صاحب هذه البناية أو أصحابها ، قد بنوها بما يبيعونه بالملاليم والقروش لالبراليات والجنهات .

في كل منطقة في لندن وفي كل شارع رئيسي ، محل من محلات ولورث ، وفي كل بلد وقرية انجليزية فرع من فروع ولورث ، حتى صار ولورث جزءاً متمماً للحياة الانجليزية ، وانها لتفقد جانباً ليس بالقليل من نضرتها اذا أغلقت هذه الفروع الولورثية ! من عادتي أن أزور محلات ولورث بسبب وبغير سبب ، وليست هذه عادتي أنا فقط . بل هي عادة الكثيرين من صغار ومن كبار ، ومن رجال ومن فتيات . يكفي أن أمر على إحدى هذه الفروع ، وأراقب العشرات من الداخلين والخارجين منها ، يكفي ذلك لكي أدخل مع الداخلين .

الروح الامريكية تتمثل في ولورث ، البساطة المتناهية ، السهولة في طريقة البيع ، ثم رخص الأثمان . « كازيون » دائم ، لا يحتاج الى الاعلان عنه ، فهو يتحدث عن نفسه بذلك العنوان الواضح الذي لا يحتاج إلى تأويل .

« ولورث ، محلات الثلاث بنسات ، والست بنسات » ادخل ولا تخف فأنت آمن ، فلن يخونك جيبك ، وسوف لا يفضحك كيسك ، اذا ماجذبك صنف من مئات الأصناف المعروضة فيه .

أعلى ما يمكن أن تشتريه لا يزيد عن ستة بنسات ، قرشين ونصف لا أكثر .  
ولكن الحد الأدنى لا يقتصر على ثلاثة بنسات ، فهناك ما هو بينسين وبينس بل وما  
هو بنصف بنس .

ماذا أشتري بما لا يزيد على ست بنسات ؟ وما هذا الذي أقتنيه بهذه المبالغ أو  
القروش القليلة ؟ انك لتعجب اذ تجد المئات والمئات من الأشياء ، ومن الأشياء  
التي تغريك بالشراء والافتناء .

أعجب ما أعجب له هذا العقل الذي أمكنه أن يجمع هذه المئات من البضائع التي لا  
تزيد قيمة احداها على قرشين ونصف

أنت بالطبع تحتاج إلى شيء من الصابون ، الى فرشاة للأسنان ، الى معجون للحلاقة  
الى دهان للشعر ؛ ولكن لا ! ربما لا تكون ممن يعنون بأمور التواليت .

قد تكون من زبائن الأدوية . لفائف القطن ، الاسبرين ، صبغة اليود ، ملح  
انجليزى ، قطرة ، مسكن للأسنان ، اكسيجين ، بوريك ، فينيك . . . هي على  
الجانب الآخر ولن تدفع فيها إلا هذه البنسات القلائل .

وسواء أكنت من راغبي أدوات التواليت أو من زبائن العقاقير والأدوية ، فأنت بلا  
شك فى حاجة الى الأدوات الكتابية ، ظروف وجوابات على كل لون وعلى كل  
شكل ، مذكرات صغيرة وكبيرة ، مفكرات ، نتائج ، خرائط ، كراسات ، أقلام  
رصاص ، مساطر ، مماسح ، مناشف ، دفاتر تلفون ، دفاتر حساب . قواميس ، كتب ،  
روايات ، مجلات ، عشرات وعشرات ، مما لاتذكرها إلا اذا مرت بها ، بنس هنا  
وبنس هناك ، فاذا ما انتهيت ، رأيت أن هذه البنسات قد صارت شلنات غير قليلة .  
فكرة تجارية حاذقة .

ثم هنا جانب الأدوات المنزلية ، والأشياء النسوية التي لاتدخل تحت حصر من ابر  
ودبايس وزرائر ، وشرائط ومناديل وجوارب ، ومقصات . ثم قسم الأطباق والكوبت

والمعاليق والمغارف والحلل . . أدوات مطبخ كاملة .

ولا أظنك تمر على قسم الحلوى ، ولا تشتري شيئاً ولو لأولادك، أو لك إذا كنت مؤمناً « فالؤمن حلوى » بقرش أو نصف قرش ، وإذا أمكنك أن تضبط عواطفك أمام ذلك ، فان قسم الهدايا واللعب لاشك يستهويك ، لا سيما إذا كنت أباً .

ليست هذه الأقسام هي كل ماتجده في ولورث بل عشرات منها ، لا تمر على واحد منها إلا ويذكرك بشيء ينقصك ، بشيء يستحق الاقتناء لرخص ثمنه أو لجماله أو لدقة صنعه

~ ~ ~

ولكن السيدولورث - إذا كان هذا الاسم يطلق على مسمى - لا يقتصر على ذلك ، بل هو يريد أن يعرض لك في محله ، كل ما يمكن أن تحتاج إليه ، ولو لم تتخيل أنه يدخل في دائرة القرشين والنصف .

ولماذا لا تشتري حذاء ؟ حذاء بقرشين ونصف ! وكيف لا . سواء أكان هذا الحذاء من ورق أم قماش أم جلد فهو حذاء على كل حال . وإذا كانت رجلك همشرية فلا خير أن تشتري (الفردة) الواحدة بهذا الثمن .

هذه فكرة شيطانية . هو يبيعك كل شيء بست بنسات ، فلا بأس من أن يبيعك اياها متفرقة وعليك أن تجمعها وتجمع هذه « الستات » من البنسات عند الدفع ! تريد أن تشتري مصباحاً كهربائياً . حسن . كل شيء لدينا بقرشين أو أقل . قاعدة المصباح ، المظلة ، السلك ، البطارية ، فإذا أتممت تركيبه ، تركبت الحسبة من ناحية أخرى وأنت لا تشعر .

وهكذا قد تدفع ما تدفعه في مكان آخر ، وأنت لا تحس بغلو في الثمن ، إلى أن تخرج فتجد أنك لم تقتصد شيئاً ، فبدلاً من أن تشتري بالجملة اشتريت بالقطاعي . وكل مرة أزور إحدى فروع ولورث ، اكتشف قسماً جديداً ؛ ولعل أحدث

مارأيت قسم المطبعة ، طباعة لا تكلف أكثر من قرشين ، وفوق ذلك لا خلف في  
المواعيد ولا تسويق ولا تعطيل ، فأنت تأخذ ما تريد طبعه بعد خمس دقائق على  
الأكثر ؛ بطاقات زيارة متقنة الطبع ، نظيفة منسقة .

...

وفي المصايف تؤدي مخازن ولورث خدمة حقيقية . فكل ما يطلبه وكل ما يحتاج اليه  
الأطفال من ألبسة البحر ومن أحذية ومن شصوص للصيد ومن كرات ومن عوامات  
للسباحة ومن ألعاب الرمل ومن صور للمصيف ، تجده في ولورث .  
وبعض الأدوات من العسير أن تجدها في مكان آخر غير ولورث ؛ لست أدري  
كيف أشتري ورقة من الدبابيس أو الابر مثلا في لندن إذا لم يكن ولورث ؟

...

ولكن دعنا من هذا كله ، دعنا تناول الطعام في مطعم ولورث . نعم فلورث  
مطعم خاص ، يسير تحت هذا القانون قانون الست بنسات . وهو فوق ذلك له صبغته  
الأمريكية . فأنت فيه الخادم وأنت فيه الخدم . إذا جلست على المائدة فلا تنتظر  
أن تهرع اليك الخادمة بل عليك أن تبحث بنفسك وتحمل طعامك بيدك .  
تذهب أولا وتأخذ «صينية» تجمع فيها طعامك ثم تمر على كل قسم ، وكل قسم  
يعرض مالديه من طعام ، وعلى كل صنف ثمنه المحدود الذي لا يزيد على قرشين ونصف  
هذا قسم الخبز والزبد والجبن والكيك ، ثم السلطات ثم البطاطس والسمك  
واللحوم ، ثم الساندوتش ثم الحلوى ، ثم الشاي والقهوة ، ثم المرطبات .  
ثم قسم الملاحق والملاقط والسكاكين والأطباق ، حتى إذا ما انتهيت مررت على  
صندوق الحساب ، فقدرت لك العاملة قيمة ما تحمله ، وتذهب إلى حيث شئت  
بطعامك .

طريقة أمريكانية جميلة . وألطف ما فيها أنك في غنية عن دفع البقشيش ، ولا تلوم

الجرسون اذا تأخر عليك وكنت جائعا ، ولا تخطىء في اختيار الأصناف التي تعجبك ،  
حتى ولو كنت تجهل أسماءها واصطلاحاتها

...

هذا ولورث الذي بنى أعلى بناية في العالم بما يبيعه بالملايم والقروش ، مثل واضح  
للعبقرية التجارية ، ومثال صادق لما يفعله الاقتصاد ، فهو يحقق صدق المثل الانجليزي  
احرص على الملايم فان الجنيهات تحرص على نفسها .

نحن في فجر نهضة اقتصادية ، وقد بدأنا نشعر أن الاستقلال الاقتصادي أساس كل  
نهضة ، وبدأنا نشعر بأن التعاون الاقتصادي بتكوين الشركات وغيرها ، هو الطريق  
السوي الى الثروة الوطنية .

وما أكثر الاقتراحات في فجر كل نهضة اقتصادية ، وما أقصر الأيدي المنفذة  
العاملة : لأن الخوف من الفشل ، والحذر من الكبو والعتار ، يخيف ويرعب . لاسيما  
اذا كان احتمال الكسب واحتمال الخسارة كبيرا . فالتجارة فيها روح المقامرة .

ولكن لماذا لا تبدأ بمثل هذه الشركات الولوجية ، فتعامل فيما يباع بالملايم  
والقروش ، ونشجع في الوقت نفسه المئات من العمال في مختلف الصناعات الصغيرة ،  
التي لا يعرفون كيف يعرضونها في الأسواق الكبيرة .

ان المليم جزء من الجنيه ، ولكن الجنيه ليس جزءاً من المليم . والجزء يكون الكل  
وليس العكس صحيحاً !

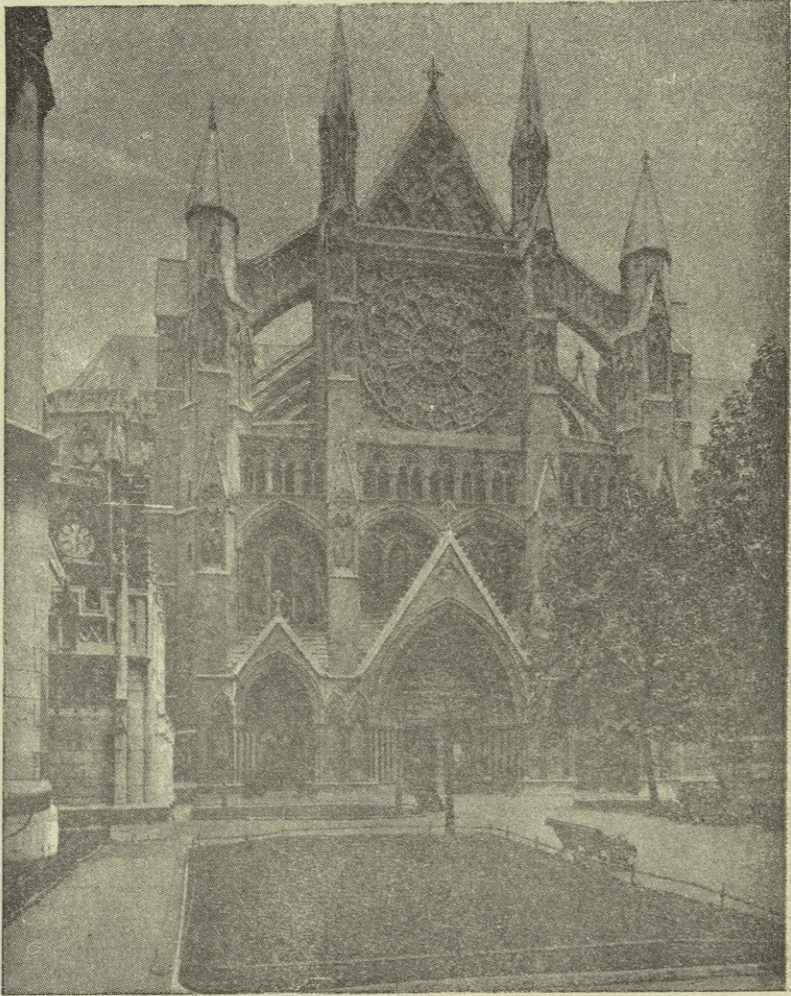
فهل من أحد يسمع هذه الفلسفة العملية ؟

## دير وستمنستر

كان من عادتي أن أزور دير وستمنستر إذا ما كنت في حالة نفسية ثائرة ،  
فرهة المكان والغرض الذي أقيم من أجله ، وحالة هؤلاء الذين قد سكنوا  
تحت أحجاره ، كل هذا كان يملؤني بالأفكار والخواطر ، ويبعث في نفسي حسرة  
كنت أستسيغها وأقبلها .

زرت دير وستمنستر بالأمس ، وقضيت ما بعد الظهر متنقلا ما بين الكنيسة  
والمدافن والابهاء التي يحويها هذا الدير . ووجدت شيئا من المتعة في قراءة ما حفر  
على هذه القبور ، التي لم يذكروا على الكثير منها إلا أن صاحب القبر قد ولد في يوم  
ومات في يوم آخر . كأن حياة هؤلاء الرجال ليس فيها من أثر إلا هذه الحقيقة التي  
يشارك فيها كل حي على الأرض .

وكنت أنظر الى هذه الألواح سواء أكانت من نحاس أم حجر كأنها تسخر من  
أصحابها ، أولئك الذين لم يخلدوا من ذكرى في الحياة الا أنهم ولدوا وأنهم ماتوا .  
وكما أنظر الى ذلك ، كلما أذكر أولئك الفرسان الذين تخلدت أسماءهم في الأشعار  
والأقاصيص ، لغير ما سبب سوى أنهم قتلوا . وخير وصف لهؤلاء أن حياتهم أشبه  
شيء بمروق السهم ، الذي إذا ما أرسل في الفضاء سرعان ما يمتحنى ولا يعرف مكانه  
وبينا أنا في المقبرة ، كنت أرقب حفر أحد القبور . فكان في كل كومة  
ينثرها الفأس ، شظايا جمجمة أو قطعة من العظم مختلطة بالتراب ، هذا التراب الذي



دير وستمنستر

كان في يوم ما جزءاً في تكوين جسم انسان  
أخذت أفكر في هذه المئات من الناس التي دفنت دون تفريق أو تمييز تحت أرض  
هذه الكاتدرائية القديمة . أخذت أفكر كيف آل أمر من دفنوا في هذا المكان  
من رجال ونساء ، من أصدقاء ومن أعداء ، ومن قساوسة ومن جنود ؛ فصاروا  
كومة واحدة : أخذت أفكر كيف اختلط الجمال بالقبح ، والقوة بالضعف ،  
والشيخوخة بالشباب في هذا المكان دون تفريق ؟

\*\*\*

ثم أخذت أتأمل ما دوّن على التماثيل الكثيرة المبعثرة في كل مكان ، التي لو عرف  
بعض أصحابها ما كتبه عنهم أصدقاؤهم من كلمات الرثاء لكانوا يزورون خجلاً لهذا  
المدبح المبالغ فيه ؛ ولو أن ما دوّن على بعضها الآخر ليس به هذا الغلو ، إلا أنه كتب  
باللاتينية أو الاغريقية التي لا يكاد يفهم خواهما زائر في كل قرن .  
وعند ما زرت ركن الشعراء وجدت كثيراً من هؤلاء الذين دفنوا في الدير بلا  
تماثيل ؛ وكثيراً من التماثيل لا تحوى أجساد أصحابها .  
ولشد ما كان اغتباطي بلوحات المقابر الحديثة ، التي بلا شك تدل على ذوق كتابها  
وعلى دقة تفكيرهم ، فمثل هذه تشرف الاحياء كما تشرف الموتي .

\*\*\*

ان هذه المتعة التي أجدها عند ما أزور مثل هذا المكان لا تثير في النفس أماً  
وحزناً ولا تطير بالعقل في عالم قاتم اسود ، كما تفعل بأصحاب القلوب الضعيفة والخيال  
المريض . فأنا أدرس الحياة وأجد متعة في هذه الدراسة اذا ما نظرت اليها من ناحيتها  
السوداء ، كما اذا نظرت اليها من ناحيتها الجميلة البهيجة .

\*\*\*

إنني اذا ما نظرت الى قبور العظماء فان كل نزعة حسد تموت في نفسي .



وإذا ما قرأت ما كتب على قبور الجميلات ، فان كل شهوة تنطفيء في صدري .  
وإذا ما شاهدت مبلغ حزن الآباء على أبنائهم فان قلبي يتفطر أسى وحرناً ؛  
ولكن اذا ما شاهدت قبور هؤلاء الآباء أنفسهم ، فاني أفكر في تفاهة هذا  
الحزن والاسى على رحيل هؤلاء الذين سوف نلحق بهم قريباً .

وإذا ما نظرت الى الملوك وقد دفنوا جنباً الى جنب أولئك الذين استلوا  
عروشهم . . . والى المفكرين ورجال الدين الذين قسموا العالم فرقا بمساجلاتهم  
ونظرياتهم ، فاني أفكر بحسرة وعجب الى هذه المنافسات والمشاحنات الضئيلة التي  
تنشب بين أبناء آدم .

وإذا ما قرأت توارخ هذه القبور ؛ التي دون بعضها بالأمس والتي دون بعضها منذ  
سنة قرون ؛ فاني أفكر في ذلك اليوم العظيم الذي سوف نكون فيه قرناء ، ونعرض  
فيه جميعاً ..

جوزيف اريسون

١٦٧٢ — ١٧١٩

## صورة في معرض

انناسير في هذه الحياة كالعريان . ولو كانت عيوننا مفتوحة وآذاننا مرهفة ؛ وعقولنا قد تدبرت كل ما يتسنى لنا أن تدبره .

ذهبت إلى زيارة معرض التيت معرض إنجلترا الفاخر ، ذهبت وكنت أشعر بحسرة اليأس ، وبلذعة الأمل الذي لا أمل في تحقيقه !

كنت أبحث عن صورة ، أعرف أنها في باريس ، في اللوفر . كنت أبحث عن صورة ، أريد أن أقف أمامها شاخصاً مفكراً ، لأنها ارتبطت بذكرى قوية حارة في نفسي .

كنت أبحث عن صورة لأقتني نسخة منها ، أرجع بها إلى مصر !

...

وهكذا تقودنا أقدامنا إلى حيث نريد ، دون أن نعرف ، ودون أن نفكر .  
وهكذا يتبدل اليأس في لحظة رجاء ، والضعف قوة ، إذا ما وجدنا ما نبحت عنه ،  
إذا ما وجدنا ما قطعنا كل أمل في وجوده .

وهكذا على غير انتظار وجدت الصورة التي كنت أبحث عنها ، وهكذا فجأة وجدت الصورة التي أريد أن أقف أمامها شاخصاً ، الصورة التي أريد أن أرجع بنسخة منها إلى مصر .

ما كنت أعرف أن صورة «الأمل» الخالدة ، من رسم المصور الإنجليزي وات .

ولكنه الأمل يقودنا إلى «الأمل» . وحياة انقطع منها الأمل، انقطعت منها كل صلة بالغد والمستقبل ، انقطع بانقطاعها الفكر ، وكل مظهر من مظاهر حياتنا العقلية .

...

أخذت أقطع قاعات المعرض الرحبة الجميلة المزينة بعشرات وبمئات الصور الزيتية والمائية التي كتب لأصحابها أن تخذ أسماؤهم ؛ وكنت أفكر في شيء واحد ، في صورة واحدة قدر أيتها ، ورأيتها مراراً ، ولكنني أريد أن أقف على حقيقتها ، على الأصل الذي أخذت منه تلك المئات من النسخ التي انتشرت في كل ركن من أركان الأرض .

وبين حين وآخر كنت أقف - على مايساورني من قلق - لكي أمعن النظر إلى صورة تستلفت انتباه السائر بلجالها أو للفكرة التي تنطوى تحتها . ومن الذي يمر بهذه الصورة التي احتلت جداراً بأكمله ولا يجلس أمامها يدرسها بامعان ؟

صورة « البعث » ؛ فقد قدر لسكان القبور أن ينشروا ؛ وها نحن في مقبرة غطى قبورها الربيع بخضرتة ، وفي نهاية الصورة كنيسة بيضاء كأنها إحدى بيوت الفلاحين في مصر . وها هو كل راقد قد رفع غطاء قبره وبدأ يخرج . رجال ونساء ، شيوخ وأطفال ، بيض وسود ، قد تجاوزت قبورهم ، بعد أن فرقتهم الحياة .

ولكن إلى أين هؤلاء ذاهبون ؟ لا يزالون على هذه الأرض بمحشائشها وأشجارها ، بأحجارها ومعابدها ؟ أهل يبعثون لكي يعيشون من جديد كما كانوا ، يجاهدون الحياة ويجادلون العيش ؟ لا ، لقد عرض الفنان نصف الفكرة وعجز عن تصوير النصف الآخر .

...

وفي قاعة النحت ، وقفت أمام معروضات ابشتين فقد سمعت عنها وقرأت عنه وعن فنه ، ولم أكن قد رأيت نموذجاً لهذا الفن الغريب . واختلاف الأذواق وتباين الحكم عن الشيء الواحد يدل على أن هذا التقدير نسبي فقط ، وأن هذا الشيء الذي يدعونه

الجمال ليس إلا تصوراً خاصاً بكل فرد ، لأن مقياس الجمال قد يختلف حتى لا يكاد يدعى مقياساً بجمال من الأحوال .

ومعروضات أبشتين هذه تثبت هذا الكلام ؛ فكثيرون لا يرون في هذه المعروضات فناً ولا ذوقاً ، وكثيرون أيضاً يرون هذه المعروضات مثلاً للفتن والابتكار . هذه المعروضات خالية من دقة التكميل ، كأن النحات قد أخذ سكينه وراح يطنخ بها ما يصنعه تلطيحاً دون تريث . ولكن هذا التلطيح وهذا النقص في التكميل هو الذي يتميز به فن أبشتين .

...



الأمل للفنان وات

فاذا ما عبرت هذه القاعة ،  
فانك تقف أمام القاعة «السابعة»  
القاعة التي أبحث عنها ؛ وقد  
كتب على بابها « معروضات  
وات ١٨١٧ - ١٩٠٤ »

جميع معروضات هذا الفنان  
من نوع واحد؛ فهو في تصويره  
أشبه بأدب ملتن أو كيت. فهو لاء  
الفنانون يصورون المعنويات التي  
نعجز عن تحديدها أو تعريفها أو  
عن تخيلها ، يصورونها بقدر ما  
يسمح به الخيال الانساني. فتصور  
ملتن الموت هيكلًا عظيمًا يحمل

حربة ، وتصور كيت الخريف فتاة نائمة على جدول راكد حول حقل أفيون .  
وهكذا صور وات الحزن، واليأس ، والفضيلة ، والموت ، والأمل .

...

وقفت أمام هذه الصورة التي أبحث عنها .  
صورة الفتاة التي قد عصبت عينيها، والتي قد جلست على كرة دائرة تعصف حولها  
الريح ، وهي تعزف على طنبور لم يبق من أوتاره إلا خيط واحد .  
إنه هو هذا الخيط الذي يقودنا بقلوبنا الكسيرة المتحطمة لكي نجاهد في الحياة ،  
ونرسل آخر نعمة في الفضاء . . .

...

هذه هي صورة الأمل التي وقفنا تحتها سويا منذ شهرين ، في القاهرة . وقفنا تحتها  
نفكر في الغد وما سوف يأتي به الغد ، ونبني للمستقبل ونأمل ونرجو . . .  
هذه هي صورة الأمل التي قطعت العهد بأن أرجع بنسخة منها إلى مصر .  
وهكذا كان .

لندن في ١٧ يوليو سنة ١٩٣٣

## تحت الأرض

عند ما أخذنا ترام لندن الأرضى لأول مرة لم يكن هنالك بد من التوهان ساعات طويلة . ولو كان الراكب التائه يفرم في الترام الأرضى كما يفرم في القطارات ، لأصبحت هذه الغرامات مورداً جديداً للشركة ؛ ولكنك إذا اشتريت تذكرة بينس واحد قلما يسألك العامل إلى أين تذهب ، وتأخذ أى قطار من هذه القطارات الأرضية وتذرع لندن من شمالها إلى جنوبها وقلما يحاسبك أحد .

« المترو » في باريس ، و« الاوتر جرنى » في برلين ، يجب ألا تقارنه بترام لندن الأرضى ، ترى المترو في باريس بعد أن اعتدت على مترو لندن الأرضى كأنه قطار زراعى بعد البولمان .

ماذا كانت تفعل هذه الملايين التى تعيش في لندن وتعمل في لندن إذا لم يكن هذا الترام الأرضى ؟ شوارع لندن الكبيرة محرومة من الترام ، لأن العربات والسيارات فيها كافية لازدحامها ، وعربات الامنيوس على كثرتها لا تسع آلاف المنتظرين في شارع اكسفورد أو الريبجت .

...

الساعة السادسة من مساء أى يوم من أيام الأسبوع ، تقف في مدخل محطة الترام الأرضى في « اكسفورد سيركس » وتراقب كيف ينقل هذا الترام الآلاف من أهل لندن في الدقيقة الواحدة . انتظر دقائق معدودة أمام إحدى هذه المحطات في هذه الساعة ،

ثم خذ طريقك الى القطار وانظر كيف ان هذه المئات قد تفرقت بمجرد اختفائها وراء الأبواب .

هذه الحياة المقيدة بالدقائق لا يمكن أن تنتظم إلا اذا كان كل شيء فيها بميزان ، والحياة في لندن مقيدة بالدقائق ، وكل شيء فيها بميزان .

...

والترام الأرضى فى لندن ومحطاته بديع فى الشتاء . تمر على احدى هذه المحطات فتهب عليك لفة دافئة سرعان ما تفى فى هواء الشارع البارد المتجمد . فلا تجد بداً من الانحدار الى جوف الأرض لكي تقرأ صحيفتك فى دفاء وراحة .

وفى ابان الحرب أسدت هذه السرايب الأرضية يداً للندن ولأهل لندن وهم فى محتهم لا تزال تذكر لها بالخير . فكانت هذه السرايب الأرضية ، ملجأ أهل لندن عند غارات مناطيد زبلن عليها ، فيهرع أهل كل حى ، الى أقرب محطة من محطات الترام



وهناك فى جوف الأرض تجد عالماً جديداً

الأرضى ، ولا سبيل الى رحمة هؤلاء اللاجئين في جوف الأرض ، حتى يرحمهم من يرسل النعمة من الفضاء ومن وراء السحاب ، أو من يرسل الرحمة من السماء . . .  
ولمحطات الترام الأرضى شخصية ممتازة في لندن ، لا سيما في الليل . فأنت على بعد مئات الأمتار ، تشاهد اللوحة الزجاجية الزرقاء التى كتب عليها « أندر جراوند » بخط رأسى أو أفقى وبحروف تعناد رؤيتها فيما بعد .

وتسير الى حيث اللوحة الزرقاء ، وتلج قاعة عارية تجدها احدى محلات «سمت» لبيع الصحف والمجلات ، ثم بعض نوافذ بيع التذاكر ، ثم عدداً من الآلات الأتوماتيكية لبيع كل شيء ؛ الشوكولاته ، والكبريت ، والفول السودانى ، وآلات لبيع التذاكر ذات البنس والبنسين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة ، وأجزائها .

تأخذ تذكرة من احدى هذه الآلات ، وتنزل الى حيث المحطة والقطارات ، وتأخذ المصعد - اذا كان الصعود الى أسفل جائزاً - فيهوى بك الى جوف الأرض ، وقد تأخذ الدرجات المتحركة ، وما عليك الا أن تقف فتتحرك بك ، ولا تمضى دقيقة وبضع دقيقة الا وأنت قد تركت ظهر لندن الى بطنها ! وهناك فى بطن لندن ، وتحت عمارات لندن الحديدية والحجرية تجدها جديداً ، وتجدها القطار الأرضى الأحمر الزاهى يمر أمام عينيك كالسهم وهو يخرج من الأنبوبة الحديدية التى يسير فيها .

وفى بعض هذه المحطات أكثر من طابق واحد ، فبعد هذا الانحدار الى جوف الأرض ، قد تأخذ المصعد أو المهبط من جديد وينزل بك شوطاً آخر الى صميم الأرض حيث تجد محطة أخرى .

ويسير بك القطار فى هذه السرايب المظلمة الضيقة ولا تدرى أين يسير ، يحمل المئات من أهل لندن ، تحت جدران وستمنستر والبرلمان وتحت قاع التيمز ، قد ضاقت بهم ظهر الارض فلجأوا الى باطنها .

...



وقد يقف هذا القطار لسبب من الأسباب ، وقد تنطفئ الكهرباء ونحن في هذه  
الانابيب ، فتصمت كل حركة ، ولا تسمع همساً من مئات الانجليز المتكدسين فيه ،  
فتشعر كأنك في قلب الهرم الأكبر حيث لا سبيل الى الضوء والهواء ، أو إلى  
الحياة والاحياء الا بأعجوبة . وهذه الأعجوبة سرعان ما تتحقق بعد دقيقة  
أو بضع دقيقة.



في جوف الأرض

## هامدنه كورت

من زار فرساي أو بوتسدام أو شن برن ، فان رحلته في أوربا لا تنقص كثيراً إذا لم تتم له الفرصة زيارة هامدن كورت ، أحد القصور الملكية الانجليزية القديمة ، أحد القصور التي صارت اليوم أثراً من الآثار التي تفتح أبوابها للزيارة . يتحدث كل انجليزي عن هامدن كورت كأثر تاريخي فاخر ، كأثر نادر ، ويتحدث عن حدائق هامدن كورت وبركه وتماثيله ، كتحففة ممتعة . والشعب الانجليزي الذي لا يعرف عنه أنه فنان بالطبيعة ، أومبتكر بالسليقة ، يزهو ويفتخر بجمال هامدن كورت وبالفن الذي يتمثل في أروقة هامدن كورت . ولكن الحقيقة أن ما تراه في هامدن كورت تراه في كثير من القصور الأوربية القديمة وبصورة أنعم وأفخر . فها هو معروف عن هذا الشعب أنه شعب محافظ ، ليست له القدرة على الابتكار والتفنن ، ولكنه يقلد ويخلد ما يقلده بمهارة وقدرة .

...

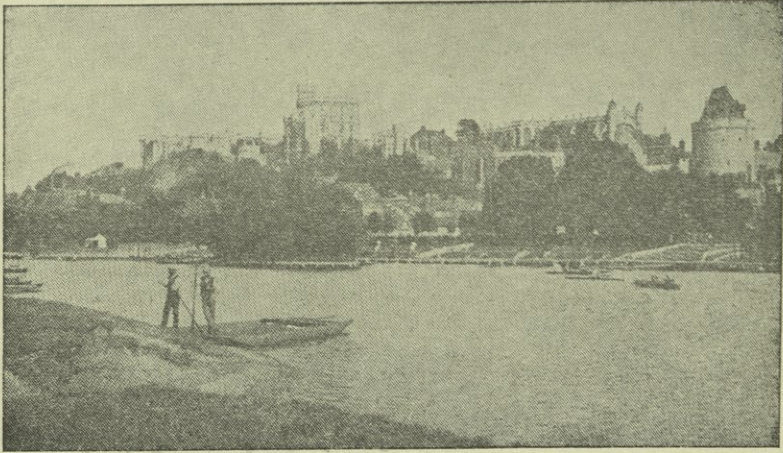
في إحدى ضواحي لندن يقع قصر هامدن كورت . في إحدى ضواحي لندن الجميلة ، في ضاحية رتشموند .

ولا تكاد تشعر بجمال التيمز أو بهيجته إلا في رتشموند ، فالتيمز الذي تشاهده على كبري وستمنستر والتيمز الذي تشاهده عند برج لندن ، ليس فيه جمال أو ابداع ، وليس

في شاطئيه فتنة ولا سحر. مياه بيضاء باهتة ، وشواطئ ، وحجرية قائمة ، وبواخر لا تحمل  
إلا الأخشاب والأحجار والفحم .

وفي رثمونند فقط تشعر بأن للتيمةز جمالا ، فلا ترى تلك المخازن القبيحة التي تحف  
به بل ترى عوضاً عنها « فلات » وحدائق ، ولا ترى تلك البواخر المحملة بالبضائع  
ذات الدخان الأسود المتصاعد ، بل ترى بدلا عنها قوارب للتجذيف ، وعوامات  
للسباحة .

ولكي ترى هذه الصورة الفاتنة للتيمةز ، لا بد وأن ترحل عن لندن ساعتين أو ثلاثة  
بالباحرة النهرية من كبرى وستمنستر ، أو ساعة وبضع ساعة بالأمنويس والترام ؛  
تسير في شوارع لا عداد لها ، وأحياء مختلفة مزدهمة ، كل منها يصلح لأن يكون قلب  
مدينة عامرة .



هامدن كورث من التيمز

وعند ماتعبر التيمز وتسير على شاطئه الآخر ، تستحيل هذه الطرقات المزدحمة ، إلى أفناء وحدائق ومنتزهات ؛ تذكرني بالرحلة من فينا إلى ضاحيتها الجميلة شن برن حيث القصر الامبراطورى الفاخر . وحدائق رتشموند ومنتزهاتها فائنة بهدوئها وبظلمها الوارف الذى ترسله أشجار القسطل ؛ وفي هذه البرك الاصطناعية تجد البجع برقبته الطويلة ، والأوز والبط يسبح فى مياهها الراكدة التى لم يتغير طعمها ، وتحت ظلال هذه الأشجار ترى الوعل والغزال الأليف يسرح ويمرح فيزيد الطريق إلى القصر فتنة .

•••

وحدائق القصر أكثر فتنة من القصر نفسه . لست أعرف أسماء الأشجار ، ولا أنواع الأزهار فاذكرها ، وسواء أكانت تلك من الصنوبر أو البلوط ، وسواء أكانت هذه من القرنفل أو الورد ، فهى جميلة جذابة ، لا سيما فى ضحى أيام الصيف بشمسها الدافئة ؛ وفي هذه الطرقات المرصوفة كان ساكنو القصر يسرون ، وتحت أشجار القسطل والبلوط هذه كانوا يجلسون كما يجلس الآن ، وكانوا ولا شك يرقبون البجع والبط يسبح فى هذه البرك كما نرقبه نحن بعدم بعشرات السنين .

ولكن الطبيعة كانت اذ ذاك صامته وهم ينظرون ؛ وكانت الألسن خرساء وهم يستمعون ؛ لقد كان هؤلاء الملوك ينظرون فلا يجدون إلا الحراس حولهم ؛ ويتلفتون فلا يرون الا الخدم جامدين فى مكانهم كأنهم الأصنام والتماثيل لا تتحرك ولا تبتسم . فى هذه الحدائق الواسعة الرحبة ، كان هؤلاء الملوك يسرون كالغرباء ، يسرون فى وحدة وصمت ، يسرون بقامة مرفوعة ، وفى ثيابهم الثقيلة بالحلى ؛ لا يصفرون ولا يقهقهون ، ولا يجلسون على الأرض ، ولا يركضون كما نجلس ونركض الآن ؛ لأن الملك تقاليد تجعل طعم الحياة فى أفواه هؤلاء الملوك قاتراً مصطنعاً .

نحن نتمتع الآن بمحذائق هامدن كورت ونلهو ساعة ونذهب ، وهل أخذ أصحاب هذا القصر وساكنوه أكثر مما نأخذهم الآن ؟

القصر مربع الوضع ، تطل نوافذه الداخلة على حديقة مربعة في وسطها نافورة ؛ تشبه أفنية قصور دمشق أو القاهرة القديمة . وحول هذه الحديقة الداخلة فناء مستدير مرصوف بالحجر ذى أعمدة كثيرة ، كأنها البواكى التى تظلل الأسواق الشرقية المندثرة .

وتعلى السلم الأيسر ، الى قاعة رحبة مزينة بعشرات الصور الزيتية الكبيرة والصغيرة التى تزدحم بها جدران القصر ، ومن هذه تسير فى جناح كتب عليه اسم الكردنال ولزلى مستشار هنرى الثامن ، حجرات ضيقة مرصوفة بالخشب الجامد ، وقد غطى سقفها وجدرانها كذلك بالخشب المحفور . عارية قليلة النوافذ ، تعجب كيف كان يعيش فيها الكردنال وكيف كان ينام وكيف كان يدمن الفكر فى سبيل عاهله . وحيث يكون هنرى الثامن ، تتوارد الذكريات والخواطر على الفكر ؛ لأن تاريخ هنرى الثامن تاريخ لست أدرى هل تذكره المرأة بخير أم تستهجنه ؛ ولكن هنرى الثامن قد أعطى نفسه للمرأة ، لقد جعل المرأة تطفى على عقله وعلى فكره وعلى دينه . لقد أحبها إلى حد العبادة ، وقد كرهها فأرسلها إلى النطع .

وفى حجرات هذا القصر كان هنرى يمثل قصص غرامه ، وكان يمثل ما سبه وفجائعه ؛ وفى رواق القصر المظلل بالأعمدة الحجرية كان هنرى يسير بجانبه ولزلى بقلنسوته المضلعة وبملابسه الحمراء ، كانا يسيران ويفكران ، وكانا يجمعان الرأى ، وكانا يتنازعان فى شئون الملك ، وفى شئون الدين ، وفى شئون الحب .

وتسير فى أنحاء القصر ، فاذا حجرة تتصل بقاعة ، وقاعة تتصل بحجرة : حجرة جلوس الملك وأخرى لنومه وأخرى لدراسته ؛ وهذه لولى العهد ؛ وهذه القاعة للملكة وهذه لنومها وتلك لزيتها .

تسير في هذه الحجرات المتصلة بعضها ببعض حتى تسأم السير وتمل مناظرها المتكررة .

أسقف عالية مزخرفة ، أثر من آثار القرون الوسطى بألوانها الزاهية اللامعة . ونوافذ ضخمة عالية لا يسهل فتحها أو اغلاقها . وجميعها مزينة بالصور الزيتية ، للملوك الذين سكنوا هذا القصر والملكاتة وللأمراء وللأميرات ، صور تمثل مراحل معينة في التاريخ الانجليزي . وصور دينية من النوع الذي تراه في كل كنيسة .

ولست أدري على أى أساس كانت توزع هذه الصور في حجرات القصر ، وقد لحظ رفيق لنا في زيارة هذا القصر ، أن أكثر الصور التي تزين بها حجرات الملوك والأمراء من صور النساء الجميلات ؛ وحجرات الملكات والأميرات بصور من غير جنسهن ، ولكن لعلها ملاحظة بريئة ، أو لعلها مصادفة غير مقصودة ! .

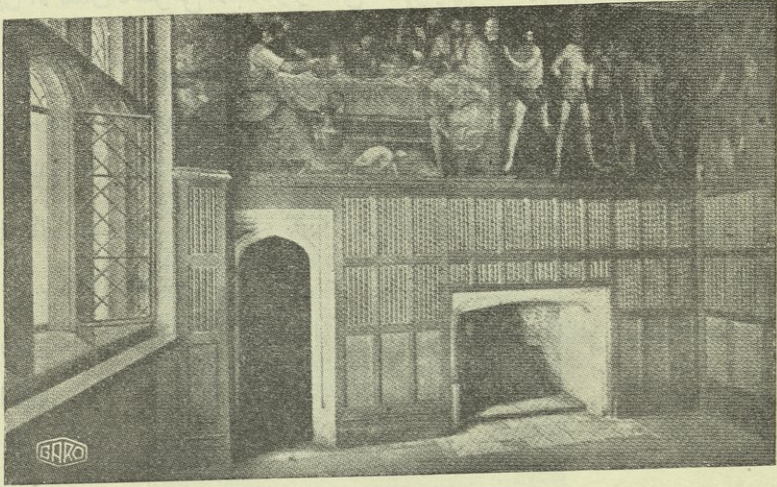
ما أعجب الأسرة التي كان يستعملها هؤلاء الملوك ، وما أغرب اختيار ألوانها ؛ أسرة ضخمة تتدلى ستارها من هذا السقف المرتفع ؛ أسرة ضخمة كأنها مسرح صغير ؛ يغلب عليها اللون الأحمر ؛ الذي يمثل قوة الملك ، ولكنه يدل على ذوق فطرى .

ومن بين هذه الحجرات كنيسة صغيرة للعبادة، هي بالطبع جزء متمم لزينة القصر ، لأنها تحفة طريفة ، وما أشبهها بالمسرح الأنيق الذي تراه في قصر فرساي ؛ فأولئك الملوك الفرنسيون يقيمون الفن باقامة مسرح في قصرهم الملكي ، بينما يحاول هؤلاء الانجليز أن يظهروا بمظهر التقوى والتعبد ، ومن يدري لعل هذا الهيكل قد بناه هنرى الثامن حامي الدين في بعض الأحيان ؟

...

وهكذا تنتهى دورتك حول هذه القاعات والحجرات والردهات ، فتصل إلى حيث ابتدأت وتنزل من السلم الأيمن إلى الدور الأرضى ، ثم تنحدر إلى ركن من أركان

البناء ، وتدخل في باب ضيق واطيء ، ينحدر بك إلى قبوات القصر ، إلى القبوات التي كانت تعتمق فيها الخجور .



حجرة الكردنال ولزلى الخاصة

ما أبعد الفرق بين هذه الحجرات ، وبين الحجرات التي تعلوها والتي لا يفصلنا عنها إلا السقف . حجرات يغلب فيها الخشب ، جدرانها مغطاة بطبقة جيرية كأنها بيوت القرية المصرية ، وأرض هذه الحجرات مرصوفة بالطوب الأحمر والأحجار الصغيرة . وهذه تقودك إلى بهو مظلم ، ومنها تدخل جناحاً آخر ، جناحاً قديماً مهدماً ، مبنياً من الخشب والطوب والحجر ، أبوابه ضعيفة مترججة . هذه هي مطابخ القصر ، حيث كانت تجهز الولائم ، إلى المائدة الملكية .

وسائل فطرية للطهي ، أبسط مما يمكن للعقل الانساني أن يبتكر من أدوات وأجهزة . أفران من الحجر كان يستعمل فيها الفحم ، وأخرى عليها أسياخ طويلة ، كهذه التي تراها عند الحاتي ، وفي البيوت المصرية القديمة .

قدور من النحاس وأباريق كبيرة لغلي الماء ، وعلى الحائط المهدم ترى بعض الملاعق  
والمغارف ، ثم طيور محنطة ، لعلها ردمت في أتربة هذه المطابخ أو رمادها .  
إن الانسان قاصر عن الابتكار والخلق ، فهو يغلي الماء ويقلي اللحم في قصور ملوكة ،  
كما يغلي هذا الماء ويقلي ذلك اللحم في أكواخ الشعوب الفطرية ، في قلب غابات الكنفو  
أو الأمزون . وهذه الموزة التي يلتهمها الزنجي التهاماً أو يستلذها الشبازي ، لا تختلف  
عن زميلتها التي تقطع بالملاقط والمقاطع على أفخر الموائد . . .  
إن الطبيعة مهما أطلقت لنا يدنا لنغير ونبدل من ظهر الأرض ، إلا أنها ربطت  
أذرعنا بأعناقنا فجعلتنا قاصرين .  
ومن هذه القبوات تخرج ثمانية إلى ضوء النهار ، وإلى الحدائق البديعة الفتانة فخر  
هذا القصر .

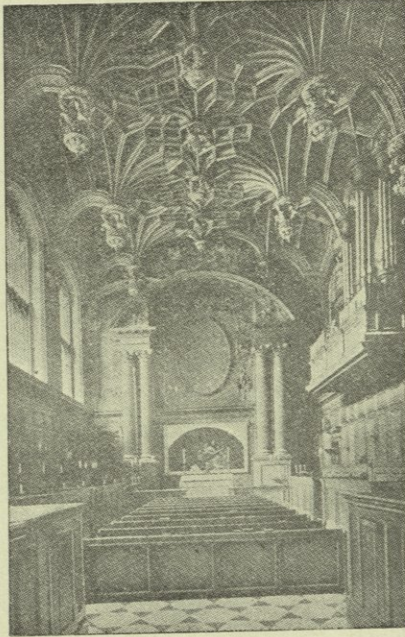
...

سرنا الى الطرف الآخر من القصر حيث بنيت طرقات ضيقة متعرجة من الأشجار  
المشعبة الخضراء ، فصورت ما ندعوه « بيت جحا » . ومثل هذه البيوت « مصغرة  
بالطبع » يعدها علماء النفس للقطط والكلاب والأرانب ليدرسوا عنها مبلغ ذكاء  
هذه الحيوانات وقدرتها على التعلم وعلى الخروج من هذه المآزق .  
وهكذا كان هذا البيت اختباراً لذكائنا ولقدرتنا على التعلم ومقياساً لصبرنا . اننا  
نسير في هذه الحياة كأنسير في طرقات هذا البيت الضيقة المتتوية ، قد نفكر وقد نجمع  
العزم ، ولكننا كثيراً ما نذهب الى حيث لا نريد ، ونعود الى حيث بدأنا ، ونضل بلا  
سبب سوى الحظ العاثر ، ونهتدى بلا دليل سوى الصدفة العمياء .  
دخل هذا البيت بضع ملايين من الرجال والنساء « كما يقول دليل القصر » في السنين  
الأخيرة ، ولم يجد طريقه سهلاً فيه الا القليل النادر .

...



ولماذا نذهب الى حديقة هامدن كورت لنجرب حفظنا ، أليست الحياة طريقاً أكثر  
التواء وأعقد نظاماً من هذه الأشجار المصفوفة ، ألسنانسير فيها عميانا وعيوننا مفتوحة ،  
وصما وآذاننا مرهفة ؟ نسير فيها الى حيث لا نريد . . . ؟



حيث يتعبد هنرى الثامن . . . ؟

## موكب عمدة لندن

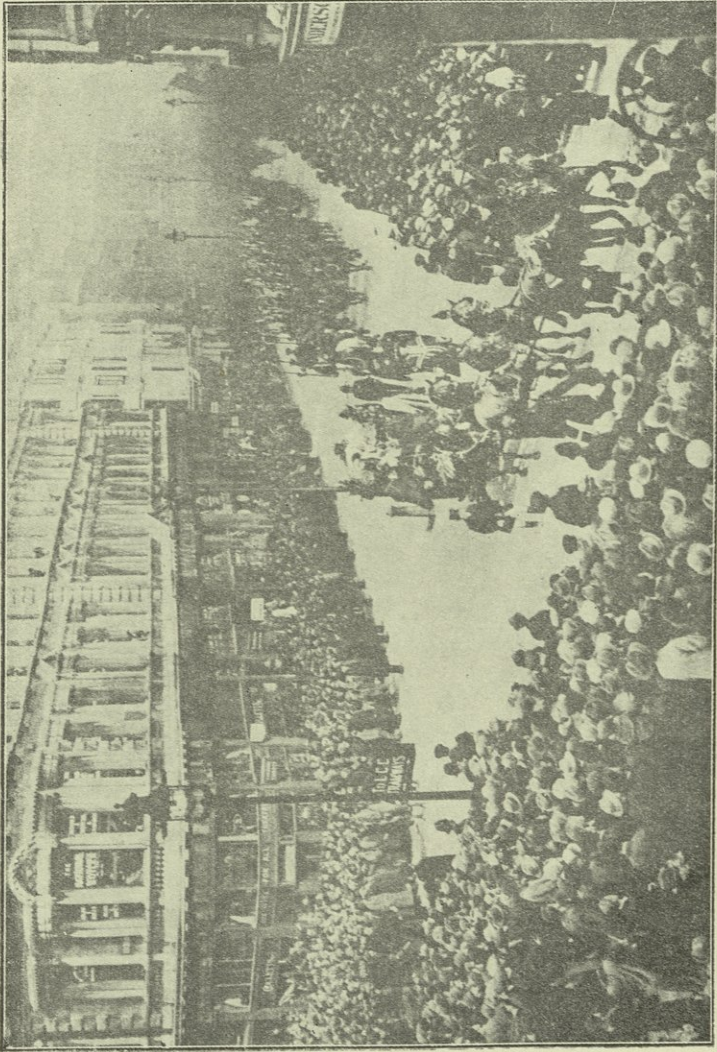
في كل عام يحتفل أهل لندن بتنصيب عمدتها الجديد ، أو ما يدعونه « اللورد ماير » وهذا الاحتفال يذكر الرأى بصورة من صور لندن منذ قرون مضت .

والى عهد قريب جدا كان على عمدة لندن الجديد - أن ينتقل على قارب من احدى قناطر لندن الى وستمنستر ، وكان لابد من ذلك سواء أ كان الجو مناسبا أم غير مناسب .

وفي مثل هذه الاحتفالات ، كان منظر التيمز لا يضارعه مشهد آخر في أوروبا ، الا تلك الاحتفالات التي كان يقيمها دوقات البندقية عند زواجهم .

وكانت هذه القوارب الفاخرة التي ينتقل عليها عمدة لندن وحاشيته تطلّى بماء الذهب ، وتغطى بالزجاج وتزين بعشرات الاعلام . وجريا على تقاليد موروثه ، كان يحمل شيء من ماء النهر الى ظهر القارب قبل ابجاره .

وكان قارب اللورد ماير يسير بمجاذيف خدمه الخاصة أو يقوده قارب بخارى . وحول هذا عشرات من القوارب تعزف على ظهرها الموسيقى . بينما قد احتشدت الآلاف على ضفتى النهر وعلى القناطر ، مما يجعل هذا الاحتفال أبهج أيام السنة في لندن . ولو أن هذا الاحتفال على مياه التيمز قد محى أثره الا أنه لا يزال محافظا عليه في الستى ( حى البنوك ) فى التاسع من شهر نوفمبر فى كل عام وفى مقدمة الاحتفال



موكب عمدة لندن

يسير خادمان من خدم اللورد ماير يلبسان ملابس بيضاء وقبعات من الحرير ،  
ويقودان الركب الى كنيسة سنت جيمس . فى الحى الشرقى فى لندن ، و يكنسان  
الطريق أمام العربة . ويحمل كل من الخادمين فى يده باقة من الزهور « لكىلا تصل الى  
أنف سيده رائحة خبيثة » .

وكل محاولة لالغاء موكب عمدة لندن ، لاشك أنها تقابل بمعارضة عنيفة من  
الرأى العام من أهل لندن ؟

لندن المحافظة ، لندن بلد التقاليد .

## الصحافة والصحف

في لندن ثلاث صحف يومية تطبع أكثر من مليوني نسخة كل يوم ، وعدد آخر يطبع أكثر من نصف هذا العدد ، وعشرات العشرات تطبع أضعاف ما تطبعه أوسع الجرائد المصرية انتشاراً .

حقاً إن الصحافة صاحبة جلالة في هذه البلاد ؛ ان الصحفي الذي يكتب أربعة أسطر يقرأ له هذه الأسطر الأربعة نحو نصف سكان القطر المصرى اذا فرضنا أن النسخة الواحدة من الجريدة تتداولها ثلاث أيد فقط .

ما أقوى الأثر الذى تتركه الصحافة الانجليزية عند هذا الشعب ، وما أشق مهمة الصحفي الانجيزى ، وما أشد فخره ، وأمنع مكانته .

هذا العدد الهائل الذى يطبع من الصحف الانجليزية ، لا يكون مالم تجد هذه الصحف قراء يساهمون فى انتشارها ؛ فبقدر ما تجد الصحيفة العدد الكبير من القراء ، بقدر ما تصرف بسخاء فى سبيلهم ، وبقدر ما تقدم لهم ما يرغبون فى قراءته مع اختلاف نزعاتهم ومشاربهم .

...

هذه الصحف التى تطبع الملايين كل يوم تصدر فى لندن ، وفى غير لندن تصدر أيضاً عشرات الصحف المحلية ، التى لها أهميتها ومكانتها .

فى كل مقاطعة صحفها ، وفى كل مدينة وقرية جريدتها الخاصة ، ولكل صحيفة

من هذه الصحف مكاتب في لندن ، مكاتب في فليت استريت مركز الصحافة  
والصحف الانجليزية .

وهذه الصحف المحلية لا تنقل ولا تقتبس من صحف لندن بل انها تستقل في  
تحريرها وتعتمد على مراسليها وعلى مندوبيها ، وتبحث شؤونها المحلية ، وتدرس الشؤون  
الخارجية مستقلة ، كما تدرسها التايمز أو الدايلي تلغراف .

كنت مرة في برمنجهام ابان سقوط احدى الوزارات المصرية ، فظننت أن ذكر  
الخبر في الصحف المحلية قد لا يتعدى السطور القليلة التي ترسلها شركات  
التلغرافات ، ولكنني وجدت هذا الخبر مكتوباً بالحروف الكبيرة في الصحيفة الأولى  
وبجانبه أكثر من صورة واحدة لبعض الوزراء المصريين ، ثم نحو عمودين دراسة  
وتحليلاً للموقف السياسي في مصر ولعلاقة الأحزاب المصرية بعضها ببعض .

هذه الصحف المحلية التي كثيراً ما تنافس صحف لندن من حيث أهميتها ومن  
حيث انتشارها « كما هي الحال في بعض صحف أدنبره ومنتشستر » هذه الصحف تعتمد  
على المقاطعات التي تظهر فيها ، من حيث أهميتها الاقتصادية ومبلغ ازدهام السكان  
فيها ، ولا أقول على درجة انتشار التعليم لأن نسبة التعليم في إنجلترا تكاد تبلغ  
المائة في المائة .

...

الصحف الصباحية ، عادة أكثر من غيرها انتشاراً وأشدّها أهمية . فهذه الصحف  
التي تطبع الملايين هي من صحف الصباح ؛ وهذه الصحف الصباحية ، تصدر عادة  
أعداداً خاصة يوم الأحد ، والكثير منها يصدر بالاشتراك صحفاً أخرى مسائية .  
ومنذ عهد ليس بعيد كانت هنالك ثلاث صحف صباحية ثمن النسخة منها بنسان  
الأنه منذ بضع سنين رجعت المورننج بوست إلى سعر البنس ، وفي الصيف الماضي  
رجعت الدايلي تلغراف إلى هذا السعر أيضاً ، فلم تبق الا التايمز .

والتاييز صحيفة لها مستوى خاص ومكانة خاصة ، فهي لذلك لا تقرؤها الا طبقة معينة ، الطبقة المثقفة ثقيفاً عالياً ، الطبقة التي فوق المتوسط . والتاييز لا تصطبغ كغيرها بصبغة سياسية معينة ، وليس لها نزعة حزبية غالبية ، تجعلها في بعض الأحيان تصور الحقائق تصويراً مخالفاً للحقيقة كما تفعل غيرها . ولو أن الأخبار العامة والسياسية تحتل في كل هذه الصحف مكانة هامة ، إلا أن الابحاث الأدبية والعلمية والفنية لها في التاييز مكانة واضحة .

وليست التاييز هي التي تنفرد بمادتها الغزيرة الدسمة التي لاتهمضمها العقول العادية ، بل هناك الدايلى تلغراف والمورنج بوست « الى حد ما » في لندن ، ثم المنشستر جارديان في منشستر ، والسكوتسمان في أدنبره وهي التي تعتبر تاييز اسكتلندا .

...

وفي كل صباح لا تجد رجلاً أو فتاة في طريقها إلى العمل بدون صحيفتها ؛ وفي الترام الأرضى ، ومع ازدحامه بالمئات لا تكاد تسمع صوتاً ، لأن كل راكب وكل راكبة منهمك في قراءة صحيفته .

فاذا انتهى الرجل من قراءة صحيفته تركها مكانه ، في الترام أو المطعم ؛ لأن مهمتها قد انتهت وليست هنالك من فائدة أن يحملها معه في كل مكان .

ترى هذه الصحف المثورة في الترام أو في مشارب الشاى فتتذكر قراء الصحف في مصر ، ثم تتذكر جيش القراء الاحتياطين . يشتري البعض احدى صحف الصباح في مصر فيقرأها في الترام ، ويذهب بها الى مكتبه فينتظرها جيش القراء الاحتياطين يتبادلونها من مكتب الى مكتب ومن حجرة الى حجرة . فاذا ما انتهى اليوم بحث صاحب الجريدة عن جريدته ، وتأبطها إلى بيته ، فيقلبها بعد الغذاء عليه يكتشف فيها شيئاً جديداً ، وقد يعيد ما قرأه في الصباح ، وقد يقرأ الاعلانات القضائية ، وقد يقرأ أخبار البورصة ؛ لا الأهمية خاصة عنده ، ولكن لكي يقطع الوقت بالقراءة ،

ولو كانت تافهة لا قيمة لها .

الصحف في مصر تؤدي مهمة مزدوجة ، هي أداة هامة للثقافة ، الكثيرون من المتعلمين وأشبه المثقفين لا يبحثون عن الأدب والعلم الا في الصحف ، اذ أن القليل النادر منهم من يعنى بقراءة كتاب ، أو يفكر في اقتناء مؤلف جديد . فهم يعتمدون على الصحف للثقافة وللدراسة ، ومع ذلك فلا يرى الواحد منهم غضاضة في استعارة صحيفة من سواه ، أو في الانتظار الى المساء لكي يشتري صحيفتين بنصف قرش . ان هذه الروح لا تتغير ما لم يشعر هؤلاء القراء بواجبهم نحو الصحافة ، لا سيوا اذا بدأوا يشعرون بما تبذله هذه الصحف المصرية الضيقة في دائرة انتشارها في سيلهم وما تؤديه لأجلهم .

...

والصحف الانجليزية ، ولو أن لكل منها سياسة حزبية خاصة ، الا أن النزعة الحزبية لا تطغى طغياناً جارفاً على مادة الجريدة كما هي الحال في مصر .  
« فالحوادث والأخبار » في هذه الصحف الانجليزية ، تحتل الجانب الأكبر من أعمدها ومن صورها . ويلي ذلك أهمية الأخبار الرياضية .

لا تكاد تتصور ما للرياضة ، وما للأخبار الرياضية من أهمية عند الانجليز ، الا اذا عرفت أن العدد الغالب من هؤلاء العمال الذين تراهم في كل مساء يتأبطون احدى هذه الصحف المسائية ، لا يشترون هذه الصحف الا ليطلعوا على أخبار الرياضة ، وعلى نتائج المسابقات . كثيرون من هؤلاء لا يطلعون الا على هامش الصحيفة الأخيرة حيث تنشر هذه النتائج . وقد يكون ذلك لنزعتهم الرياضية المغروسة في نفوسهم ، ولكن من العدل أن نقول ان اهتمام بعض هؤلاء بأخبار النتائج الرياضية ، سببه المراهنات التي يعقدونها على هذه النتائج فيما بينهم ، ومع أن هذه المراهنات ممنوعة في انجلترا ، الا أنها أكثر انتشاراً فيها بين طبقة العمال من أى بلد آخر .



والصحف الانجليزية لا تعتمد فقط على كثرة التوزيع ، بل أيضاً على كثرة الاعلانات التي تنشر فيها ؛ فهذه الصحف التي تصدر في نحو عشرين صحيفة بالحجم الكبير ، تنشر من الاعلانات ما يحتمل جانباً كبيراً منها .

فالورق وحده يكلف جزءاً لا يستهان به من الثمن التجاري الذي تباع به الجريدة ، ومع ذلك فان الجريدة تدفع آلاف الجنيهات لمراسليها الذين ينتشرون في كل ركن من أركان الأرض ، ولمحربيها وللكتاب المشهورين الذين يتناولون ثمناً لمقالاتهم بعدد الكلمات . كل هذه التكاليف الهائلة توازيها المبالغ الذي تدخل من ناحية الاعلانات التجارية والشخصية الصغيرة ، ومن العدد الهائل الذي تطبعه . فالدايلي تلغراف نشرت في نحو ثلاثة أشهر أكثر من ١٥٠ ألف اعلان شخصي . ومع هذا الانتشار الهائل ، فان هذه الصحف لا تتوانى عن الاعلان عن نفسها بشتى الوسائل ، مما ترى فيه صحفنا اليومية شيئاً من الغضاضة . فترى اعلانات عن الجرائد الكبيرة كالدايلي ميل والاكسبريس والنيوز كرونكل والمورننج بوست على جدران الترام وعربات الامنوبيس .

ولا تتوانى هذه الجرائد الكبيرة عن الاعلان عنها بارسال مندوبين الى البيوت يطلبون بالحاح الاشتراك في احدى هذه الصحف عن طريق أقرب بائع الصحف في المحي .

وقد رأيت يوماً مندوباً لجريدة الدايلي هيرالد ، وهي احدى الصحف الثلاثة التي تطبع مليونى نسخة ، رأيتّه يحاول اقناع احدى الفتيات في الدار التي كنت اسكنها في لندن ، ويوعدها بانها اذا نجحت في الاشتراك اليومى فانه يقدم لها هدية زوجاً حريزاً من الجوارب !

هذه الطرق قد تكون غريبة ، وقد تكون غير ضرورية مع هذا الانتشار

الكبير ، وقد يكون في هذه الطرق للاعلان والبروباجنده مس لكرامة صاحبة  
الجلالة ، ومع ذلك فقد يكون هذا الاعلان لغير المال ، وقد يكون في سبيل نشر  
المبدأ الذى تنادى به الصحيفة .

...

وهذه الصحف تعنى بكل ناحية من نواحي الحياة ، لهذا كان طبيعيا ان تقرأها  
جميع الطبقات ، الرجل المالى والعامل البسيط والزوجة والطفل والخدماء ، كل  
هؤلاء يجدون شيئا يلذ لهم في هذه الصحف ، اذ استثننا الصحف الذى سبق ذكرها .  
فى كل صحيفة رواية متسلسلة ، أو قصة يومية ، كما فى الافننج استاندرد ،  
تكتب خاصة للجريدة ، وفى كل جريدة صحيفة خاصة للاطفال ، وصحيفة للسيدات  
وللازياء ، وصحيفة للتسلية ، وصحيفة من يوم ليوم للكتب الحديثة ، هذا  
عدا الصور والرياضة والقسم التجارى والمالى والاخبارى .

وكثير من هذه الصحف تنشر مسابقات مجانية ، تدفع لها من الجوائز ما يقدر بيضع  
الآلاف من الجنيهات ، ومنذ حين كانت الداىلى ميرر تنشر مسابقة مجانية قيمة  
جائزتها ٢٢٠٠٠ جنيه عن نتائج مسابقات ألعاب الكرة ، إلا أن الحكومة أبطلتها  
لأنها رأت أنها مبنية على المقامرة ، وليست على المهارة .

وبعض هذه الجرائد اليومية مصورة ، بمعنى أنها تعنى عناية خاصة بصور الحوادث  
الجارية ، ومن هذه الداىلى ميرر والداىلى اسكتش ، ومثل هذه الصحف المصورة لها  
قراؤها لا سيما من السيدات والأطفال .

...

والصحف المسائية تبدأ النشر من نحو الساعة العاشرة صباحاً ، وتصدر طبعات  
متتالية إلى نحو السادسة مساءً ؛ وكل طبعة لها اسمها ولها زبائنها ؛ وهذه الطبعات غير

الختامية تعنى عناية خاصة بالشؤون الاقتصادية وأسعار الأسواق ثم بنتائج المبارات الرياضية .

...

وبعض هذه الصحف يؤدي خدمات عامة كبيرة . فالدايلي ميل تقيم كل عام معرضا كبيرا في بناية أولمبيا الشهيرة في لندن تدعوه «معرض البيت» في هذا المعرض تعرض نماذج للادوات المنزلية والاثاث على اختلاف أنواعه، والغرض منه نشر أصلح الابتكرات التي يمكن استخدامها في البيت الحديث مع ملاحظة رخص أثمانها .

وبعض هذه الصحف تقيم مسابقات للاطفال ، وأخرى للالعب . فالدايلي مرور كانت ترسل هذا العام بعض الراقصات الممتازات الى المصايف حيث يعرضن بعض الالعب الرياضية لاسيا للسيدات لكي يقتبسنها .

والمصايف مركز تلعن فيه الصحف والمجلات الاسبوعية عن نفسها ، تتفنن في ذلك بشتى الطرق . فجريدة النيوز كرونكل مثلا ترسل مندوبا لها في مصايف انجلترا المختلفة وتنشر صورته وموعده ذهابه الى هذه المصايف ، وتقدم الجريدة مكافأة مالية لمن يكتشف هذا المراسل .

ومن هذه الصحف والمجلات ، ما يهدى مجموعة من الكتب والمؤلفات والمراجع لمشتركيها ، ومن هذه الدايلي ميل ؛ وبعض هذه الكتب قيم لاأظن أن الجريدة تنتظر أى مكسب من ورائه ، غير ما ترجوه من تعويد هؤلاء المشتركين على قراءتها .

...

وجميع الصحف لاتصدر يوم الاحد . ولكنها تصدر بصورة أخرى وبعنوان محرف فالدايلي اكسبريس تصدر يوم الاحد « السنداى اكسبريس » والتايمز تصدر الابريرفر وهذه الصحف التي تصدر يوم الاحد ، أضخم حجما وأغزر مادة من غيرها ، وتباع

بنسین وهذه الصحف لاتعنى كثيرا بالشئون السياسية الجارية ولا بالشئون التجارية والاقتصادية ، بل تنشر بها الاخبار الجذابة ، كلقضايا الغريبة ، والقصص والابحاث الادبية والتاريخية .



وعلى أبواب محطات الترام الأرضى  
تجد بائعى صحف المساء . .

فاذا سرت بعد منتصف الليل فى فليت استريت ، وأنت لاترى الا الاضواء التى تبص من نوافذ بناياته العديدة ، فلا تعتقدان وراء هذه الجدران الصامتة ، قوما يتناولون عشاءهم البارد بعد السهرة أو يلعبون الورق حول المدفأة، لأنك اذا أتيت لك الفرصة وولت باب احدى هذه الأبنية ، فانك تجد وجوها يقظة ورؤوساً تقيد تفكيرها بالدقائق والثوانى ، تجد هؤلاء الذين يجاسون على قمة العالم ، ويستمعون لكل نسمة تهب وريح تخفق فيه ؛ تجد ذلك الذى يتحدث فى التليفون فتظنه

يتحدث إلى صاحبه عن موعد للشاي ، ولكنه في الحقيقة يتحدث على بعد الآلاف  
من الاميال وينتقل من استراليا إلى أمريكا ، ومن اليابان الى مصر .

...

فبينما لندن نائمة أو لاهية ؛ إذا بهؤلاء الذين يسكنون وراء فليت استريت يعدون  
مصلهم لحقن الآلاف والملايين في الصباح ، فيفجعون قلوبهم أو يهدئون أعصابهم بها .  
هؤلاء هم سفراء صاحبة الجلالة .

## طيور الليل

الساعة الثالثة صباحاً .

ميدان بيكادلى قد أقفر من الناس ومن الحركة ، ولست ترى في هذه الساعة المتأخرة غير رجل من رجال البوليس يفحص أبواب المتاجر المغلقة ، وجمع من عمال الطرق يغسلون أرض الشارع .

ومن النادر أن تجد عربة من عربات التاكسي ؛ وأندر من هذا أن تجد رجلاً يسير في هذا الميدان المقفر ؛ ان رؤية مثل هذا الرجل تثير الاستطلاع ؛ تثير التفكير ؛ تثير في النفس خواطر غريبة . من هذا الرجل الذى يسير وحيداً في قلب بيكادلى في هذه الساعة المتأخرة ؟

قد يكون مجرمًا خطيراً ؛ قد يكون محباً لعب بلبه الغرام وهو في طريقه إلى البيت بعد أن قضى ليلة راقصة مع حبيبته يسير ممتلئ الرأس بالآمال وبالآمانى ؟ قد يكون هذا الرجل لصاً ، وقد يكون رجلاً من أبناء السبيل بلا دار يأوى إليها أو بيت يهجع فيه ؟ إن خلو بيكادلى في الساعة الثالثة ، رهيب مفرع . . .

...

ولكن لندن ليست نائمة . مئات من أهل لندن لا يعرفون طعم النوم في الليل . أدخل إحدى هذه المطاعم الليلية التي لا تقفل أبداً ، والتي انتشرت في لندن انتشاراً كبيراً في السنين الأخيرة .

انه لا يزال ممتلئاً بحركة ونشاطا ، يرن فيه الضحك والكلام ، ويغدو فيه الخدم وپروحوں ، وتسمع فيه رنات الملاعق والأطباق ، ويعبق في جوه دخان التبغ .  
ما أبعد الفرق بين هذه الحياة بين جدران هذا المطعم ، وبين الهدوء والسكينة التي ترفرف في الشارع ؟ تدور بعينيك حول الجالسين فلا تكاد تشعر بفرق بين هذا المكان في الصباح وفي هذه الساعة المتأخرة .

ولكن لا ، كثير من الوجوه التي اعتدت رؤيتها في هذه المطاعم لا تلمحها الآن ؛ لست ترى السيدات اللواتي يخرجن بحقائبهن للشراء ، لست ترى أطفالا ؛ ولست ترى إلا عدداً نادراً من العجائز والمتقدمين في السن . وجوه الشباب ، ولكنها وجوه عليها علامات الفتور والتعب ، والمرح المستيري !

...

من هؤلاء الذين يتناولون طعامهم في هذا الوقت المتأخر ؟ لا شك أن حياة الكثير منهم يحوطها الغموض وتصبغها الأسرار .

تلمح في ركن القاعة شاباً أنيقاً في ملابس السهرة تصحبه فتاة كانت بلاشك ترقص معه ، تعرف ذلك من معطفها الأسود المحبوك حول وسطها ، أنها تنظر بعين زائفة حولها وهي تحتسى مع رفيقها شيئاً من القهوة . أنها تشعر بأنها مغامرة ؛ بأنها في مكان غريب عنها ؛ ولكن رفيقها لا يزال يمدق النظر إليها من تحت قبعته العريضة كأنه يروجها أن تطيل السهرة إلى أبعد من هذا ! وفي الوقت نفسه تراه يفضي النظر عن آخر بجانبه يدمن النظر ويظهر الاعجاب بصديقته . . .

كثير من الشبان المولعين بالرقص يملأون المكان ، ويتحدثون عن ليلتهم وعن الرقص ، ثم عن العمل في الساعة التاسعة صباحاً . ثم يضحكون !

...

وفي ركن آخر يجلس جماعة معهم عددٌ من الموسيقى وقد صفوها تحت الطاولة .

هؤلاء بلا شك أفراد فرقة موسيقية قد انتهوا من عملهم . وبجانب هؤلاء تلمح وجوها جادة الملامح ، يدخن أصحابها ولا يتكلمون ، لعلمهم من عمال الليل ، أو من رجال البريد ، ينتظرون الترام الأول الذى يقلهم إلى بيوتهم .  
ثم تجرد وجوها شرقية ، طلبة يابانيين ، يتحدثون سويًا ويحيلون النظر حول الجالسين ماذا يصنع هؤلاء فى هذا المكان ؟ لعلمهم يدرسون حياة الليل فى لندن ؟ . .  
وبين أركان المكان تجرد بعض الفتيات ، أولئك الذين يدعين بأهن من مدربات الرقص ، أو من ممثلات السينما . . .

...

إن هذه الطيور الليلية ، التى تراها تتنقل من طاولة إلى أخرى ويحيط بعضها بعضاً ، قد صار لديها عادة أن تتناول القهوة فى مثل هذه الساعة المتأخرة . ثم تسمع أحد هؤلاء وقد اكتشف أحد معارفه بين الحاضرين !

«هل تتذكر آخرمدة رأيتك فيها؟ كان ذلك فى بغداد !. ماذا حدث لفلان؟» ومثل هذا الحديث لا تزال تسمعه فى لندن ، بين أولئك الذين جمعهم الحرب وذكريات الحرب.

فاذا ما خرجت من المطعم ووقفت على بابه ، تبدأ تشعر من جديد بالوحدة وبالبرد . خيطان من النور على ضفتى الشارع المقفر ، عربة من عربات التاكسى تسير متمهلة بجانب الرصيف . وأعجب من هذا أن ترى فى ميدان بيكادلى عربة من عربات الخيل ، بجوادها الهزيل ، محنى الرأس كأنه يتذكر عهداً غير هذا العهد.

...

ثم تشاهد فى الجو الهادىء البارد نوراً ضعيفاً ينبىء باقتراب يوم جديد، ثم تفرغ أذنك قرقة عربات اللين ، فتذكر بأن لندن ابتدأت أن تقوم من سباتها . . .

ه . ف . مورتن



## أبهم سر هذا المساء؟

رحم الله باريس ، ورحم الله برلين وفيينا !  
أين تذهب هذا المساء ؟ وكيف تقضى السهرة في لندن ؟ تخرج الساعة الثامنة  
مهندياً محترماً وتفكر في قضاء السهرة ، تخرج فتجد الشوارع قد خلت من أهلها ،  
قد اقفر شارع اكسفورد والريجنت والاستراند ، لست تدري أين ذهبت هذه  
الآلاف من الناس !

لعلمهم ذهبوا يفكرون كيف يقضون الليل ، بعد جهاد يوم في سبيل العيش . لعلمهم  
يفكرون كما تفكر الآن كيف يقتلون الليل .

لا . لقد ذهبوا جميعاً إلى بيوتهم ؛ ليتناولوا عشاءهم ويجلسوا حول المدفأة  
يتحدثون أو ينصتون للراديو ، والقليل منهم ، القليل النادر ، من يفكر في الخروج  
من المنزل بعد عمله .

هذا القليل النادر الذي يفكر في السهرة على أنواع ؛ هم الطبقة الارستقراطية التي  
تجتمع في أندية الخاصة ، أو تذهب لتناول العشاء في إحدى فنادق بيكادلي أو مايفير .  
ثم طبقة العمال وطبقة العاملات ، هؤلاء هم الذين يملأون بعض الشوارع - وبعضها  
فقط - بنهايمهم والياهمم وبوقوفهم بالقرب من أبواب دور السينيات والمسارح الصغيرة .  
هؤلاء هم الذين تراهم ينتشرون في أمسية الصيف في هايد بارك يلتفون حول الخطباء  
لا يستمعوا بل لغرض الاجتماع والتظاهر .

هؤلاء هم الذين يجعلون في شوارع لندن بعض الحياة بعد أن تقفل المتاجر ؛ هؤلاء هم أبطال الروايات الغرامية في أركان الشوارع ، وفي منحنيات المتاجر المقفولة ، هؤلاء هم أبطال هايد بارك في الليل .

ثم هناك طبقة أخرى من رواد الليل في لندن ، طبقة الاجانب ، من اليهود الألمان، من الايطاليين ، ثم من طلبة الجامعات من هنود ومصريين وصينيين وغيرهم .

...

هؤلاء هم الذين يفكرون معك في قضاء السهرة في لندن ؛ ولكن الثامنة ساعة متأخرة لكي تفكر في قضاء الليل ، لان العصفور المبكر هو الذي يلتقط الحب « بفتح الحاء ! » . لك الخيرة بين ثلاث : قضاء الليل في مسرح ، أو في سينما ، أو في مطعم . دائرة ضيقة للاختيار ، وهي أكثر ضيقا اذا بدأت هذا الاختيار . لذلك ترى قد ترحت في بدء هذا المقال على باريس وبرلين وفيينا .

...

دور السينما في إنجلترا ، وفي لندن على وجه خاص ، أنفرد دور السينما في أوروبا ، لاتقارن قط بما في باريس وبرلين . ولكن مسارح باريس وما يعرض على هذه المسارح لاتجد له نظيرا في لندن ؛ كما ان مشارب برلين وصالاتها أمتع ماترى العين في أية عاصمة أوروبية .

في لندن عشرات من دور السينما التي تسع أكثر من ألفي متفرج وبعضها يسع نحو ضعف هذا العدد . ومع ذلك فهذه الدور تضيق بك اذا فكرت في الذهاب الى احدى سينيات بيكادلى في الساعة الثامنة .

ومع اتساع هذه الدور ومع كثرتها في لندن فانها غالية غلوا فاحشا ليس له مبرر . ثلاث شلنات ونصف ، أظنها كثيرة في مقعد متقدم في السينما ؛ وربما تقف في أيام السبت ساعة أو بعض ساعة قبل أن تخلو احدى المقاعد .

ولكن لهذه السينمات ميزة ، وان كان البعض ينظر الى هذه الميزة بغير ارتياح .  
تفتح هذه الدور أبوابها من الساعة الحادية عشرة صباحا ، وتستمر الى منتصف  
الليل ، تستمر بلا انقطاع ؛ ظلام مستمر من الظهر الى منتصف الليل ، لا يسأل عنك  
أحد ، ولو قضيت فيها هذا الوقت بأكمله ، لسبب من الاسباب ! !

والأسباب التي تدفعك لقضاء هذا الوقت الطويل في ظلام السينما ، مع المضايقة التي  
تجدها من تكرار الفلم ، عديدة . ودور السينما في لندن مسرح من مسارح الغراميات .  
أنت في الحقيقة تشاهد أكثر من رواية في وقت واحد . الرواية التي دفعت  
أجرا لمشاهدتها ، ثم رواية أو أكثر تشاهدها على يمينك ويسارك وأمأمك وخلفك ،  
روايات لم يستخدم الخيال في صوغها ، بل هي روايات غرامية حقيقية .

اذا حدث وجلست في الصفوف الخلفية ، وكان بجانبك مقعدان فارغان ، سرعان  
ما يحتلها أحد الروميوهات مع جوليته ! وبطريقة آلية سريعة ، بيدآن الفصل  
الاول من الرواية . نعم ، بطريقة آلية سريعة ، وقبل أن يستقر بهما المقام ،  
وبدون أن يفكرا في أمر الجماعة التي تحيط بهما !!

وفي بادىء الامر قد تختلس النظرات اختلاسا اذا كان الفصل الذي يمثل بجانبك  
دقيقا ! ولكن بعد حين تتشجع أكثر من ذلك ، لأنك تحس بأن بطلي القصة  
لا يكادان يحسان بوجودك أو لعلمهما يتحسسان اذا ما رأيا أن مناظر روايتهما الخاصة  
قد استهوت الافئدة وشغلت الجيران عن مشاهدة الرواية الاصلية !

وليست الغراميات هي كل ما يشجع على قضاء الساعات في دور السينما ؛ بل  
التعب والعزوبة والمطر . فكثيرا ما كنت أدخل السينما لأنني لأعرف أين أذهب ،  
أو لأن المطر بدأ يتساقط ، وأنا تعب من اللف والدوران لاسميا في بلد غريب ، اذ ليس  
أرخص من قضاء ساعتين أو ثلاثة بشأن واحد ولا يعينك اذا كانت الرواية ثقيلة  
أو أن المسرح فارغ ؛ لأن الجلوس أو النوم لا يحلو الا في الظلام وفي الوحدة .

ومنذ حين انتشرت دور جديدة للسينما في لندن، دور للاخبار لا تقضى فيها أكثر من ساعة ولا تدفع أكثر من شلن واحد. وتعرض في هذه السينمات أخبار الأسبوع، ومقطوعات غنائية وتاريخية، ومناظر علمية. ولا شك في أن هذه فكرة طريفة، من حيث قصر الوقت، وقلة الأجر، ومن حيث التغيير في موضوع روايات السينما التي أخذت تمجها النفس.

وبعض السينمات في لندن، تعرض الفلم الواحد عدة أسابيع متتالية، وفي بعض الأحيان عدة شهور قد تبلغ عاماً، وإذا انتهت من هذه الدور انتشرت في السينمات المحلية، ودور الأقاليم.

ولعل السينما قد أخذت تحتل مكانة التمثيل بعد انتشار الأفلام الناطقة، لأن كثيراً من دور السينما المشهورة القديمة، أخذت تعرض شرائط السينما من حين إلى حين. كما أن البعض الآخر منها قد استحال إلى مسرح يعرض فيه الرقص والمناظر المتقطعة التي يطلق عليها اسم «فارايتي».

...

وقضاء السهرة في إحدى دور السينما، ليس فيه الهجة المطلوبة. والمسارح بلاشك لها قيمتها واحترامها ومزاجها.

والمسارح في لندن مع تعددها، باهظة الأجر، لا تشجع على زيارتها إلا مرة أو مرتين في العام. والرجل الانجليزي المتوسط قد يمر العام ولا يذهب مرة الى إحدى مسارح الوست اند.

ومع هذا فتجد الاقبال على المسارح كبيراً، لا سيما في المقاعد المعقولة في أثمانها. ولما كانت هذه المقاعد لا تحجز مقدماً، فإن هؤلاء الزبائن، يحضرون إلى نافذة التذاكر قبل بدء التمثيل بساعات، ينتظرون دورهم في الدخول.

ومن المناظر العادية التي تشاهدها حول مسارح لندن - وفي أيام السبت حول دور

السينما - الصف الطويل من المنتظرين حول باب السينما . يقفون بترتيب اثنين اثنين ، ويتقدمون كذلك، السابق مقدم على سواه ؛ دون نزاع أو شجار بينهم يستدعى تنظيم أحد رجال البوليس .

وهذه الصفوف تمتد عشرات الأمتار وقد تنتهى فى الشارع الآخر ويطلق عليها اسم « كيو » . ولراحة الزبائن تقدم إدارة المسارح مقاعد صغيرة من القماش لجلوس هؤلاء الزبائن - ولكننى لست أدرى أهى مجانا أم بأجر خاص - لأنى مع الأسف لم أجربها بعد !



صفوف المنتظرين لدخول المسرح

وعدا ذلك تجد وسائل أخرى لتسلية أصحاب « الكيو » من عازفين على الكمانجة أو مغنين أو بائعى شكلاته ؛ لأنه كثيراً ما يحدث أن يمتد حبل هذا الجلوس إلى أربع

أو خمس ساعات ، قد يهطل المطر فيها مراراً . ولعل لسان هؤلاء الزبائن يقول « في سبيل الفن ما نلتقى . . »

وكثير مما تخرجه هذه المسارح يمضى على عرضه شهور وشهور قبل تغييره . وبعض هذه المسارح تعرض رواية واحدة في العام أو اثنين على الأكثر . ومن هذه المسارح مسرح « درورى لين » الذى عرضت فيه « أغنية الصحراء » .

ويرجع تاريخ اقامة هذا المسرح الى عام ١٦٦٣ وقد احترق عدة مرات ، والبناء الحالى يرجع تاريخه إلى قرن مضى . ويتصل بتاريخ هذا المسرح ، عدد كبير من أدباء إنجلترا وشعرائها من القرن السابع عشر الى اليوم ومن هؤلاء بوب وسويفت وشردان وجولد سميث وفاركوهار واديسون وغيرهم . ثم عدد من شهيرات الممثلات . ولهذا تجد هذا المسرح فى حى من أحياء لندن القديمة ذات الحوارى ، وتشارك معه فى ذلك دار الأوبرا .

ولما كانت أجور المسارح الكبيرة فى لندن باهظة ، لذلك اختصت بها الطبقة الأرستقراطية ، التى ترى الذهاب الى احدى المسارح من حين لآخر ضرورة حكمت بها البيئة ، ورعاية التقاليد من حيث اللباس وتناول العشاء فى احدى المطاعم الليلية جزء متمم للسهرة .

ومن أمتع المشاهد فى لندن ساعة انتهاء هذه المسارح وخروج المتفرجين وهم فى ملابسهم السوداء والبيضاء ، تصحب كلا منهم سيده بملابس السهرة الحريرية الطويلة البيضاء أو السوداء . تتخطر على ذراع صديقها أو زوجها بدلال ورشاقة .

وهل يأتى اليوم الذى تخرج فيه الفتاة المصرية يصحبها زوجها أو خطيبها وتقضى السهرة فى دار الاوبرا ، تستمتع بموسيقى بيتهوفن أو فردى ؟ !  
قد يأتى هذا اليوم . وقد يأتى قريبا ، وتكون ملاحظتى فى غير موضعها .

والنزعة السائدة في التأليف المسرحي في إنجلترا اليوم ، هي الروح النقدية الفكاهية ،  
التي نبغ فيها برنارد شو وغيره من كتاب هذا العهد .

وبعض المسارح يعرض من حين لآخر بعض الروايات الخالدة لاسيما التي من نوع  
الاوربات كعائدة ومدام بترفلاي ثم مؤلفات شكسبير .

وروايات شكسبير تعرضها بلا انقطاع احدى المسارح القديمة في « حي لندن  
الشرقي » وتعرف باسم « الأولدفك » أي المسرح الفكتوري القديم . وهذا المسرح  
يرجع تاريخه الى عهد شكسبير ، وفي مكانه شيد أول مسارح لندن في القرن  
السادس عشر .

...

والبعض لا يعتبر الذهاب إلى السينما أو التمثيل سهرة بل معنى الحقيقي ، لأن السهرة  
في نظرهم لا بد وأن تقطع في الحديث على مائدة العشاء أو في احدى المراقص .  
وبيكادلي حافل بهذه المطاعم وهذه المراقص . وفي كل حي من أحياء لندن تجد هذه  
المراقص المحلية .

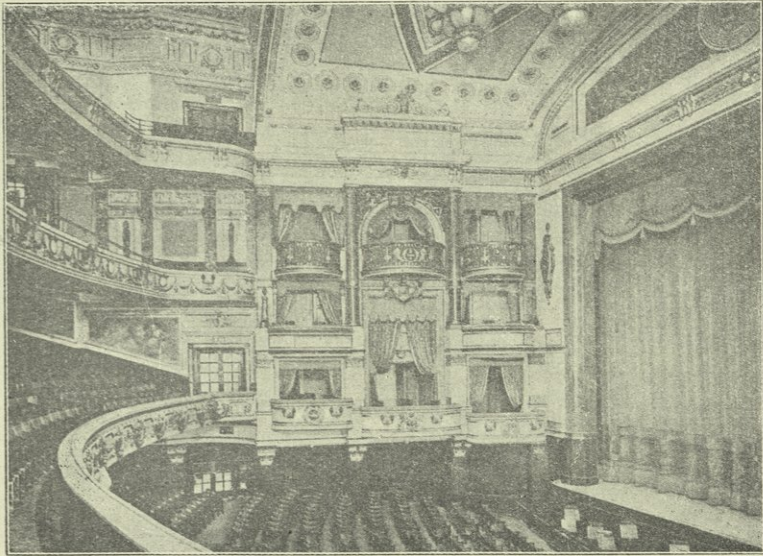
أنا لست ممن يحبون الرقص . قديقال لأنني لأجيده ، ولكن الحقيقة أنني حاولت  
الرقص ، فلم أجد بعد هذه المحاولة ما يشجع على السير في هذا الطريق !  
يقولون انه فن جميل ؛ لهذا التوافق بين حركات الجسم ونغمات الموسيقى ؛ ولكن  
الرقص الحديث لا يوافق طبيعتنا الشرقية .

هؤلاء الشبان المصريون الذين تراهم في أوربا يتحمسون للرقص ، والذين تراهم  
يدافعون عن مبلغ أثره في الجسم والذوق ، هؤلاء لا يرضون بحال من الأحوال أن  
يسمحوا لأخواتهم أو زوجاتهم بالرقص مع غريب .

لا . ليس هذا فقط بل ان كثيراً من الانجليز ، إذا ما قضاوا السهرة في احدى  
المراقص لا يسمحون لغريب بالرقص مع خطيباتهم أو زوجاتهم ، بل ان كثيراً من

هؤلاء الفتيات يرفضن بشم طلب الرقص، مع ما فيه من احراج للرجل المتقدم إليهن ،  
ومع أن البعض يعتبره قلة « طهي » من الفتاة .  
ان الغيرة الجنسية ، غيرة الرجل على زوجته أو خطيبته أو أخته ، تتنافى مع نظام  
الرقص الحديث .

ان من مظاهر الانقلاب الاجتماعي الذي حدث بعد الحرب العظمى في أوروبا ،  
انتشار طرق الرقص الحديثة هذه ، وانتشار موسيقى الجاز وغيرها ، التي تثير العواطف  
إلى درجة الاحتراق ؛ والتي وإن كانت تتناسب مع جو الحرب المكفهر في أوروبا بطوله  
ومدافعه ، إلا أنها لم تعيش طويلا بعد أن صمتت القنابل والمفرقات .



داخل مسرح الدرورى لين

فهذه الفترة التي نعيش فيها فترة شاذة ، سوف لا تمتد طويلا ؟ إذ أن طبيعة  
الإنسان بقوتها وضعفها لا بد وأن تتغلب في النهاية ، فالتطرف في الذوق أو الزى



أو الرأي ليس طبيعياً بل ان جذوته تنطفئ إذا سكنت الريح التي تذكى النار .  
وسوف ترجع أوربا إلى أنواع الرقص القديمة ، التي تؤكد العلاقات « الرومانتيكية »  
بين الرجل والمرأة ، هذه العلاقات التي كادت تتلاشى بانتشار أنواع الرقص الحديثة ،  
التي اذا نظرنا اليها بعين القرن الماضي أو بعين فرويد أو هارشفيلد من علماء التناسليات  
نجد أن الدافع الجنسي بصورته الفطرية مستتر وراء ذلك .

• • •

وفي هذه المراقص تجد فئة من الفتيات المحترفات التي تستأجرهن بشلن أو بنصف  
شلن للرقصة الواحدة ، أو بأكثر من ذلك بحسب درجة المرقص .

وفي الكثير من هذه المراقص فئة من الشبان المحترفين الذين يستأجرون بمثل هذه  
القيمة مع الزائرات ، اللاتي لا يجدن من يتقدم إليهن ؛ لأنهن من الشائبات  
العائبات !

وليس أقبح للنفس من أن تجد سيدة متقدمة في العمر ، في لباس المرقص ذي الظهر  
العالى والأكام الضائعة ، تنفخ في سيجارتها فتزيد وجهها الملون قبحاً ؛ تراها تتأبط  
ذراع أحد هؤلاء الشبان وتتخطر بدلال مصطنع بين أركان المراقص ، تتباهى  
بفريستها !

وبعض الفتيات يترددن على هذه المراقص ، لكي يكتشفن فيها عريس الغفلة ،  
لكي يتعرفن بأكثر عدد من الشبان ليجدن من بينهم زوجاً ؛ ولكن الحقيقة عكس  
ذلك فالشاب لا يبحث عن زوجة له في المراقص ، ولكنه اذا وجدها فقد يذهب  
بها الى هناك .

والفتاة المصرية التي تظن أن الرقص من مستلزمات الثقافة الغربية للفتاة هي

بلا شك مخطئة ، لأن كثيراً من الانجليزيات المثقفات تثقيفا جامعياً لا ينظرن إلى الرقص بهذه العين . ان الفتاة المصرية التي تفتخر بأنها تتردد على بعض صالات الرقص في القاهرة وتفتخر بمن يسألها الرقص من خدمة الأجانب المستوطنين ، هذه الفتاة تقدم ثمنها غاليا في سبيل الجراءة التي ليس فيها موضع للفخار .

منذ سنين كنت أقضى الصيف في أوستند في بلجيكا ، وكانت معي عائلة مصرية يدرس زوجها الشاب في إنجلترا ؛ وبينما كنا في مرقص الكازينو الفاخر ، تقدم شاب أجنبي الى الزوجة وسألها أن ترقص معه . فرفضت بطريقة ، جعلتني « وكنت جالسا بجانبها » أنضح العرق كسوقا وخجلا . ثم راحت هذه السيدة تلقي على وصف لقصة هذا السؤال وهذا الرقص .

لم تكن السيدة فاتنة جذابة بل كانت أما مصرية لم تغب عاما اذ ذاك عن مصر ؛ وكان زوجها الشاب يرقص من حين إلى حين . وكانت السيدة بطبيعة الحال تجهل الرقص .

كان رفضها رفضا من أثقلته التقاليد التي لا يمكنه أن يحاربها ، رفض عجز لا رفض قدرة ، رفض اباء وحذر من اثاره غيرة زوجها ، الذي لم تكن تحار في نفسه هذه الخواطر . فكل هذا كون في نفس هذه المصرية ، وهي ترى حولها الراقصين والراقصات في ثيابهن الفاخرة ، وتحت الأضواء الملونة المنعكسة ، ومن بينهم زوجها ، كل هذا كون مناعة في صدرها ، لا تسمح لهذا الاغراء بالدخول .

ولكن الفتاة المصرية التي عاشت في مصر ، لا تكون هذه المناعة بسهولة ؛ ولا تكونها بهذا التطرف السخيف في الأخذ باذبال الحضارة الغربية ، عن يد هذه الحثالات الاجنبية التي ضاقت بها أوربا ، ولم تجد بداً من النزوح إلى الشرق تحمل

معها بضاعتها الخاسرة التي تبهر عين المرأة ، كما كان يبهر المستعمرون في قلب افريقيا  
عيون شعوبها الفطرية بالخرز والودع .

...

وبعد هذا كله قد لا تزال تفكر معي كيف تقضي الليلة في لندن ، في لندن

بلا عمل !

## مقبرة العظماء

في هذه المرة زرت دير وستمنستر لالاقف أمام كل لوحة أحل طلاسمها اللاتينية ، ولا لأتأمل كل تمثال امر به واستعرض تاريخ صاحبه قائدا كان أم فنانا ؛ ولا لأستمع بمشاهدة فخامة هذه الكاتدرائية العظيمة القديمة وأدرس فنها ومعمارها ، لان كل هذه قد أخذت منها بنصيب في زياراتي العديدة لهذا الدير ، المكان الذي لاتسام الترداد عليه ، ولا تشعر بملل من استعادة ماتراه بين جدرانها .

دير وستمنستر مقبرة العظماء ، العظماء الذين كتب لهم الخلود ، لأنه كم من عظماء خدموا الانسانية ، عظماء عاشوا كذلك بنفوسهم الكبيرة ؛ ولكنهم ذهبوا وذهبت ذكراهم الا من أفواه القليل ، ومحيت اسمائهم الا من الكتب والمراجع التي لا يقرؤها الا هذا القليل .

كلما أدخل هذا الدير كلما أذكر الكلمة الخالدة التي كتبها أديسون عن ترده عليه ؛ على هذا المكان الذي أسير فيه اليوم بجدران الصماء وبتماثيله الرخامية ، منذ نيف ومئتي سنة . وهاهو المكان لأظنه قد تأثر بهذه السنين الطويلة .

أذكر أديسون وهو يقول في خاتمة مقاله « واذا ماشاهدت مبلغ حزن الآباء على أبنائهم فان قلبي يتفطر أسي وحزنا ولكن اذا ماشاهدت قبور هؤلاء الآباء أنفسهم ، فانتى أفكر في تفاهة هذا الحزن والاسى على رحيل هؤلاء الذين سوف نلحق بهم قريبا » .

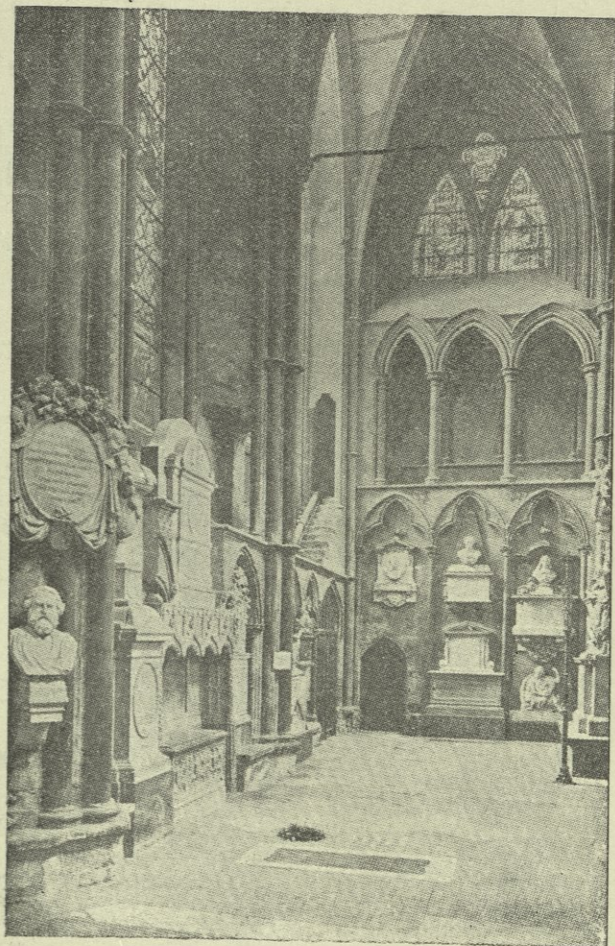
ربما كان أديسون يترنم بهذا الكلام وهو واقف حيث أقف الآن ؛ على قطعة من الرخام أدوس عليها بقدمي ولا أشعر . وقد كتب عليها « هنا دفن جوزيف اديسون ١٦٧٢ - ١٧١٩ » هنا تحت البلاطة التي أقف عليها ، هنا عظام جوزيف أديسون ، أديسون الذي كان يتردد على هذا المكان ، والذي كان يقف أمام تمثال شكسبير وغيره من تماثيل رجال الأدب القدماء ، والذي ربما سار على هذه البلاطة التي نقش عليها اسمه أكثر من مرة .

وعلى مقربة من هذه البلاطة يقف تمثال اديسون تمثال ضخم يزرى بتماثيل كثير من ضيوف ركن الشعراء يزرى بتمثال صديقه رتشارد استيل النصفى ؛ لقد خلد اديسون دير وستمنستر بمقاله ، ولقد خلد دير وستمنستر جوزيف اديسون بهذا التمثال الذي تحوطه الملائكة والفتيات الجميلات النادبات ، وحفظ هذه العظام التي من يدري ماذا فعل البلي بها وهي تحت البلاطة العريضة التي كتب عليها اسمه .

وكلما ازور دير وستمنستر لا أقدر أن أمر دون جولة في ركن الشعراء وهم ينتحون مكانا منزويا من الدير العظيم ، كأنهم يتسامرون في هدوء وسكون .

وعلى بلاطة صغيرة لا يزيد طولها على قدمين ، وبجانب البلاطة التي دفن تحتها أديسون تقرأ بخط حديث « توماس هاردى - توفي سنة ١٩٢٨ » . مئتي سنة تماما منذ أن أودعت عظام استيل في الركن الذي لا يعد عنه بمترين . هذا كل نصيب توماس هاردى من دير وستمنستر نصيبه من الخلود ، هذان القدمان من الارض ، وهذه القطعة من البلاط العادي ! . ومع ذلك فئات ممن يملكون عشرات الآلاف من الفدادين ، قد يبنون عليها بطيب خاطر في سبيل قدم من الارض تحت قبة وستمنستر .

وهؤلاء العظماء من الانجليز الأدباء ، الذين يعرفون مصيرهم إلى هذا الدير ، هؤلاء العظماء ما شعورهم إذا ما وقفوا في ركن الشعراء وقد كاد يضيق بضيوفه وقد شغل كل



ركن الأدباء في دير وستمنستر

ركن منه وشغل كل قدم من أرضه الضيقة المحدودة . ما شعور برنارد شو وهو يزور هذا الركن ويقف باسمًا بذقنه المسترسلة ، يدور بعينيه البراقطين بين تماثيل شردان وجولد سمث من أدباء المسرح الأقدمين ومن الإيرلنديين أمثاله ؟ ماشعوره وهو يعرف

ان احدى هذه الأحجار التى رصفت بها أرض هذا الركن ستكون يوماً ما كل  
ما يدل على وجوده . . .

من يدري أى أفكارا تجيش فى نفوس هؤلاء العطاء وهم يزورون دير وستمنستر؟

•••

ولكن لا . ليس ركن الشعراء هو الذى أقصده هذه المرة فى دير وستمنستر ،  
وليس تمثال أديسون ولا مقبرة توماس هاردى ما أبحث عنه فى زيارتى هذه .

تمثال مرمري أبيض ناصع البياض ، أقيم فى ركن قد يخفى على السائر المتعجل  
مكانه ، أقيم بين تماثيل كثير من رجال الحرب وبين عدد من رجال السياسة .

لست أعرف عن صاحب هذا التمثال كثيرا ولا أريد أن أعرف ؛ فاسمه لم يرد فى  
كتب التاريخ التى درستها ولا فى كتب الأدب التى قرأتها ، ولم يتردد فى الصحف  
والدوريات ؛ وهذا التمثال المرمري الأبيض لم يقيم لأن صاحبه قد خلد ذكره كأمر  
مترف ولا كقائد محنك ولا كسياسى خطير ولا كقس ورع ولا كأديب مبتكر ؛ ولكن  
بين تماثيل هؤلاء جميعاً قد أقيم هذا التمثال ، وبين تماثيل هؤلاء جميعاً سرت هذه المرة  
لا أرنو ولا أتلفت بل أسرع الخطى الى هذا التمثال المرمري الأبيض .

هذا التمثال أقيم لأجل المرأة .

هذا التمثال نحت ليخلد حباً بين اثنين ؛ بين زوج وزوجة . هذا التمثال رفع لكي  
يكون رمزاً للاخلاص والوفاء ، اخلاص الرجل نحو زوجته الشابة التى احتضنها الموت  
فتية .

هذا التمثال أقيم كما أقيم « التاج محل » فى الهند ، أقيم من الرمر الأبيض رمز  
الطهارة ورمز الاخلاص .

من هي فلورانس نايتنجيل التي أقيم لها هذا التمثال ، ومن هو زوجها ؟ لست  
أعرف كثيرا عن تاريخهما .

...

تمثال حديث الصنع ، بينه وبين تواريخ كثير من التماثيل التي أقيمت حوله  
عشرات السنين بل ومئات السنين . وهو مع ذلك ضيف محبوب بين هؤلاء الجيران .  
فكرة التمثال هي كل شيء . فتحسن قد نشعر وقد نقدر ، ولكن الفنان هو الذي  
يعبر لنا عن شعورنا وعن تقديرنا .

على قاعدة التمثال تجد فتاة سمحة الوجه يهصر قلبها ألم عميق وترى في عينيها أثر  
الحزن والجزع ، تجلس مكشوفة الصدر قد سقطت بعض ثيابها عن أكتافها .

وخلف هذه الفتاة يقف رجل شاب ، هو زوجها ، يقف في ثورة جزع مؤلم ،  
ثورة تلهبها شجاعته ورجولته ولكنها ثورة جزع ، ثورة يأس قاتل ، يقف يحوط  
زوجته بحمسه ويرفع ذراعيه لكي يحمي صدرها المكشوف العاري ؛ ترى ذراعيه  
وترى وجهه من جديد فكأن ذلك الجزع قد انقلب جنونا ، جنون اليأس والحيرة !  
وتحت أقدام التمثال، ترى حربة ثقيلة مسددة إلى ذلك الصدر العاري ، إلى صاحبه  
ذات الوجه السمح المتألم . يسدها رجل ؛ ياللقاتل !

لا . بل يسدها هيكل عظمي ، هو رمز الموت !

هو هذا الهيكل العظمي ، هيكلنا العظمي ، الذي نجزع منه ، هو الذي نخافه  
ونزهبه ، هو الذي نتصوره الموت . وليس هو الا أصلب أساس في بنائنا وأقدره على  
مقاومة دورة الزمن .

هو الموت كما كان يتصوره ملتون يقف بجرسته المسددة بين السماء والأرض ؛  
بجرسته المسددة إلى هذا الصدر العاري ، إلى صاحبه ذات الوجه السمح المتألم .



وماذا ينفع جزع هذا الواقف خلفها ؟  
وماذا تجدى ذراعاه الممدودتان لحماية رفيقته من هذه الحربة المسددة ! . . .

...

ولكنه هو كل ما لديه ،  
كل مالدى الانسان قد قدمه لرفيقته ؛  
الحزن ؛ والحنو ؛ والاخلاص ؛ والوفاء .

## الطبيعة الانجليزية

في كل شيء تنلمس هذه الطبيعة الانجليزية . ولكن كيف ندعوها ؟ أهي جمود في المشاعر أهي تلبد في العاطفة ، أهي ضعف في الاحساس ، أم هي ارادة مهذبة ، تهذبت حتى طغت على دقات القلب ، فلم تدع الدم الفائر يتدفق جزافا دون حساب . لا . ليست هذا ولا ذاك ، وليس من عيب اذا دعونا هذه الطبيعة بالبرود . البرود الانجليزي لا أكثر ولا أقل .

كل شيء في مصر يثير العاطفة الملتهبة ، ويميز الاعصاب هزاً عنيفاً ؛ كل شيء : صديقك ، وزوجتك ، وخدامك ، ورئيسك ، وممرء وسك ، بل حتى الطبيعة الجامدة لا تتواني عن اثاره أعصابنا المنهكة المريضة . تحاول فتح باب حجرتك فيستعصى عليك وتتوتر أعصابك ، وتقفل النافذة وتبدأ عمالك فلا تمضي طويلا حتى يفتحها الهواء ، فاذا أغلقتها غاضباً تحطم زجاجها ! حياتنا في مصر صراع مع الناس ومع الطبيعة ومع أنفسنا .

...

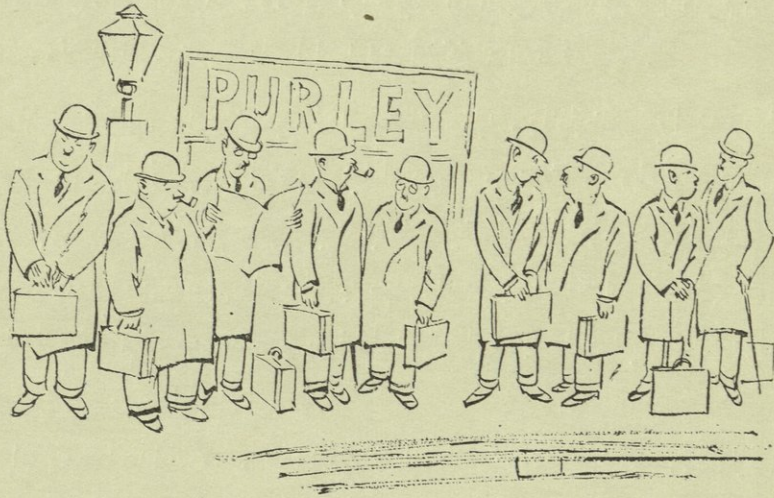
هؤلاء المئات من الرجال والنساء ، من الابناء والازواج ، من الاصحاب والصاحبات ، من الاطفال والامهات ، يجلسون جنباً لجنب في هذه الطاعم العديدة في لندن ، لا تكاد تحس لوجودهم أترأ ، إلا أصوات الملاعق والملاقط ، وخطبات العاملات ، بل نقرات أحذيتهن وهن يغدون ويرحن بخفة ورشاقة من مائدة الى مائدة . وهنا في الترام وقد ازدحم بالعشرات من الراكبين والراكبات الذاهبين إلى أعمالهم

أو الراجعين الى دورهم ، ليس منهم من يرفع عقيرته زاجراً أو ساخطاً من الازدحام  
أو من حرارة الجو أو من وقوف القطار أو من تأخيره . إذا تحدث تحدث إلى نفسه  
أو همساً إلى من يجاوره .

أعصاب مستريحة ، وأجسام قوية ، لا تكلم من العمل ، ولا تشيخ وصاحبها لم  
يتعد بعد طور الرجولة الكاملة .

...

ليس هذا البرود صفة مستحدثة وما هو بصبغة مستعارة وما هو بعادة فحسب نشأ  
عليها الانجليز ، بل هو طبيعة اختلطت بدم هذا الشعب وصارت جزءاً من مركباته .  
يا لله ! حتى القطط الانجليزية ، تبدي هذا الجمود وهذا البرود . هذا القط الأسود  
« ساكي » أحد أفراد الدار التي أنا بها ، قد تشبع بهذه المبادئ الانجليزية ، يمر على  
المطبخ ولا يكاد ينظر إلى ما على الرفوف قناعة أو قل كبراً وصلفاً ، وله نظامه اليومي



انجليز . .

الذى لا يخطئ . يتناول طعامه في مكان معين ، ويجلس في الحديقة على احدى الدرجات الموصلة إليها ، يجلس هناك ولو كان الجو بارداً واليوم مطيراً ؛ وما الذي يجعل الانجليز يغير نظامه أو يبدل في عاداته وتقاليده حتى ولو كان قطا !

وليس هذا فقط ، بل انك اذا حاولت معاكسته وشفقت له بكفك ، أو حاولت أن ترهبه باقترابك منه ، ظهرت فيه هذه الطبيعة الانجليزية الثابتة الأصيلة ، يرفع عينيه اليك قليلاً ثم يغمضهما مستمراً في جلسته ، كأنك لست هناك . بل انه لا يكاد يهز ذنبه ترحيباً ، مخالفاً في ذلك طبيعة نوعه . نعم لأنه انجليزى المولد أو النشأة أو الرعوية !

هذا الهدوء في الطبيعة ، يتبعه الهدوء في التفكير . تتبعه البساطة في الحياة ، والصرامة في المعاملة . هذه المجالات الاجتماعية ذات القيود الثقيلة ، التي تشمل ارادتنا وتفكيرنا ليس لها مجال في حياة هذا الشعب . لا يفعل الانجليزى اذا تحدث لك بالحقيقة المرة التي تغضبك ، ولا يدوب خجلاً اذا أفضى لك بعجزه عن القيام بما تطلبه منه ، ولا يحتدم غيظاً وحنقا ، اذا حاولت أن تخطئه أو تسفه رأيه .

فهو يحتكم إلى عقله وتفكيره لا الى عاطفته وقلبه ، ولماذا يضحى براحته وبسلامته وبوقته في سبيل لا شيء ، في سبيل مجاملة كاذبة ، وحدث كله رياء ومداهنة ؟  
كم منا من يضحى بوقته في سبيل مجاملة ضيف ليس في قربه نفع ولا في حديثه فائدة ؟ كم منا من يضحى بماله ويلقى به مهدوراً وهو يعرف أنه أكثر حاجة له ممن يدفعه اليه ؟ وكم منا من يعد وهو يعرف استحالة ما وعد به ولكنه يرهب أن يقول لا ، يرهب الكسوف والخجل .

انه ينقصنا هذا البرود ، هذا الجمود في العاطفة . وقد يظن البعض أن ليس من حسن الفطن أن تثبت في النفس هذه الطبيعة ، حتى لا تنقلب جموداً في المشاعر والاحساس ، ولكن الاحساس المهتاج والمشاعر الثائرة المضطربة أبعد من صحة

التقدير وودقة الاحساس ، ممن هدأت عاطفته واستراحت أعصابه .



انه يتقصنا هذا البرود . . .

منذ أعوام كنت في القطار من كاليه إلى باريس ، وكان الوقت عشاء فدق ناقوس الطعام ، وذهبنا إلى عربة الأكل . وجاءت جلستي مع انجليزين ، فخدمت الله على ذلك ، فقد يجبر الجلوس الحديث ، فتتقضى الساعات الباقية الى باريس . ولكن هذا حلم لا يحققه لك انجليزى ولو قتلته الوحده وأضجرته الوحشة .

بدأ الطعام ، وكل منا مشغول بأمر نفسه ، وطلب أصحابنا بضع زجاجات من النبيذ الفرنسي ، الذى كثيراً ما يرحل لأجله الانجليزى الى فرنسا لندرته وغلو ثمنه فى انجلترا . ثم بدأ دخان السجائر والسيجار والغليون يملأ فضاء العربة . وجاء وقت الحساب .

قدم الخادم كشف الحساب الى أصحابنا ، ولم يرد أن يضيف تلك العشرة فى المائة على قائمة الحساب ، لأنه يريد « بقشيشا » أكثر سخاء من هؤلاء الانجليز الثراء .

أخذ أحدهم ما رده اليه الخادم من الورقة ذات المائة فرنك وترك له تلك الكومة من أرباع وأخماس الفرنكات ، وهى لا تبلغ فرنكا أو فرنكين ، فنظر إليه الخادم متأدبا موجها نظره إلى خطأ تقديره ، فلم يبد هذا ميلا لتصحيح خطئه ، ولم يتحرك ذلك إلى أخذ هذه السحائيت ، كأنه واثق من أثر هذه الوقفة الرهيبة على رأس

الزبون وأعين الجالسين والجالسات ترمق هذا المنظر . ولكن خاب ظنه ، اذ جمع الانجليزى هذه الدريهمات ووضعتها فى جيبه بسكون واستمر فى حديثه مع صاحبه ، كأن لم يحدث ما حدث ، والخدم مازال واقفا بين يديه ، وقد مهدت شفتاه مهدجاً واحمر وجهه غيظاً وحنقاً .

وشعرت إذ ذاك كأننى شريك لهذا الانجليزى فى عمله ، أو كأننى أنا الذى فعلت ما فعل ، لأننى خجلت من النظر الى المائدة المجاورة ، ولأننى أجزلت للخدم العطاء ، كأننى أ كفر عن سلوك هذا الجار ، لا لسبب سوى أننى شرقي ولأننى مصرى .

ليس فى هذه الشرقية وهذه المصرية موضع للفخر اذا كانت التضحية غير واجبة والذوق الذى نحتكم اليه لا يدل إلا على ضعف بالنفس وخور فى العزيمة . تناولت الطعام فى احدى مطاعم لندن الأنيقة وكنت مسرعاً ، فأعطيت الخادم خطأ نحو خمسة أضعاف « البقشيش » المناسب ، فنظر إلى مبهوتاً لأنه لم يكن ينتظر ذلك ، فأحسست بالخطأ . ولكن أين الجرأة والشجاعة ؟ وهذا الكسوف قد حط على أكتافنا وأثقل كاهلنا بتقاليده ؟

...

كان الفيلسوف افلاطون يرى أن كل ما يستثير الفرح الشديد أو الحزن العميق ، من قصص أو شعر أو موسيقى يجب أن يمنع تداوله فى جمهوريته التى تخيل فيها المثل الأعلى للمجتمع الانسانى .

لأن الانسياق خلف العاطفة الثائرة موضع ضعف فى الرجل ليس خليقاً بالمثل الأعلى للرجولة ، وليس خليقاً - فى نظر افلاطون - بمن يريد أن يجمع فى يده زمام الحكم . وهل أقول ان نبوءة افلاطون قد صدقت ؟ فيها هو الشعب الانجليزى الذى ملك خمس العالم ، قد أثبت بجموده وبرود طبيعته أنه جدير بالحكم والسلطان .

لا ترى الانجليزية يضحك حتى يستلق على ظهره ، حتى ولو كان في مجال لا عيب



لا ترى الانجليزية يضحك حتى يستلق على ظهره

عليه فيه إذا ملاً الفضاء بقمهته ، حتى السكير إذا سار في الشارع « يدندن » إلى نفسه ، ولا يتبرع بأشراك السائرین معه في « انبساطه » كما هي الحال مع سكيرينا ، ونحن قد توترت أعصابنا من قبل أن تعصر الحجر ! فما بالنا والحجر ؟

وكما أنك لا ترى الانجليزية يضحك حتى يستلق على ظهره ، فانك لا تراه يظهر الجزع والألم ولا ينصرف إلى البكاء إذا ألم به الخطب أو قسا عليه الزمن . وإذا كانت دموع المرأة مقياساً لرقه احساسها ودقة شعورها ، فأنني لم أر انجليزية تهدر هذا اللؤلؤ الرطب في مواقف تجدها فيها البكاء أيسر ما تقوم به ، لتصوير عاطفة كاذبة أو صداقة تجول بين جنبيها .

لا أقول شيئاً عن مواقف الحب والهيام ، ولا اللقاء والفراق ولكنني أذكر المواقف التي لا يرى الرجل فيها من ضير أن يسكب دموعه سكباً ، خذ مثلاً مواقف الموت .

قد يموت أحد في الشقة المجاورة ، ولا تكاد تسمع ندبة أو صرخة أو ولولة .  
بل انك لا تكاد ترى الجزع يستولى على الأب فيفقد زشده ، ولا على الفتاة فينسيها  
نفسها .

بل إن ذلك ليبلغ في بعض الأحيان مبلغ الجمود والكنود إذا ما رأيت الفتاة  
لا تسكب دمعة على أبيها الراحل ، أو الزوج على زوجته ، أو الصديق على صديقه  
القريب .

والعطف على المريض وتلك الرعاية التي لا تنقطع وذلك السهر حول سريره ، لا يعرفه  
هؤلاء الانجليز ؛ فلا المريض ينتظر هذه الرعاية ؛ ولا الذين حوله يضحون بجماع  
وقتهم ، وبنظامهم اليومي ليجلسوا حول سريره ، يجهدونه بالسؤال تلو السؤال ،  
ويضجرونه بأقصاصيهم وهمسهم .

وانك لا ترى الفوضى ضاربة أطنابها في البيت اذا مرض أحد أفرادهم ، فهم يأكلون  
ويشربون ، ويخرجون ويدخلون ويلعبون ويضحكون ، ولا يمنعمهم ذلك مرض هذا الفرد  
فهو في حجرته وحيداً ، لا ينتظر أن يزوره أحد الا اذا كان في حاجة الى طعام أو دواء .  
وكم كانت تضجرتني وحدة المرض ، وكم كنت أبكي حرقاً على نفسي ، وكم كنت  
أتصور نفسي أبأس خلق الله ، وأنا جيبس حجرتي لا يدخلها على أحد ، الا مرات  
معدودة كل يوم . وكم كنت أتحرق غيظاً وأنا أسمع أهل الدار في حديثهم وسمهم في  
الحجرة المجاورة ، يمرون أمام بابي ، ولا يفكر أحدهم في الدخول عليّ . ولم يكن ذلك  
اهمالاً منهم لي ، ولكنه عطف منهم وشفقة .

ولكن ياله من عطف وإلهام من شفقة مصطبغة بالعلم والمعرفة والعقل ، لا شفقة  
تحدوها العاطفة العمياء . ولكنها ليوننا نحن معشر الشرقيين لانميز فيها هذه الصبغة  
المقبولة المعقولة .

...



مات رب الدار ، وفي الدار زوجته وأولاده وأحفاده وغير قليل من أقربائه . كان  
مستر كوندرن هذا ارلنديا صميما له ما للارلنديين من الفكاهة والملاحة في الحديث ،  
وشيء ليس قليلا من الكرم الشرقي . لذلك كنت أحبه وكان يحبني لمصريتي ، ويأخذ  
جانبي في كل جدال أو مناظرة سياسية أو غير سياسية في البيت .

وأذكر ليلة وفاته، وسوف أذكرها، وقد حضرت الساعة التاسعة مساء ، ودخلت  
الدار فلم ألمح شيئا غريبا ، الا أن ابنه الشاب أقبل علي ، وهصر يدي وهو يقول ان  
أباه في دور الاحتضار ، في الغرفة المجاورة . يالها من ساعة ، اني أذكر كيف وقفت  
مذهولا جامداً وراء الباب ، لا أعي ولا أشعر ، ولا أقدر أن أخطو الى الحجره  
لأودع صديقي الراحل .

خرج الطبيب من الحجره ، وأخذ هؤلاء الأبناء والأقارب في الانسحاب ثم قفل  
باب الحجره ، وأنا لا أزال مسمرأ في مكاني لا أبرحه ، وأحاول اخفاء دموع سخينة  
أخذت تبلل وجهي ، لأنني شعرت من الضعف أن أظهر هذا الجزع وليس من بين هذا  
الجمع من يشاركني فيه .

جاءت الزوج لتعزيني ولتهدي من جزعي ، وترجوني أن أذهب الى حجرتي . .  
لماذا ؟ لأن عشائي الساخن ينتظرنى ! . .

لماذا الجوع ؟ وماذا يفيد الجوع ؟ ولو كان الميت في الحجره المجاورة . . . ؟ أهى  
فلسفة أم هى طبيعة غريبة عن طبيعتنا ؟

لقد ذهبوا جميعاً الى حجره الطعام يتناولون عشاءهم ! ولم تمض ساعتان على وفاة  
ذلك الأب . . كنت أنظر اليهم مبهوتا ، ولقد كانت هذه فاجعة أبعد أثرأ من الموت  
نفسه، فاجعة رأيت فيها مثلاً من العاطفة السامية التى نشأت وأنا أطأطأء الرأس لها ،  
رأيتها تمثالا من الخبز الذى لا حياة له ولا دم في وجنتيه ! !

...

اننى انسان ، له ضعف الانسانية ومناقصها، أخاف وأحزن وأبكى وأتألم وأجبن،  
لأن فى هذا الضعف معنى الحياة وروحها وقوتها .  
وأى حياة هذه التى تمر أمام عيني ولا تهز القلب ولا تثير الوجدان ؟ وأى حياة  
هذه التى لا تبكى ولا تضحك ، ولا تحزن ولا تخيف ، حياة لا طعم لها ولا معنى .  
وان انسانا يعيش هذه الحياة ، يعيش كما تعيش الدى والأنصاب .  
حقا ان الانسان ضعيف ، ولكن فى ضعفه سر الحياة .



## فليت استريت

شوارع لندن التي لا يزال عليها طابع العصر الماضي ، والتي لا تزال تجد فيها تلك الحانات والحانات القديمة بأسمائها وعلاماتها ، هذه الشوارع نادرة اليوم لا سيما اذا بحثت عنها في الأحياء الحديثة حول الوست اند .

وفليت استريت صلة بين القرن العشرين ، وبين العصور التي سبقتها ، والتي كان فيها فليت استريت من أهم شوارع لندن ، بل أهمها من نواح عدة .

...

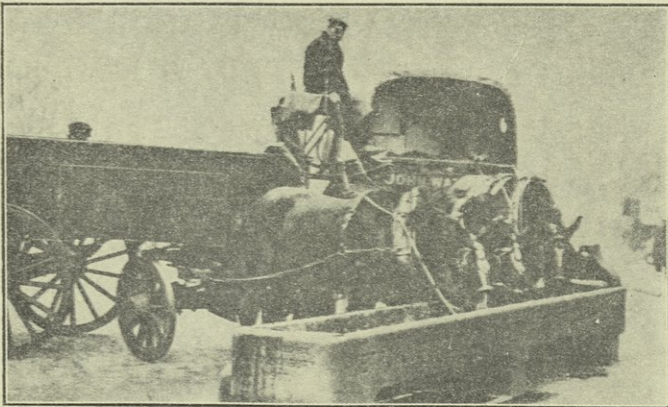
وكان من عادتي أن أضرب في هذا الشارع بعد أن أتناول الغداء في الكلية الملكية حيث كنت أعمل ، فأبدأ السير على الطوار الأيمن مبتدئاً بمحكمة الجنايات الانجليزية المعروفة بولد بيلي وأسير حتى ينتهي فليت استريت في الشارع الذي يتصل بكوبرى بلاك فراير على التيمز . واذا كان الوقت صحواً جميلاً كنت أطيل السير حتى أصل الى كنيسة سان مارك الضخمة بدرجاتها الرومانية العريضة وتبائها العديدة وبحمامها الأليف .

فازا انتهيت الى ذلك عبرت الى الطوار الآخر ، وأخذت طريقي ثانية الى الكلية الملكية في الاستراند .

ومن قرأ طرفاً من الأدب الانجليزي لا سيما في القرن الثامن عشر ، في ذلك العصر الذي عاش فيه أديسون واستيل وهزلت وجونسون وبزول وشارلس لام

وشارلس دكنز وكارليل ، من قرأ تلك المقطوعات التي كتبها هؤلاء الكتاب ،  
والتي كانت أول خطوة في الطريق إلى الأدب الصحفي الحديث ؛ ومن قرأ شارلس  
دكنز في قصة المدينتين وفي أولفر توست؛ ومن قرأ بوزول عن حياة جونسون ، وعن  
يوميات النادى الأدبي . من قرأ شيئاً من أدب القرن الثامن عشر ، فانه بلاشك يحن  
الى فليت استريت يحن إلى السير في تلك الأزقة الضيقة التي تنحدر من فليت استريت  
الى ضفاف التيمز .

في كل ركن من هذه الأركان ذكرى ، وكل علامة من هذه العلامات التي تشاهدها  
على أبواب الحانات العتيقة المنتشرة في هذه الدروب الضيقة ، تحمل تاريخاً .  
ليست هذه حانات ، بل انها كانت أشبه بشيء بلشارب والمقاهى ، بل انه أقرب  
إلى الصواب أن ندعوها خانات ، شبيهة بالخانات التي كانت الى عهد قريب في الشرق  
ولا تزال في دمشق وحلب وغيرها .  
هذه الخانات كانت أندية أدبية في ذلك العهد ، وكانت مجامع للثقافة ، وكانت  
مجالس الأدباء والفنانين والساسة .



بقايا عصر العربات

وإذا قرأت أديسون واستيل ولام وغيرهم ، لوجدت كثيراً من أسماء هذه الخانات يتردد ذكراً في كتاباتهم ، وبعض هذه الخانات لا تزال تحتفظ بأسمائها ، وإن تبدل روادها وتغيرت أحوالها .

وذلك العصر كان عصر العربات وعصر الخيل ، ولا تزال آثار هذا بادية في فليت استريت وفي الدروب الموصلة اليه ، فساق الخيل والاصطبلات الخلفية التي استولت عليها السيارات ، والأرض الحجرية التي تشبه بعض شوارع الاسكندرية ، كل هذا يذكرنا بالمأساة التي انقضى بها عهد العربات والخيول . ولكن مع ذلك فمن حين الى آخر ، تمر بك احدى العربات القديمة السوداء المقلدة ، وتنمى الفرصة لتمعن النظر إلى السائق بملابسه الرسمية المزركشة وبقبعته العالية ، وفي بعض الأحيان يصحبه آخر بمزمارة الطويل ؛ ينفخ فيه لكي يفسح لعربته الطريق ؟

بقية من الروح في جسم هامد ، وجهاد مع الحياة في سبيل البقاء ، ومنظر أتالم له ، ولا يثير استطلاعي أو اعجابي ، فهو المنظر الأخير من مأساة سوف يسدل عليها الستار قريباً .

...

وفليت استريت شارع المكتبات والمطابع ، فهو يذكرني بشارع الفجالة بمكتباته المغبرة التي تكدست فيها الكتب دون ترتيب أو تنظيم .

ولعل الكثيرين يشاركونني في هذه المتعة ، متعة « الف » حول هذه المكتبات أقلب في هذه الكتب المعروضة والتي يرجع تاريخ طبع الكثير منها إلى أكثر من قرن ، هذه الكتب التي أتقن طبع غلافاتها والتي زر كشت بالأشكال والزخارف الهندسية المذهبة . والتي لم تعرف الفوتغرافيا بعد . هذه الصور ، التي يجب أن أقول ان الفنان كان يجهد ذراعه في تنميقها وتدوين كل صغيرة وكبيرة عليها حتى تشوهت ، لم تعد تدل على فكرة معينة ولا على ذوق ولا فن .

هذه الكتب العتيقة لا أحب أن أجعلها في مكتبتى ولو كانت نادرة الوجود .  
فالقراءة في كتاب باهت الغلاف عتيق الطبع ، لا تلد لي ولا أعتبط لها . ان الكتاب  
كالصديق يجب أن يكون من أبناء جيلك ومن قرنائك . ومع أنى أحب أن أقلب  
في هذه الكتب العتيقة في مكتبات فليت استريت فاني لا أبتاع عادة شيئاً منها .

وفليت استريت ليس شارع المكتبات القديمة فحسب بل هو شارع الصحف  
وشارع الصحافة . والصحافة الانجليزية يلتصق اسمها باسم فليت استريت ، والصحافي  
الانجليزي الذي لم يخرج فليت استريت ، لا يزال صحافياً في دور التكوين .  
وكل بناية - بلا استثناء - دار من دور الصحف . والصحف اليومية التي تصدر  
في لندن والمجلات الأسبوعية ، ودور النشر والصحف الانجليزية التي تصدر في غير  
لندن .

وأخذ عامل التجديد يغير ويبدل من أبنية فليت استريت ، إذ أن أكثر من  
صحيفة واحدة في لندن تطبع في اليوم أكثر من مليونين ، فهي ليست تلك الصحافة  
التي كانت معروفة في القرن الماضي .

هذا التجديد تشاهده في عمارتي « الدايلي تلغراف » « الدايلي اكسبريس »  
الأولى بناية من الحجر الجرانيتي بأعمدة ضخمة هائلة أشبه شيء باحدى البنوك  
الأمريكية ، والأخرى عمارة تفنن واضعها في تصميمها فهي بناية سوداء لامعة . بناية  
من المعدن والزجاج الأسود . بناية عجيبة وذوق غريب ، تشاهده في كل ما فيها من  
أبواب وأثاث .

وفي كل دار من دور هذه الصحف ، ردهة للقراءة تعرض فيها بعض أعداد كل  
صحيفة ، وتعرض فيها صور الحوادث الجارية ، لكي يطلع عليها من لا يقدر أن يدفع  
بنسأئاً ثمناً لها .

والعمل وراء هذه الجدران لا يقطع ليل نهار ، وأسلاك التيلفون والبرق التي تتصل  
 بهذه البناءات لا تهدأ في أية ساعة من ساعات اليوم . وعميون العاملين وراء هذه  
 الجدران لا تغمض ، وكم من هؤلاء لا يتركون فليت استريت إلا وقد دك أجسامهم  
 السهر وهد قواهم العمل المتواصل ، لما يتناولون من منبهات وعقاقير .  
 وأنت الذي تدفع بنسا أو نصف قرش في الصباح ، وتقلب احدى هذه الصحف  
 ثم تلقىها بضجر ، لست تدري كم من أعصاب تهدمت في تجبير هذا الذي ترى أنه  
 لا يستحق القراءة .



ناشر الاخبار في لندن قبل عهد الصحف

## قاعة الرعب

دعنا ننظر الى الحياة من ناحيتها السوداء ،  
دعنا نرور أولئك الذين مرقوا عن المجتمع ، فصاروا مصابه وداءه ،  
دعنا ننظر الى هؤلاء الذين شهرهم اجرامهم لاجبهم للانسانية ، وخلدتهم شرورهم  
لاخيرهم وصلاحهم .

كلما أخطو درجة الى أسفل السلم ، كلما ابتعد عن الحياة والأحياء ، وعن  
ضوء النهار . وهكذا سرنا في أقبية أشبه بسرديد القلاع في القرون الوسطى ،  
درجات من الحجر ، وسقف واطيء مغبر وضوء أقرب الى ضوء الفتائل . تمهيد لما  
سوف يأتي ، وجو يشعر الزائر بانه في عالم غير ذلك العالم الذي كان فيه منذ دقائق  
وفي ذلك السرداب صور ملونة يرجع تاريخها الى عصور سابقة . صور لطرق  
التعذيب القديمة ، ومناظر تمثل التفنن في الاجرام والتفنن في الانتقام ، صور يغلب  
فيها اللون الاحمر ، ولعل حقد أوروبا على الاتراك في العصور الماضية ، يتمثل في هذه  
الصور ، فهذا أحد السلاطين يدخن النرجيلة وينظر الى رأس وزيره في طبق تقدمه  
اليه فتاة ، وهذا أمير يقتل أبناءه خوفا على عرشه ، وهذا آخر يمثل بفتاة أبشع تمثيل .  
وهذه النماذج لا تستثير النفس الا اذا قرأت ما كتبت تحتها . هذا الجبل هو الذي  
سنتق به فلان وفلان ، هذه السلسلة التي قيد بها فلان الى أزمت . هذه النفأس هي  
التي استعملت لجذ رأس الأميرة فلانة واطفالها .



ولكننا لانزال في السرداب

...

يقودك القبو الى قاعة الرعب ، وهي حجرة متسعة تحيط بها مقاصير ضيقة . وضوء القاعة الخافت ، واغبرار جدرانها ، والظلال التي تلقبها مافيها من مشانق ومقاصل ومقاعد كهربائية ، وصور الزائرين وهم يمرون بين هذه الاجهزة كأنها خيالات أو أطياف لا تحدث صوتا ولا حركة من خوفها ورعبها . كل هذا يثير في نفس الزائر ولم يكن قد تخطى القاعة هلعا مصطبغا بألم عميق .

صورة للانسانية المذبذبة .

يمنح هذا المعرض مكافأة مالية لا بأس بها لمن يقضي الليل في هذه القاعة . فلم يتقدم لذلك أحد ، وماذا يفعل المال ليغسل هذا الأثر الذي تركه هذه المشانق والمقاصل وماذا يفعل ليقتلع هذا الألم الذي يرسب في قرارة النفس حسرة على الانسان ! !

في هذه المقاصير التي عن يمين الداخل يقف عدد من المجرمين الذين كان نصيبهم الاعدام ، وكثير من هؤلاء المجرمين يتناقل القوم قصصهم كما تتناقل في مصر قصة « ربة وسكينة » وكما تتناقل في فرنسا قصة لاندر و في المانيا قصة سفاح دوزلدورف .



مثال الشمع

وانك اذا قرأت هذه القصص لتعجب لهذه الأسباب التي تدفع هؤلاء إلى الجريمة وإلى القتل ، بل وإلى التفنن في الاجرام ، والابتكار في ارضاء هذه الشهوات الضالة . هذا طبيب كان يقتل مرضاه بالزرنبيخ ، وهذه مسز تومسون الشابة الجميلة التي قتلت زوجها بمساعدة رفيقها في منزلها . وهذا لاندرولبحيته الشقراء ، وهاتان الأختان قد اشتركتا في قتل زوج احدهما ، وهذه العجوز قتلت بعض الأطفال وكانت تدور بجثثهم في عربة للأطفال في شوارع لندن .

ثم هذا الرجل المهضوم الوجه والجسم ، والمسترسل الشعر هو شارلس بيس ، صاحب القصص الاجرامية التي تشبه الخرافة ، والذي كان يسير مع المشيعين في ما تم من يقتلهم ولم يكن يدرى به أحد .

وكنت أدمن النظر في وجوه المجرمات ؛ فالمرأة المجرمة ، المرأة القاتلة ، أبلغ أثرًا في نفسى من الرجل القاتل . فالمرأة التي نرغب منها العطف والحب والحنو ، والمرأة التي تكفكف دموعنا وتسكن من رعبنا وخوفنا ، والمرأة التي نرغب ابتسامتها ويدها الرفيقة على رءوسنا . هذه المرأة ما أقسى نظراتها ، اذا ما سفكت الدماء ، ولطخت يدها بجمرتها القاسية .

وبينما أنت تمنع النظر ساهم الوجه الى هذه الوجوه المعبرة ، اذا بناقوس يدق دقة مرعبة هائلة ، ترسل في قلبك الرعب ولو كنت في الفضاء الطلق ، وما بالك وأنت حبيس في هذا القبو بين آلات الاعدام ووسائل التعذيب وبين هؤلاء السفاكين ! هذا هو الناقوس الذي كان يدق في لندن ، اذا ما أريد تنفيذ الاعدام في أحدا ما ، فكان آخر صوت يسمعه القاتل قبل أن يودع هذه الحياة .

وفي إحدى هذه المقاصير رجل أسود الوجه يجلس على مقعد حديدي ، يضع شبه طاسة صغيرة من النحاس على رأسه ، كنت أظنه زنجيا . ولكنه كان أول أمريكي أعدم

على المقعد الكهربائي في أمريكا . وهذا السواد ليس سواد البشرة ولكنه احتقان الدم في الوجه .

والمقصورة المجاورة مجللة بستار لكي لا يطل إلى ما وراءها الأطفال ؛ في هذه المقصورة رجل معلق من بطنه بهلب مدلى من السقف ، والدم يقطر من جروح جسمه ومنافذ وجهه فيلطح الأرض . وسيلة من التعذيب في بعض بلاد مراکش . وفي القفص الحديدي يجلس رجل مهضوم الجسم شاحب الوجه متدلى الذقن . هذا هو المركز . . . . الذى قضى ثلاثين عاما في هذه « الزنزانة » وراء جدران البستيل ، وعندما أفرج عنه ، لم يقدر أن يعيش مع الأحياء ، وأراد الرجوع الى زنزانه . فمات بعد الافراج عنه بأسبوعين ! يالسلطان العادة .

ثم في القبو الذى يلى ذلك ، جحر من أجحار المزيفين . وجوه هستيرية ونظرات تأهية وشفاه صفراء وأيد مضطربة . شعور بالاجرام ، ورعب قاتل . وماذا يفعل المال ، وأى سعادة يجلبها ، ونحن نتردد كل لقمة في خوف وهلع ؟

ثم في هذا القبو جحر من أجحار مدمنى المخدرات ، يالتمس ويالشقاء ، لم يبق من مظاهر الانسانية وراء هذه الهياكل البشرية المطروحة على الارض في هذا الجحر المظلم القدر إلا ملامح باهتة ؛ وجوه أقرب إلى الموت منها الى الحياة . حياة بلا شعور حياة ليس فيها روح الحياة .

وفي ركن القاعة ترتفع رأس احدى المشانق التى كانت تعمل بجد إلى عهد قريب ، وبجانبيها شارلس بيس من ناحية ثم « العشماوى » الانجائزى بملابسه السوداء وذقنه السوداء يستعد ليؤدى مهمته .

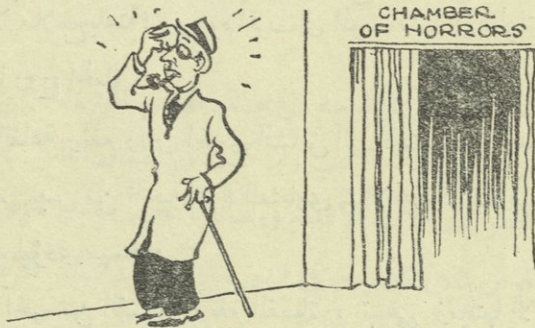
وفي ركن آخر من القاعة ترتفع المقصلة ، تباهى زميلتها الانجليزية بسكينها القاطعة . هذه احدى المقاصل التى حصدت عشرات ومئات من الرؤوس فى الثورة الفرنسية . وعلى عارضة هذه المقصلة نبيل فرنسى بملابسه من الخمل ملقى على وجهه

موثوق الاطراف مربوط العينين ، في الطريق الى الدار الأخرى . وبجانب المقصلة سلة  
من القش تلك التي كان يجمع فيها من تحصده المقصلة من رءوس كل يوم ابان عهد  
الثورة .

وعلى مقربة من ذلك قفص من سيور الجلد مدلى من السقف يقف فيه شبح  
التصق جلده بلحمه ، وسيلة من وسائل الاعدام كانت تستعمل في رودس ، حيث كان  
يترك المحكوم عليه في هذا القفص الجلودى معلقا يموت من الجوع والتعب .  
والروح الفنية لا تنقص طريقة العرض في قاعة الرعب هذه ، لان الفنان ، لم يترك  
للأعمدة والاركان الا وحلاها بقطعة فنية بديعة . رأس مقلوع العين ، رأس قد  
مات صاحبه مسموما ، رأس امرأة قتلت بنصل في منحها ، وجه مشنوق . نماذج فنية  
بديعة تدل على ذوق العارض ومزاجه .

...

أعصاب متوترة ، ونفس حائرة ، وقلب محسور ، وفكر شارذ هكذا أخرج من  
قاعة الرعب ، ولا أدري الى أين ؟ الى الضوء والهواء ؟ خرجت والشمس قد



وهكذا تخرج من قاعة الرعب ...

ابتدأت في الغيب، وقد كست شارع بيكر «أستريت» بصبغة صفراء حزينة: فزادتنى  
ألماً على ألم .

جامد الاحساس ، زاهد النفس ، لا أجد ما يثير نفسي ولا يهدى أفكاري ، كل  
شيء كان عندي سواء .

ولم يكن ذلك الذي احتوى نفسي خوفاً وهلعاً ، بل كان ألماً عميقاً . كنت أحزن  
على نفسي لاننى انسان ...

## البحث عن غرفة للإيجار

لا أظن طالبا أجنبيا هبط ل لندن ولم يسكن اسبوعا أو بعض أسبوع في احدى بنسيونات رسل اسكوير .

ولا يكاد بنسيون من عشرات البنسيونات المنتشرة حول هذه المنطقة تخلو من قدم أجنبية وعلى الأصح من قدم هندية ؛ ومن هذه البنسيونات تأخذ أول فكرة عن الحياة الانجليزية ، فكرة تتغير وتتبدل فيما بعد .

سرعان ماتصل بمن عرف لندن قبلك بعض المعرفة ، فيقترح عليك أن تنتقل إلى غير هذا الحي ، الحي التجاري في بيوته وبنسيوناته ، حياة لاتلد لمن أراد أن يعيش في لندن وأن يدرس في لندن حياة هذه البنسيونات التجارية ، حياة تشعرك بالوحدة وأنت تعيش بين الكثير .

قد تأخذ النصيحة فتنقل الى احدى هذه الأحياء ، أو قد تنشر اعلانا قصيرا في احدى الصحف كالدليلي تلغراف ، ولا تنس في الاعلان بعض الملاحظات الضرورية « طالب جامعة - مصر - أسمر اللون - لا تزيد سنه عن الخامسة والعشرين . . . » اعلان اقرب الى طلب زواج منه الى اعلان ايجار غرفة .

وترد عليك عشرات الردود ، بل أكثر من العشرات . نشرت مثل هذا الاعلان مرة في الدليلي تلغراف مستوفيا الشروط السابقة فلما ذهبت في اليوم الثاني الى ادارة الجريدة وسألت عن رد لهذا الاعلان ، وقفت بضع دقائق ولا من يجيب فظننت أن

هذا الاعلان كان الى سكان المريخ لا الى سكان لندن . وكدت اذهب وانا خجل  
من نفسى . ولكن . . .

أعاد على الموظف السؤال عن نمرة اعلاني ، وسرعان ما رجعت محملا بحزمة ، بربطة  
من الخطابات لا يقل سمكها عن عشرين سنتيمترا محزومة بالدوابة . . .

كل هذه الخطابات لى ! لقد شعرت بخجل أكثر ، شعرت بأننى قد خدعت كل  
هؤلاء ، وجعلتهم يظنون من اعلاني اننى شىء آخر غير حقيقى . حملت هذه الحزمة  
والخجل يتملكنى . أين اذهب بها ، وأين اقرؤها ؟ مشكلة عويصة .

اتحيت ركنا خفيا في قاعة الدالى لتلغراف وفككت الحزمة ، ووزعت خطاباتها في  
جيوب البنطلون والسترة والبالطو ثم الشنطة ، ثم حملت الجوابات الطويلة العريضة في  
يدى . جوابات على كل لون وعلى كل حجم ، جوابات رسمية صفراء طويلة ، جوابات  
غرامية حمراء صغيرة ، جوابات مكتوبة بكل مداد وكل خط . وعند ماتم التوزيع  
شعرت بأننى رفعت حملا عن عاتقى ، شعرت بأننى وزعت هذه المهربات . . .

قراءة هذه الخطابات متعة أخرى ؛ ودراسة حقيقية لسيكولوجية جانب ليس بالقليل  
من هذا الشعب الانجليزى . وكل جواب له طريقة خاصة في الكتابة ، وكل جواب  
يرسم لك صورة لشخصية مرسله . أو مرسلته على الأصح ، لأن جميع هذه الردود بلا  
استثناء يرسلها الجنس اللطيف ، أو الذى كان لطيفا يوما ما !

لقد مضى على هذه الخطابات سنون فغاب عن ذا كرتى محتوى الكثير منها  
ولكن أذكر من بينها مثل هذه النماذج .

« مسز س . . . تسمح بأن تفرد لك حجرة في بيتها بايجار كذا في الاسبوع ويمكنك  
أن تقابلها بين الساعة كذا والساعة كذا . . . »

جواب بلا سلام واحترام مكتوب في صيغه المضارع ، ارستقراطية تتكلم عن  
نفسها . ثم هذا الخطاب .

« عزيزي الفاضل . . . إننا نسكن في منطقة كذا ، وهذه المنطقة بلا شك أجل ضاحية في لندن ومنزلنا يتكون من كذا حجرة ، وله حديقة أمامية ، وأخرى خلفية واسعة ؛ واني « أي هي » أحب العمل في الحديقة ، كما انني كثيرا ما اشتغل بدهان سورها . . .

لى شقيقتان عمر الأولى عشرون والأخرى ثمانية عشرة ولنا غرام بالعزف على البيانو؛ ووالدتي سيدة طيبة القلب . . . وكان لنا عم يشغل مديرا في إحدى مقاطعات الهند وكان وكان . . . »

معرفة وصداقة وغرام ، عن طريق الدايلى تلغراف وأسرار عائلية يجب أن أعرفها قبل أن أتشرف بمعرفتهم .

• • •

أما اذا طرقت الأبواب بلا اعلان فلذلك قصة أخرى . قصة قد تنتهي بمأساة أو قد تنتهي بفكاهة طريفة .

نظام الغرف المستأجرة لا تختص به فئة دون فئة في لندن اللهم الا الطبقة الراقية . في كل منزل لا بد وان توجد حجرة زائدة عن حاجة أفراد العائلة ، هذه الحجرة لا تترك فارغة ، ولا تستعمل مخزنا للمتروكات ، ولكن تترك للضيوف ، للضيوف الذين يدفعون أجرا لضيافتهم ولو كانوا أقارب أو أصحابا . فالقراية أو الصحبة أمر لا يتعارض وطريقة الضيافة .

وهكذا تسير على باب الله ترقب نوافذ البيوت ترى ورقة الايجار المعروفة . وهذه الورقة قد يتجدد ما يكتب عليها ففي بعض الأحيان ترى «نوم وافطار» أو «حجرة نوم وجلس» أو «حجرة للايجار» أو «حجرة خلفية أو أمامية» وهكذا

• • •

تتخير أي منزل من هذه المنازل العديدة ، أي منزل ؛ لأنها كلها متشابهة في الوضع



والتنسيق الخارجى ولا تختلف الا فى النمرالموضوعة عليها !  
تطرق الباب أو تدق الجرس وتنتظر ، تسمع حركة فى الردهة ، ويطل عليك رأس  
طفلة . تنظر اليك برهة . كأنها تفحصك ، وقد لا تسألك .

- انتظر قليلا من فضلك

- امرنا لله « فى شرك »

تذهب الفتاة وتسمعها تنادى

- ماى . بالباب سيد « جنتلمان » يريد أن يراك . انه يسأل عن الحجرة « ولم  
تكن قد سألت شيئا - ولكنه أمر بديهي »

أثناء ذلك تقف فى الردهة الضيقة ، تفحص محتوياتها لتأخذ فكرة عن الدار وأهل

الدار .

ليس فى الردهة عادة الا المشجب ذو المرأة ، لوضع القبعات والمعاطف والمظلات .  
وهذه المخلفات كافية لأن تعرف شيئا عن احصاء سكان الدار .

قبعة سوداء مكورة « بولر » هذه بلا شك قبعة الأب ؛ قبعة رمادية عتيقة أو  
كاسكت ، قبعتان أو ثلاثة من قبعات السيدات لا تتصل فى « زيها » بهذا العصر .  
أو بعض قبعات الأطفال ، عليها علامات المدارس . فتعرف ان الخير باسط ذراعية  
فى الدار .

ثم تتحول الى المعاطف ، فاذا كان الجو صحوا ، وجدت الكثير منها فى الردهة ،  
حتى لا تكاد تجد مكانا لوضع معطفك ، واذا كان الجو صحوا وجدت هذه المعاطف  
فى حالة تجمد كالجلد يصعب عليك أن تنميها بعد أن تشبعت بمياه المطر .

وفى كل ردهة . تجد على الأقل مظلة أو اثنتين فى المعاش ولكنها تترك هناك ، تمر  
السنودون ان يحاول أحد التخلص منها .

وهنا تحضر السيدة . سيدة سمينة منفوشة الشعر تضع مريلة من مرايل المطبخ ؛

تهرول اليك تحاول الابتسام فتخرج من شفيتها ابتسامة باهتة لالون لها ؛ وهي تمشح  
يديها في مريلتها .

— آسفة جداً لتأخيري . اليوم هو الثلاثاء وهو يوم التنظيف الأسبوعي ؛ وفوق  
ذلك فاني أقلب شيئاً من البطاطس للغداء ، لأن ليلى (وتستنتج ان ليلى هذه ابنتها )  
قد ذهبت هذا الأسبوع الى عمتها ، وو . . . .

فتقطع عليها الاسترسال في القصة وتقول :

— آسف لازعاجك . هل يمكن ان أرى الحجره

— بكل تأكيد . هل تسمح بأن تتبعني إلى الطابق الأعلى !

وبينا أننا على درجات السلم ، تبتدى السيدة بقصة أخرى . قصة هذه الحجره ،  
والضيف الذي كان بها .

— هل تعرف .. ان هذه الحجره التي سترها الآن ؛ كان يسكنها شاب من  
أحسن الشبان . اسمه مسترس . . . . كان هذا الرجل حقيقة جنتلمانا . لقد عاش  
معنا عدة شهور ، وكان دائماً مغتبطاً بوجوده بيننا . كان يحبنا جداً ، وكان يقدم لابنتي  
ليلى هدايا كثيرة . . .

وهنا تقف أمام الحجره . وقبل أن تدخل . تبدأ بقصة الحجره

— بالطبع ليست الحجره في حالتها العادية ، لا تزال في اضطرابها منذ أن  
تركها مسترس . . . . أمس . ولكنني متأكد أنها تعجبك ؛ لأن كل من رآها  
أعجب بها . هي حقيقة حجرة صغيرة ؛ ولكنها مريحة وطاقه الهواء ، عدا ذلك  
فيها موقد للغاز ثم . . . .

تدخل الحجره وتلقى نظرة عامة عليها . هي ككل حجرة للايجار في لندن . هذا  
هو السرير في الركن ، ومقعد من الجلد بجانب ، الموقدة وبجانبيها صندوق الفحم  
وان لم يستعمل ، طاولة الغسيل بأريقتها وطبقها الصيني . وهذا رف الكتب . وامام

الموقدة قطعة صغيرة من الفرو أو السجاد .

وتلقى نظرة أخرى على جدران الحجرة . المرأة على الموقدة ، وعلى رفاها الرخامى  
تمثال قديم مغبر ، ثم كوبتان من كوبات الزهور بها بعض الزهور الاصطناعية أو  
القرنفل الناشف .

والصور التي ترين بها الجدران ، تكاد تتشابه في كل حجرة تدخلها . صور  
لا يرجع تاريخها إلى هذا القرن . تمثل بعض مناظر الصيد بنحوها وكلابها ، أو بعض  
مناظر للندن في القرن الثامن عشر .



وتظهر لك السيدة تلبس نظارة وتحمل  
صحيفة في يدها . . .

تسأل عن الايجار . فتبدأ السيدة بقصة ايجار  
هذه الحجرة . «في الحقيقة إننى كنت أوجر هذه  
الحجرة بكذا شلن في الأسبوع ؛ ولكن لأن  
مسترس .. قد سكن معنا مدة طويلة فأنى  
قد أكرمته بتخفيض خاص ، فاذا كنت  
تفكر في البقاء معنا طويلا فأنى بلا شك  
سأكرمك هذا الاكرام ..

«وفي الحقيقة ان هذه الحجرة ولو انها صغيرة  
الا أن كل من رآها يفضلها عن غيرها» وترجع  
السيدة الى قصة الحجرة ثانية .

...

وبيتا أنت في الردهة ، تجيب على سؤال  
السيدة بأنك سوف تعيد النظر على الغرفة غدأ  
وهكذا تذهب .

تسير في الشارع المجاور وتتخير أى منزل آخر وتطرقه يفتح الباب نصف فتحة .  
وتظهر لك سيدة في العقد الخامس ، تلبس نظارة ، وتحمل صحيفة في يدها ، كانت  
تقروها بلا شك عند ما طرقت الباب .

تنظر إليك السيدة من خلف نظارتها . وتدمن النظر في وجهك ، فتكتشف  
انك أجنبي .

— ماذا تريد

— هل يمكننى أن أرى الحجرة التي للايجار

— مع الأسف ، انها تأجرت هذا الصباح !

— أشكرك .

ولا تكاد تدير ظهرك . حتى يقفل الباب ببعض الشدة فتخرج وأنت تذكر ،  
ان زوج هذه السيدة لا بد وانه كان يعمل في الهند أو بورما أو الهند الغربية أو في  
مصر ! .. في المستعمرات أو في أشباه المستعمرات .

وقد تمر على هذه الدار بعد ذلك فتجد بطاقة الايجار في مكانها ..  
وهنا تعرف السر .

...

لا تغضب بل اطرق الباب الذي يليه .

— انتظر قليلا من فضلك .

تذهب الفتاة وتسمعها تنادى

— ماى . ان سيدا يريد أن يراك . انه يسأل عن الحجرة ...

ثم تبدأ أنت من جديد بدراسة الردهة وعد ما فيها من معاطف وقبعات ومظلات ..

## عناق لندن

انك لا تخطيء في تمييزهم .  
ولا تخططهم بأولئك الذين يسرون اثنين اثنين أو جماعات جماعات في هايد بارك  
مساء يوم السبت والأحد ، وأنت لا تخططهم بأولئك الذين يتناولون العشاء في أحد  
مطاعم «الكورنر هاوس» بعد قضاء الليل في السينما .  
انهم لا يكثرن الضحك ، انهم لا يتظاهرون بما لا يملكون وانهم لا يترددون  
على الأماكن التي ينفق فيها المال بلا حساب

...

على سور التيمز الصخرى .  
وفي مشارب الشاي المتوسطة .  
وفي دور السينما الرخيصة .  
وعلى أبواب دور التمثيل ينتظرون دورهم في الدخول .  
وعلى درجات منازلهم .  
هنالك ترى هؤلاء الذين يمدون لحياة الأسرة ، الذين يبنون بيتهم في الخيال ،  
هؤلاء الذين تتجاذبهم العاطفة والعقل ، هؤلاء هم نواة الاسرة الانجليزية في دور التكوين .

...

هؤلاء الذين يسرون في طريق الحب ، أو الذين عبث بقلوبهم الحب على درجات

أشبه بدرجات الحمى ، بعضها ينفع في علاجه الاسبرين أو الحمية ، وبعضها تعجز يد الطبيب عن تبريد حرارتها ولا تبقى إلا يد القدر تحطم هذه القلوب أو ترعاها وتحفظها .

على أبواب دور التمثيل كثيراً ما تجد هؤلاء العشاق ، يقفون الساعة تلو الساعة في صف طويل وتحت المطر ، ينتظرون ولا يتململون . لا يحاول الفتى أن ينتحل لفتاته الأعدار لعجزه عن دفع ثمن تذكرة غير هذه التي تستلزم الوقوف ، ولا تحاول الفتاة احراج رفيقها ، راضية بحفظها ، فخورة بخطيبتها ، تفكر في الغد ولا تتألم لليوم .

وما أحلامها وما أمانيتها ؟ وما هي آماله ؟ هي جنيتها قليلة يجمعها شلنا شلنا كل أسبوع ، وتجمعها هي بدورها مما تدخره من أجرها الأسبوعي ؟ هي تعمل وهو يعمل ، يريدان أن يسيرا في سلم الحياة درجة درجة ، يسيران من الشباب إلى الشيخوخة ، ومن الفقر إلى الغنى ، ومن حياة الوحدة إلى حياة الأسرة .

هذه الجنيتات القليلة التي تضرب إذا قضيا يوماً أو بعض يوم في أحد المصايف ، هذه الجنيتات هي ثروتهما المنظورة ، هي التي سيبنى بها عشهما الصغير . . .

...

في مشارب الشاي تجد هؤلاء الرفيقيين يجلسان جنباً إلى جنب ويتناولان الغداء سوياً أو الشاي بعد أن يرجعا من حيث يعملان .

قدح من الشاي لكل منهما ، قطعة من الزبد ، بيضة مسلوقة ، وشيء من الساندوتش والكيك ؛ هذا منتهى ما يبذرانه في طعامهما . وقد يخرجان فيدفع كل منهما ثمن ما طلبه ، وليس في ذلك غضاضة ، ولن ترى الفتاة تنقاد إلى تلك الغريزة النسوية ، غريزة التفاخر والتباهي بما ينفق في سبيلها ، أنها لا تعتبر ذلك خسة من رفيقها بل هو مظهر لنظرة الأشياء .

...

وعلى درجات منزل الفتاة تجذب هذين العاشقين ، وفي ركن الشارع المظلم تمر بهما واقفين لا يتكلمان ، أيديهما معقودة ، ووجوههما قد غلا فيها الدم ؛ غرام في الدور الأخير !

يتبادلان النظرات بلذة وهدهوء ، وقد تعلو وجه الفتى ابتسامة طفيفة لا تكاد تلمحها في الظلام، ابتسامة لها معناها عند الفتاة .

ولو أنهما لا يتكلمان ، إلا أنك تفهم معنى الكلمات المحبوسة في أفواههما ، أنك تفهم معنى نظرتها له ومعنى ابتسامته لها ؛ نظرة ملؤها التشجيع ، نظرة تملأه حياة ونشاط؛ وابتسامة ملؤها الثقة والشعور بالذات ، هكذا يعيشان في حياة من الخيال ، يعيشان على النظرات والابتسامات؛ يقودهما الحب الى سعادة موهومة أو سعادة حقة . ومن حين الى حين يتناول الفتى العشاء أو الشاي عند خطيبته ، يتناوله بينهم كأنه أحدهم ، ومائدة الشاي كما هي ليس بها من جديد ؛ لا تحاول الفتاة أن تظهر بأكثر من حقيقتها .

هكذا يبدأ الحياة ، ويواجهان صعابها ويجالدران مشاقها من البداية ، ولم يرتبطا بعد برابطة الزواج .

لا يبدأ حياتهما بالكذب والنفاق ، ولا بالتبذير ، فان كان الحب قد أصم آذانهما أو عقد لسانهما فانه حب قد هدبه التفكير ، هدبته المعرفة ؛ حب لا يجر الى تعس وان كان لا يجر الى السعادة الذهبية التي يتصورها كل شاب وكل فتاة . !

\*\*\*

وقد تمر بعد سنين في حدائق الريجنت ، فتجد هذين العاشقين جنباً الى جنب ، يتحدثان همساً ، ولعلهما يذكران عهداً لهما لم يذبل بعد ، يتحدثان همساً ، لكيلا يقلقا هجعة ضيفهما الصغير وهو نائم في عربته . . .

## نمرة المطبوعة

لقد جاءت الحرب وبدلت من وجوه الناس في لندن ، وغيرت من ملاحظهم ومن أذواقهم .

وأوضح مظاهر هذا التغيير أن الشبان قد اختفت وجوههم من المدينة ، واحتل مكانهم العجائز والفتيات . وسادت روح جديدة لا تعرف إلا في أيام المحن والشدائد . وفيما قبل أيام الحرب لم تكن تعرف ما يفاجئك به صديقك من أخبار أو ملاحظات ، أما الآن فليست هنالك الا فكرة واحدة تتردد في عقل كل من تصادفه . هي الحرب ولقد طبعت هذه الفكرة على الوجوه ملامح ثابتة معينة ، وطبعت على الجباه تجاعيد لم تكن معروفة من قبل .

لقد غطت الشؤون العامة على الشؤون الخاصة ، فلم تعد شؤوننا الفردية تثير عنايتنا أو اهتمامنا كما كانت من قبل . فتدربنا على أن تنغاضى عن التفكير في الأمور التافهة في الحياة .

...

فاذا لاحظت جماعة من الناس يتحدثون ، وراقبت ملاحظهم وانحناء ظهورهم عرفت أنهم لا يقطعون الزمن بالحديث عن شؤونهم الخاصة ، بل يبحثون موضوعا واحدا يشترك في الاهتمام به كل فرد منهم - عرفت أنهم يتحدثون عن الحرب . ولو شاهدت سربا من السيدات حول مائدة الشاي ، لا كتشفت أنهن لا يتساررن



الى بعضهم ولا يتحدثن عن الأزياء الحديثة ؛ ولكن عن أصدقائهن الذين قد أجابوا نداء الحرب ؛ وعن زوجات هؤلاء وعن أطفالهم الذين خلفوهم في الوطن .  
لقد ندرت ابتسامة المرأة ، ولكنها صارت أكثر حنانا من ذي قبل ، فكانها وهي تبسم ترى في خلال دخان القنابل وجوها عزيزة عليها .  
ولم تعد جريمة أن ترى سيدة تبكي وتتحب ، إذ أنه خير لها أن تبكي ، وأن يبكي كل من له قلب يعي ويعطف .

وانك تشاهد مسحة الحرب قد اصطبغت بها وجوه الجماعات وهم يتناولون الطعام أو يشاهدون التمثيل . ولقد كانت الفكرة السائدة في مجالي اللهو هذه أن تهيب فرصة مرحة لهؤلاء الجنود قبل أن يرموا بأنفسهم في نار الموقعة ، أو لهؤلاء الذين رجعوا الى لندن في اجازة قصيرة ؛ فينسون أيام الشتاء القارة التي قضوها في خنادق الفلاندرز .

...

ان أولئك الذين قد أصابوا ثروة عريضة من الحرب ، يصرفون الذهب كأنهم الأمراء . انهم يأكلون ويشربون ، ولكنهم لا يعرفون طعم السعادة ، ومظهرهم لا يخطيء فيه أحد ، ولا يغشّون أحدا حتى أنفسهم بمظهرهم هذا .

ان هذا الذهب الذي يهدرونه قد غمس في الدماء فهو لا يرن كالللال الحلال ، ولم يرن هذا الذهب يوماً ما ، حتى ولا في عهود القرصنة . ولقد تشاهد خادم المقهى أو المعلم وهو ينظر باهتا الى « البقشيش » الكبير الذي تركه أحد هؤلاء الأغنياء له على المائدة ؛ ولكنه سرعان ما يشعر بمصدر هذا المال - سرعان ما يتذكر الحرب . وخدم هذه المقاهي والمطاعم ، لا سيما القدماء منهم جمعيتهم دائما ملأى بالأخبار ، وعيونهم لا تخطيء في تمييز زبائنهم . ووجوه هؤلاء الخدم قد تغيرت ، فهم اليوم

أولئك العجائز الذين قد لفظتهم طاحونة الحرب ولم يعودوا يصلحون لحمل البندقية .

...

وانك لتشاهد الشاب الذي قدم من أمريكا الجنوبية الشاب الأرجنتيني وهو ينتقل من مكان الى مكان في لندن ، وقد جعل همه أن يأخذ بأكبر نصيب من المتعة في هذه العاصمة الحزينة .

تراه في ملابسه المتأقمة، وفي زيه الحديث ، وفي بذلته الضيقة ، وفي حذائه اللامع تراه يهبط المراقص ويتحين الفرص المرحية ؛ ولكنه كالفراش بألوانه الزاهية البديعة



حماية لندن من الغارات الجوية في أيام الحرب

يرفرف في جو قاتم . يحبب حجب المطعم أو الفندق ، تحية ليست فيها حرارة ولا  
طعم ، كأنه يرى أنه خير لهذا الارجتيني أن يرجع الى بونس ايرس المرححة التي لم  
تصلها بعد أصوات المدافع .

...

لقد أخذت الفتيات مكان الرجال في كثير من مرافق الحياة ؛ وصار صوت المرأة  
الراقي الرفيع يقرع آذاننا في كل مكان ، ويجلب هدوءاً وراحة في قلوبنا المضطربة .  
جيمس ملن

## الصباح في لندن

الساعة الثامنة ساعة مبكرة في لندن .

والساعة السابعة ساعة مبكرة جداً في لندن ، حتى أنك لا تكاد ترى ما يدل على الحياة في هذه المدينة ذات الملايين السبعة .

وقليل من رأى لندن بعد منتصف الليل ، وأندر من ذلك من رأى لندن في الصباح الباكر . فالإنجليز لا يخرج من بيته الا ليذهب الى عمله وقد تناول طعام افطاره . ومن النادر أن تجد أحداً من أهل لندن يتناول طعام الافطار في مطعم ، وأين هذه المطاعم التي تفتح أبوابها للجائعين في الصباح ، ولو للراغبين في احتساء فنجان من الشاي ؟

وهكذا ينتظر هذا الغريب الجائع الى الساعة التاسعة ، حتى تفتح المطاعم ومشارب الشاي أبوابها . وكنت يوماً ذلك الغريب الجائع في لندن ، فقد جئتها زائراً . وصل بنا القطار في الساعة السادسة أو نحو ذلك ، الى محطة فكتوريا العظيمة ، فكان الصدى يدوى في أركانها الفارغة . لم تمض دقائق عدة حتى تفرق الجمع القليل الذي حمله القطار وصارت فارغة كما كانت .

حاولت أن أشجع نفسى على السير الى خارج الدار لكي أرى لندن في الصباح ، ولكن بكورة الوقت وبرودته وانعدام الحركة كل ذلك لم يكن فيه ما يدفع الى التجوال

في شوارع لندن المقفرة ، التي بدت أبنيتها السوداء الصخرية أكثر اغبراراً وأشد قسوة في وحدة الصباح .

وفي حجرة الانتظار الواسعة الرحبة ذات الجدران الحجرية والسقف المرتفع والمقاعد الخشبية العارية التي ليست أقل صلابة من الحجر ؛ لم أجد بدأً من الجلوس ومن التمدد عليها إلى أن بدأت لندن تفتح عينيها .



أفواج الخارجين من المحطات في الصباح

وإذا دارت الساعة الثامنة ، تنشط الحركة في محطات لندن العظيمة ، ويدوى فيها الصغير ، وتخفق بالحياة والحركة ، وتمتليء بالآلاف التي سرعان ما تتفرق في دقائق . ثم تمتليء المحطة من جديد .

يخرجون كجيش منظم من أبواب المحطة ، جيش من الشبان ومن الرجال ومن الفتيات العاملات ، يحمل كل منهم حقيبته ومظلته السوداء التي لا جمال فيها ، ويضع صحيفة الصباح في جيب معطفه .

...

والوجوه التي تشاهدها في شوارع لندن في هذه الساعة المبكرة ، وجوه أصحابها يتقابلون كل يوم في هذه الشوارع المقفرة . يسرون يحيي بعضهم بعضاً ، وقليل منهم من يسير سهلاً ينظر الى النوافذ أو يقرأ أسماء الشوارع أو اعلانات الجدران ، لأن هذا القليل ليس من رجال الصباح في لندن ، لأنه ينتظر شيئاً ما ، مطعم ، مصفاً أو موعد قطار .

...

عربات الخيل تجرد طريقها سهلاً في هذه الساعة المبكرة ، عربات اللبن البيضاء الجميلة ، عربات البيرة ذات البغال الضخمة والبراميل المتعددة ، ثم عربات الفحم السوداء وقد امتلأت بأكياس الفحم المقلدة ، تراها تنحدر في الطرقات الخلفية ، وترى الفحام وصبيه - وهما من الشخصيات البارزة في لندن - يعملان بسرعة البرق في نقل هذه الأكياس من العربة الى مخازن الفحم في كل بيت .

وترى عمال النظافة العامة ، يعدون لندن لأهل لندن . وترى منطقي المدخن بعددهم القليلة يهرولون الى حيث يسرون . ثم ترى الشرطي واقفاً في ركن الشارع ، أو



يتحدث إلى زميله ويتبعان كل سائر  
بنظرة خرساء .

•••

وأنت في البيت ترقب الصباح  
في لندن .  
وهناك نظام ثابت لا يخطيء ،

ولا يختلف من يوم ليوم ، نظام البيت الانجليزي في الصباح . بائع اللبن ، موزع  
الصحف ، موزع البريد .

إذا سرت في هذه الساعة المبكرة في احدى احياء المساكن تجد على درج كل  
باب بلا استثناء زجاجة أو زجاجتين من زجاجات اللبن .

وتحت أسفل الباب ، تجد صحيفة الصباح . ومهما استيقظت مبكراً ، فانك تجد  
هذه الصحيفة في مكانها ولا تعرف متى يلقبها موزعها السحري . فأنا لم أره يوماً خلال  
هذه السنين التي قضيتها في لندن ، ولم أر زميله صاحب الزجاجات البيضاء التي كأنها  
تبتت كل صباح في أركان أبواب المنازل .

وفي الساعة التاسعة . تسمع النقرات المتتالية السريعة ، تتبعها صلصلة ضعيفة !  
هذه النقرات لا يخطيء في معرفة صاحبها الطفل الانجليزي ؛ ولا يخطيء من يضبط  
عليها ساعته . هذا موزع البريد الذي يدور دورته الصباحية ، وينثر حملة في  
فتحات الأبواب .

ثم تسمع هذه النقرات السريعة المتتالية بانتظام الى أن تتلاشى ، وقد ابتعد صاحبها  
فعلی كل درج لا بد وأن يقف هذا الموزع ، لأن في كل دار من ينتظر خطاباً من قريب  
أو بعيد ، من زوج في الهند ، أو حبيب في استراليا ؛ أو أخ على مياه الاطلنطيق .

ويحين وقت الافطار فتنزل الى حجرة المائدة ، لتجد طعام الافطار بألوانه وأنواعه  
 التي تناولتها بالأمس ، وفي السنة الماضية .  
 ابريق الشاي مستور بغطاء كثيف .  
 مربى قشر البرتقال .  
 جانب من مسحوق القرطم المطهى « بوردج » .  
 بيضة واحدة على قطعة من الخبز .

...

ثم تبدأ بتقليب صحيفة الصباح ، التي اعتدت قراءتها ، وتبحث عن تنبآت الجو ،  
 لأنك في لندن لا تعرف ما سوف يأتي به اليوم ، من مطر ، أو ضباب ، أو ريح . .  
 وقد تخرج وقد انتصفت الساعة العاشرة ، فتجد لندن غير لندن ، وتجد الوجوه  
 التي كانت تحتلها منذ ساعتين قد اختفت . . .



عربة اللبن في دورتها كل صباح



## مقاهى لندن المنقرضة

لعل الشرقى الذى يهبط لندن اليوم ولا يجد فيها مقهى يستريح فيه ، أو يرقب منه السائرين كما يرى فى باريس أو رومة أو بركسل ليظن أن حمى المقاهى لم تصل انجلترا بعد .

ولكن الحقيقة أن المقاهى كانت شائعة فى لندن شيوعا كبيرا الى ما قبل القرن الماضى ، واخذت تتطور على ممر الزمن حتى استحالت الى اندية وحانات ومطاعم ومشارب للشاى .

هذه الاندية الكثيرة التى نراها فى كثير من أركان بيكادلى ، قد اخذت مكان المقاهى التى كانت تؤمها جميع الطبقات فى القرن الثامن عشر ، وقد كان لكل جماعة من أهل لندن مقهى خاص يجتمعون فيه ، ويقامرون فيه بزهر النرد الى الهزيع الأخير من الليل .

وكانت هذه المقاهى تفتح أبوابها لجميع الطبقات بلا استثناء ، فكنت ترى فيها الشريف الارستقراطى والغنى الريفى وبجانبه اللص أو قاطع الطريق . لهذا كانت مقاهى الوست اند هذه مسرحا للفوضى والاضطراب ، بسبب النزاع الذى كثيرا ما ينشأ حول حلقات القمار ، والذى كثيرا ما ينتهى باستعمال السيوف ، ثم حراب رجال الحفظ .

وقبل ١٧١٥ كان عدد المقاهى فى لندن يربو على ألفين ، يتردد عليها أهل كل طبقة ، وكل حرفه ، وكل حزب . فكنت ترى رجال القضاء والمحاماة يتدارسون القانون أو الأدب فى تلك المقاهى التى توجد تجاه «التمبل» . بينما ترى رجال البلاط يتخطرون فى ملابسهم الزاهية الفضفاضة ، والتجار يبحثون شؤون الاسواق ورجال الدين يدرسون المذاهب والاديان والمشاكل الفلسفية

وفى جميع هذه المقاهى - الا القليل الارستقراطى منها - كان التدخين مباحا . وكان على كل داخل أن يدفع بنسا واحدا ، ثم بنسين لما يطلبه من طعام أو شاي أو قهوة ، ويدخل فى هذا قراءة الصحف .

وكان شارع سانت جيمس غاصا بهذه المقاهى ، التى كان يتردد عليها كثير من كتاب ذلك العصر ، امثال استيل وأديسون وسويفت ، وقد دون هذا الأخير بعض رسائله فى كتابه المشهور « يومياتى الى استلا » فى احدى مقاهى هذا الشارع . والى أوائل القرن الماضى كانت مقاهى شارع سانت جيمس تغص بالضباط بملابسهم العسكرية الملونة ؛ حين كانت الدرجات العسكرية تشرى وتباع ، وكان السلك العسكرى يفتح ذراعيه لاوئك الشبان الذى لا مهنة لهم ولا عمل

وأخذت هذه المقاهى فى التطور ، والتحول الى أندية خاصة بطبقات معينة . ففي ١٧٦٤ مثلا تحول مقهى تومز الى ناد باشتراك سنوى قدره جنيه ، وكان أعضاؤه نحو سبعمئة من الاشراف أو الأعيان والشعراء .

وحذا هذا الحدو كل مقهى يجد عددا من رواده يمكنهم أن يتضاموا سويا ليقفلوا بابه فى وجه الجمهور

...

واليوم اذا سرت فى شارع سانت جيمس وغيره من شوارع الوست اند لاتجد أثرا لهذه المقاهى ؛ بل لاتجد من أصحاب المطاعم ومشارب الشاي أو الخمر من

بجراً أن يضع مقعداً في خارج مشربه أو على رصيف الشارع ؛  
والاجنبى فى لندن لا يكتشف الا بعد حين ، تلك الاندية الليلية التى تراها منعزلة  
فى طرقات بيكادلى الخلفية بانوارها الضئيلة التى لاتنبئ عماء ورائها : والتى لا يسمح  
بالتردد عليها الا من كان معروفاً بين روادها  
فلندن التى قد حافظت على حياتها الاجتماعية فى كثير من الوجوه ، لم تلازم  
هذا الجمود وهذه المحافظة فى تاريخ مقاهيها ، التى لو بقيت الى الآن ، لكانت  
لندن اليوم غير مانعرفها .



## مجانس بيطارلى

قال صديقى

من ذا الذى زار لندن ولم يزر الريجننت بالاس .  
وصديقى هذا ، يدعوته الرفاق فى لندن بعمدة الريجننت بالاس . و الريجننت بالاس ،  
مقهى أقرب شها بجروبي وأضرابه .

نعم . من ذا الذى يرحل الى لندن ، ولا يحن الى حياة المقاهى ، الحياة التى لا ضابط  
لها ولا منظم ، الحياة التى لا تقاس بالدقائق والساعات بل بالأيام وأنصاف الأيام ؟  
وحياة المقاهى غير معروفة فى لندن ، وغير معروفة فى إنجلترا ؛ فالغريب فى لندن  
يخير بين الجلوس فى بيته ، أو السير على الاقدام الى مالا نهاية .

فالمصرى الذى ألف الجلوس على أطورة الشارع الساعة تلو الساعة ، والذي تعود ألا  
يستقر فى بيته ، هذا المصرى عزيز عليه أن تربطه فى حجرته ، هذا المصرى يفتش فى  
لندن الى أن يكتشف هذا المدعو الريجننت بالاس . . .

أعرف من المصريين من يجلس فى هذا المقهى الى الظهر ويخرج للغداء أو يتناول شيئاً  
من الساندوتش ، ثم يجلس الى العصر ، ثم الى المساء ثم الى بعد منتصف الليل . . .  
هذا المصرى قد يعود إلى مصر ، ويقول انه زار لندن وانه عاش فى لندن ، وهو  
لا يعرف الا الطريق الذى يوصله الى هذا المقهى وأمثاله .

...

وليس صديقى هذا العمدة الوحيد للريجت بالاس . بل هنالك من يشاركه في  
الرأسية بين المصريين وغير المصريين . وأعنى بغير المصريين الأجانب ، من الهنود  
وغير الهنود .

فالإنجليزى لا يعيش هذه الحياة ولا يرغب فيها ، وحياة المقاهى غير معروفة في  
لندن لأنها حياة لا تتناسب مع نزعة هذا الشعب ، حياة خمول وجمود ، حياة كلام  
وجدال لا حياة عمل ، حياة لا تعلم الإنسان معنى الزمن ولا قيمة الوقت .

•••

إذا ما تركت القاعة الأولى ووقفت على باب اليهودي الأعمدة والسقف المرمى ؛  
فإنك تطل على فوضى بكل ألوانها وصفاتها . فوضى تحترق العين ، والأذن ، والأنف .  
دخان التبغ قد انعقد في الجو ، فجعل ضوء المصاييح والثريات خافتا ضئيلا ، فلا  
تكاد تميز ما هنالك إلا بعد حين ، أصوات بكل لغة ، وضجيج يصدر من كل ركن  
ومن كل طاولة ، والموسيقى تزيد هذا الضجيج حدة ، وقد تلاشت نغماتها في هذا  
الدخان المنعقد .

ثم وجوه على كل لون . ووجوه لا تراها إلا في هذه الأركان الخفية من بيكادلى ،  
ووجوه اليهوديات لمن الغلبة بين الجنس اللطيف في هذا المكان ، تلك الوجوه التي  
تعرفها بالأنوف الطويلة المقوسة ، وبالأجسام الضخمة الشرقية ، وباللباس الممطاة ذات  
الألوان العديدة .

وهؤلاء الفتيات من رواد ريجت بالاس يحضرن فيه بانتظام اثنتين اثنتين . ويعرفهن  
الخادومات ، فلا يسرعن اليهن إذا ما قدمن ، بل يتركن ذلك للظروف !

ورواد الريجت بالاس من المصريين وغير المصريين يعرفن هؤلاء ، ولهم كما لهن  
عيون صائبة في معرفة الوجوه الغريبة من الزائرين والزائرات .

ولكل من هؤلاء الرواد ركن خاص يهرع اليه اذا قدم، ولا يطمئن به المكان إلا اذا جلس فيه .

والاجانب في كل مكان ، هم الذين يتطفون في مظاهرهم العامة ، وفي حياتهم الاجتماعية . فالاجنبي هو الذي تراه يحكم لبس سترته احكاما يخرج مظهره عن المظهر العادى ، وهو الذي يحاول أن يلبس الغريب من الازياء ومن الالوان ، لكي يستلفت النظر ، وهو الذي تراه يدخن بطريقة شاذة ، وهو الذي تراه يجلس متمددا في مقعده تمدا ، واذا ضحك استلفت الانظار بضحكته ، واذا تكلم أشار بيديه ورجليه ، ورفع صوته كأنه يخطب .

وفي غير هذا المكان ، لا يجد الأجانب هذه الفوضى ، ولا يقدرّون على الظهور بهذا المظهر في الحياة الانجليزية العادية . فهم لذلك يهرعون الى مثل الريجنت بالاس لكي يفرجوا عن نفوسهم المكبوتة وصدورهم المحبوسة .

...

هذه العيون الزائغة التي لا تستقر هنيئة على وجوه الجالسين ، والتي تنظر باستعطف حيناً ، وحيناً بقحة الى وجوه الجالسات ؛ هذه العيون لا تدل الا على فراغ هائل في قلوب أصحابها .

وهذه الابتسامات التي يخافت بها جارى الذي يلمع في أصبعه خاتم الزواج ، والتي تصارع بها صراحة تلك الفتاة التي خبرت معنى هذه الابتسامات ومداها . هذه الابتسامات لا تدل الا على فراغ هائل في قلوب أصحابها وهذا الفرنسي بلهجته الانجليزية ذات الصبغة الباريسية ، قد ترك باريس ليجت عن باريس في لندن ، لقد ترك الدوم وروتند ومنبرناس ، ليجلس في الريجنت بالاس ويكادلى .

وهذا اليهودى الألماني بأسلوبه الانجليزي المفخم ، يجاهد اللغة جهاداً ، تحييه

الفتاة الانجليزية اليهودية التي لا يعرفها ، وتشجعه على الجلوس بجانبها وعلى الكلام وعلى غير الكلام .

...

ثم انظر لهذا الفوج من الفتيات الشقراوات ، اللاتي قد كثر وفودهن على لندن ، على بيكادلى ، فى هذه السنين الأخيرة .

هؤلاء قد وفدن الى لندن من البلاد الشمالية ، من السويد ومن النرويج ومن فنلندا . وفدن الى لندن للدراسة الاجتماعية ، ولدراسة اللغة ، وهامن لا يجدن مجالس أرحب لهذه الدراسة من مجالس بيكادلى .

وما أسرع أن اتصلت بهن وفود الجنوب ، وفود الشرق الناهض ، وتوثقت بينهم الصعبة والمعرفة !

...

ثم هذا شاب هندى بجسمه الطويل الأعجف وبشعره الأسود الفاحم المتجمع ، يدخن سيجارته بطريقة اصطناعية ، وينفخ دخانها بارسقراطية كاذبة . لم يرض أن يجلس هو وزملاؤه الا فى الطريق ، لكى يرى كل من تدخل وكل من تخرج ، لقد ملأوا المكان برطانتهم التي لا موسيقى فيها ، وتلفظوا الانجليزية بطريقة مقلوبة عجيبة ، حتى ان المحدث لا أظنه يفهم نفسه .

...

ولماذا هذا البك الذى أظنه مصريا ، يتصانى بشعره الذى وخطه البياض ؟ لماذا يجلس الساعة تلو الساعة فى مثل هذا المكان ، وقد حارت الكلمات فى حلقه فلا تخرج الا مبتورة مضطربة ؟ ولكن عينه تفضحه ، ولكن حركات وجهه تفضحه ، ولكن اضطرابه يفضحه .

لقد تنازل عن وقاره ، وسلم بذلك لرفيقه الشاب ، الذى لا يرى ضيراً أن يكون مستهترا .

لقد تنظر الى مثل هذا الرجل في كبوته ، فتضحك وتبتسم ، وقد تهزأ به .  
ولكنني أحزن ، أحزن للرجولة التي لم تصقلها الحياة ، أحزن للرجل الذي لم تعلمه  
تجاربه ، أحزن للرجل الذي يطل من علياء أربعينه أو خمسينه ، لكي يلعب في الوحل  
مع الصغار .

هكذا يرجع هذا البك الى مصر ، فيتحدث عن لندن . ويتحدث عن باريس ،  
ويتحدث عن برلين؛ وهو لا يعرف الا بيكادلي، وهو لا يعرف الا سان ميشل ومونتارتر  
ومبرناس ، وهو لا يعرف الا بوتسدامر بلاتس وكور فرستندام .  
هذا هو البك . .

أو الباشا الذي يذهب للاستشفاء . . .



## مدرسة الدراسات الشرقية

لست أعرف السر في اختيار هذا المكان لمعهد الدراسات الشرقية في لندن . في مورجيت ، في قلب حي الستى ، حي البنوك .  
ما أبعد الفرق بين الروح التي تسود هذا البناء ، والأبنية التي تحيط به من اليمين واليسار ! شركات البترول ، شركات التأمين ، والبنوك والمصارف !  
الشرق مهد الفلسفة والأديان . ما أبعد المعهد الذى ينشأ للدراسات الخاصة به ، الدراسات الروحية ، من هذه الأبنية التي أنشئت لأجل المادة ، ولتقديس المادة ، والتي لا يعرف من يعيش وراء جدرانها سحر الشرق وروحيته ، بل انهم لا يذكرون عنه إلا أنه سوق جديدة للمواد الخام جديدة بالاستغلال ؟ والشرق لا يريد الا أن يكون شرقا ، يقدم المادة رخيصة بخسة لمن يطلبها من أبناء الغرب ، ولكنه يضمن ويعتز بما هو أثمن من هذا جميعه . يعتر بأنه مهد الديانات مهد الفلسفة مهد الدراسات الروحية .

لهذا كان معهد الدراسات الشرقية في لندن يتما وحيدا بين شركات الستى وبنوكها وما أحراه أن يكون في رتشموند الهادئة الصامتة ؛ أو شلسي ، الحى اللاتيني في لندن !

...

ولمعهد الدراسات الشرقية في نفسى ذكرى قوية ، بل ذكريات . فمئذ الدقائق

الأولى التي قضيتها فيه ، بذرت الحبات الباكرة لهذنه الذكريات التي تأصلت في  
نفسى .

ومنذ الدرس الأول الذى تلقيته فى احدى حجرات الطابق الثالث أو الرابع فى  
هذا البناء ، حيث القسم العربى ، بذرت كذلك الحبات الباكرة لفسائل أخرى  
نبتت زهوراً شرقية ! سرعان ما ينعت ، وسرعان ما ذوت ، ككل شىء فى الشرق .

• • •

يحييك الحاجب ذو الملابس الغامقة ويفتح لك الباب بل ويحنى رأسه - ولعل جو  
المعهد الشرقى التقليدى قد مزج بدمه هذا الاحترام - ومن ثم تسير كما سرت أنا إلى  
مكتب المعهد لتسأل وتستوضح .

عندما ذهبت لهذا المكتب لأول مرة أسأل وأستوضح ، لم أكتف ببيانات السيدة  
الموكل إليها هذا العمل ولم أرد إلا إلحاحا ، وكان بجانبى سيد فى عقده الخامس ،  
لم أر الا أن أشركه فى الاستيضاح والتفسير . ولم يخيب هذا السيد ظنى فيدخل  
بالحديث ككل انجليزى .

قال هذا السيد انه لا يعرف شيئا عن الأجور ، ذلك لأنه « عالم » وقال هذه الأخيرة  
بعربية مفخمة ، أقرب إلى لهجة العراقيين .

وكان هذا السيد حقا ، لا يعرف شيئا عن شؤون المال ولا عن مسائل الأقساط  
والأجور . كان هذا السيد المرحوم السير توماس أرنولد ، الذى كان أستاذا للغة  
العربية وتاريخ الاسلام فى جامعة لندن !

من الذى أتاحت له الفرصة ليعرف هذا الرجل العظيم ولا يحبه ، ولا يحفظ له كل  
ذكرى طيبة فى نفسه ؟ كان سير توماس أرنولد يعتز بالعربية كأنه أحد أبنائها ، كان  
محباً للشرق العربى كأنه مصرى أو سورى أو عراقى ، كان صادقا فى شعوره وكان  
صادقا فى أبحاثه ، نزيها لا يعرف الالتواء ولا الغرض .

بعد هذه المعرفة القصيرة بعام ، كنا في حفلة ساهرة في احدى فنادق لندن الفاخرة ولم يرد سير توماس ارنولد الا أن يعتز بأنه أستاذ اللغة العربية في المعهد ، « لغة الملائكة » وقد قالها بلهجة المفخمة الرائعة ، التي دوت في قاعة المحفل وقد أعقبتها عاصفة من التصفيق .

وكنا نحضر دروسه مرة في كل أسبوع ، في ذلك الطابق الثالث أو الرابع ؛ وكنا نفراً قليلاً ، نجلس حوله ، فيتحدث إلينا وتحدث اليه في هدوء وبساطة . وكان معي مصري آخر ، آنسة من طالبات التاريخ حينذاك ، وكان كلانا يحضر هذه الدروس بانتظام ، وكثيرا ما يقتصر الدرس على ثلاثتنا ، وكثيراً ما كان ذلك يحدو بأستاذنا الى أن يرجع بذكريته الى أيامه في القاهرة ، والى ذكريات الأزهر وحلقات الأزهر ، حين كان يرتاده في عهد مضى . . . .

...

وكثيراً ما كنت أقابل السير توماس ارنولد في أروقة المعهد ، وكان يقف ليحيني بهز يدي ، ويتحدث إلى عن مصر وعن الشرق ، وفي كل مرة من هذه كان يذكر لي شيئاً طريفاً عن الشرق ، شيئاً يستحسنه . كانت تعجبه حلقات الأزهر ، وكانت تعجبه طريقة الدراسة ، وكانت تعجبه الملابس الشرقية الفضفاضة ، وكان يقول لي انه يفضل أن يجلس القرفصاء عند القراءة ، وفي بيته في لندن كثيراً ما يجلس كذلك . هكذا كان يفكر السير توماس ارنولد ، الذي قدم ولم يقيم أحد بشيء ما في سبيل تقديره ؛ وقد دفن سير توماس ارنولد في مكان ما في لندن أو غير لندن ، ولا يكاد يعرف الذين يميرون بقبره شيئاً كثيراً ، واذا عرفوا فلا تستشير هذه المعرفة في نفوسهم ذكريات قوية ، كما تستثيرنا .

ما أحرى أن يكون قبر سير توماس ارنولد بيننا ، لانه قد عاش للعرب وللعربية ، « لغة الملائكة » كما كان يلوكها بلهجة المفخمة الداوية . .

وكنا نحضر تاريخ الاسلام على أستاذ آخر ، ولم يكن أستاذا حين ذاك . كان مستر جب شخصية محبوبة ، ولعلها اكتسبت كثيرا من شخصية ذلك الرجل الراحل . وكان ممثلا نشاطا وحركة وحيوية ، ومن كان يراه وهو يثب درجات سلم المعهد العديدة - ولا ينتظر المصعد - ما كان يظن أنه هو أستاذ اللغة العربية وتاريخ الاسلام وكنت أحضر وزميلتنا المصرية درسه مرة في كل أسبوع ، وكان تلاميذه نفرا غير قليل . وكان درسه لا يخلو من الفكاهة ، ولا يخلو من الملاحظة الطريفة ، وكانت أبحاثه كثيرا ماتتير المناقشة والجدل شأن كل بحث علمي ، فاذا انتهت الساعة ، كثيرا ما كنا نقف حلقات حوله في الردهة نستوضح وتتفاهم حتى نأتى على نهاية البحث .

وكنت في تلك الأيام شاعرا ، أو على الأصح شعورورا ، ككل شاب فائض العاطفة في أوائل عقده الثالث ، وكان الأستاذ جب يقرأ لي هذا الشعر ، وكان ذلك الشعر يعجبه أو لعله كان يقول انه يعجبه . لذلك كثيرا ما كنا نجلس في حجرته أو في قاعة المكتبة الرحبة ، نتباحث في الأدب العربي القديم والحديث . لذلك عرفته عن قرب ، فحملت له في نفسى شيئا كثيرا .

وبعد تلك الأيام بسنين ، وقد قفلت الى لندن زائرا ، لم أرد الا أن أستعيد ذكريات معهد الدراسات الشرقية ، فكنت أسير في الطريق الذي كنت أسير فيه مع ذلك الصديق القديم الذى جمعنا به ذلك المعهد ، وقد كنا في تلك الأيام تقطع ذلك الطريق مرتين كل أسبوع .

ومع أنى أمقت السير في طرقات السقي ، وبين البنوك والمصارف ، الا أن ذلك الطريق من محطة الترام الارضى الى المعهد قد قدسته ذكرى تلك الايام . فصرت

أقف حيث كنا نقف من قبل ، وصرت أطل على النوافذ التجارية التي كنا نطل  
عليها اذا ما سرنا سويا ، بل انى ذهبت الى المطعم الذى قد ارتدناه مرة فى تلك الايام  
وجلست فى الركن نفسه الذى جلسنا فيه . . .

...

ما أعجب الذكري فى النفس! الذكري التى تصبح أقوى أثرا من الحقيقة نفسها! لعل  
تلك الأيام كانت أشهى من اليوم ، أو لعل الماضى المندر أكثر عذوبة لأنه لن يرجع  
ولن يعود.

ولكن الحقيقة أن كل يوم يمر ، تقطع بعده مرحلة بعيدا عن الشباب ، فتصبح تلك  
الفتاة سيدة بل وعجوزا ، وذلك الفتى رجلا بل وشيخا هرما ، لاتفيض صدورهما عاطفة  
كما كانت تفيض من قبل ، ولم تعد تقودهما الأحلام الذهبية التى كانت تقودهما بالامس .  
والحياة ما هى الا تلك العاطفة ، وتلك الأحلام ..

## المكتبات القديمة

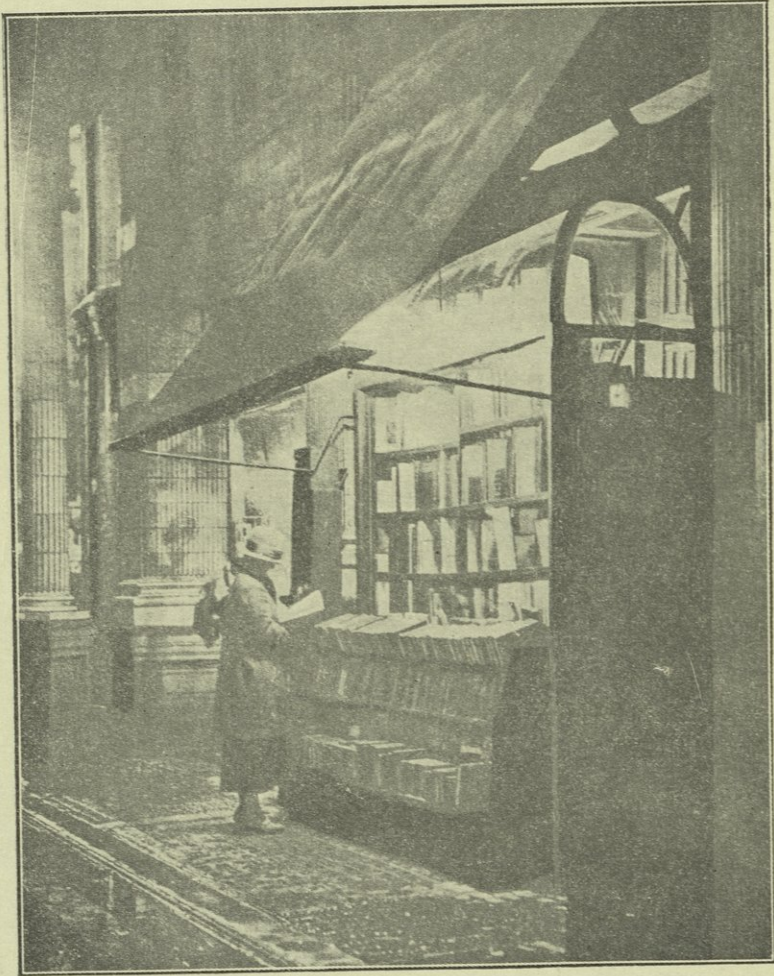
للمكتبة القديمة سحر خاص ، ولجمال الكتب القديمة جاذبية يعرفها من يعرف الطريق الى هذه المكتاب القديمة . هذه الجاذبية وذلك السحر تفتقده المكتاب المنسقة الزاهية بألوان الكتب الجديدة ، التي لاتحس نحوها بالحنين أو الاحترام الكافي . تشعر كأن هذه الكتب الجديدة غريبة في الحياة ، لم تعرف بعد لها أصدقاء ، ولم تعركها الأيام كما عركت تلك الكتب التي قد تغبرت وهي مركونة في رفوف هذه المكتاب القديمة .

وللكتب القديمة في لندن مكتبات عديدة . بعضها أعرق تاريخاً ، وأقدم عهداً وأزهى بنفسه من المكتبات الجديدة . في شارع اشيرنج كروس تجد هذه المكتبات متجاورة متلاصقة ، وفي فليت استريت تجد هذه المكتبات المتواضعة . ولهذه المكتبات القديمة ، أصدقاؤها وروادها ، ومن النادر أن تجد أصدقاء يزورون المكتبات الجديدة بانتظام كما تزار المكتبات القديمة .

وكثيرون من هؤلاء الرواد يترددون على هذه المكتاب دون أن يقصدوا كتاباً معيناً ، بل انهم يدورون عليها دورة من حين الى حين يقلبون كل كتاب عليهم يكتشفون ما يروق لهم من بينها ، ولهذا الاكتشاف الفجائي لذته ، فهم كمنقبى الآثار ، يبحثون ولا يعرفون عما يبحثون .

وبعض هؤلاء الرواد يبحثون عن الكتب المفقودة ، الكتب التي تقع عرضاً في

هذه المكتبات الأثرية والتي لا يعرف أصحابها قيمتها ، يبحثون بانتظام عن هذه الكنوز الخبيثة ، وقد يقطعون السنين وهم لا يكون ولا يملون البحث ، وهم يقتنون



أثناء المطر تجد السيدة فرصة لاستعراض مجموعات الكتب القديمة

عشرات من هذه الكتب الباهتة السقيمة ، يعللون أنفسهم بعشرات الآلاف من الجنيهات ثمناً لاحداها ، ولكن قد تمضى السنون ، ولا يتعدى الرجاء الأمل .

...

لبعض هذه المكتبات اختصاص لا تتعداه ، ولأصحاب هذه المكتبات معرفة وثيقة بما يجمعون في مكتباتهم ولا يدعون مجالاً لأولئك النقيبين عن الكنوز الجبئية ، وبعض أصحاب هذه المكاتب في اشيرنج كروس ، هم أنفسهم من هؤلاء النقيبين ، تجد الواحد من هؤلاء بنظارته المنحدرة على أنفه في ركن من أركان مكتبته بين طبقات الكتب وأكوامها ، يفحصها برفق وتؤدة ، ويقلب صحائفها ورقة ورقة ، كأنه يدرسها .

تدخل عليه ولا تكاد تراه وهو منهمك في بحثه وخصه ودراسته ، وهو لا يكاد يشعر بدخولك ، ولا يندفع لسؤالك عما تطلب وعما تبحث عنه . بل هو يعرف هذه الرغبة في نفوس زبائنه ، فهو لذلك يترك لهم المجال للفحص والاكتشاف ، وقد ينظر اليك اذا كنت غريباً تبدو عليك الحيرة ، ينظر اليك نظرة عميقة من فوق نظارته ، وقد يجيئك ويرجع الى خصه دون أن يرفع رأسه .

وهوله عين فاحصة في فهم ميول زائريه ورجباتهم ؛ فتراه في بعض الأحيان يسرع الى أحد هؤلاء ليدله على مجموعة وردت اليه حديثاً ، أو طبعة نادرة لكتاب معروف . وهو يعرف كذلك الزوار الذين يقضون في أركان مكتبته المظلمة الساعات المتوالية يقبلون صحائف الكتب القديمة ، ويخرجون ولا يسألون حتى عن أمانها . وبعض هؤلاء يترددون بانتظام في طلب كتاب واحد أو مجموعة خاصة ، كأنهم يدمنون التفكير في أمر اقتنائه .

والسيدات العجائز من زوار هذه المكتبات القديمة ، يترددن عليها بانتظام ، وهن غير مرغوب فيهن ؛ لانهن يبدين سكون هذه الأركان الهادئة بالاسئلة الكثيرة



والملاحظات التي لا تنتهي ، والتي لا طائل تحتها .  
يبدن اعجابهن علنا اذا اكتشفن شيئاً جديداً ، ولا يتورعن عن ابداء الامتعاض  
اذا اكتشفن سقماً أو نقصاً في كتاب يبحثن عنه

...



أمام المكتبات المتلاصقة المتجاورة ..

وفي اشيرنج كروس تعرض مجموعات الكتب القديمة أمام هذه المكتبات المتلاصقة  
المتجاورة ، حتى لا تكاد تعرف اين تبدأ الواحدة وتنتهي الاخرى ، فتنقل بين هذه  
المكاتب وأنت لا تشعر .

وفي نوافذ بعض هذه المكتبات تعرض في بعض الأحيان كتب أثرية نادرة ،  
ولإثارة دهشة السائرين الذين لا يعرفون عن عالم الكتب القديمة شيئاً ، يضعون عليها  
مئات الجنيهات ثمناً لها !

وفي مخازن بيع الأثاث القديم في لندن ، تجد جانباً من الكتب القديمة معروضة كذلك . ولكن هذه الكتب ليس لها الروعة وليس فيها السحر الذي لتلك التي تجدها في مكاتب اشيرنج كروس وفليت استريت ؛ تشعر بأن هذه الكتب جزء من الأثاث ، تشعر بأنها بائسة بين المقاعد المكسورة والقباطر المهشمة .

ولكن جل هذه الكتب ، من القصص والروايات التي لاشخصية لها ، لهذا لا ترى من المنقبين في هذه الكتب من رواد فليت استريت ، تجد أكثر هؤلاء المنقبين من الفتيات العاملات ، أو من الشبان العاطلين ، الذين يدفعون بنسات قليلة ثمناً لرواية ضخمة سقيمة الكتابة .

## أيام الثلج

في كل شتاء ، ينخفض الترمومتر في لندن دون الصفر ، حتى تتجمد المياه ويتساقط الثلج .

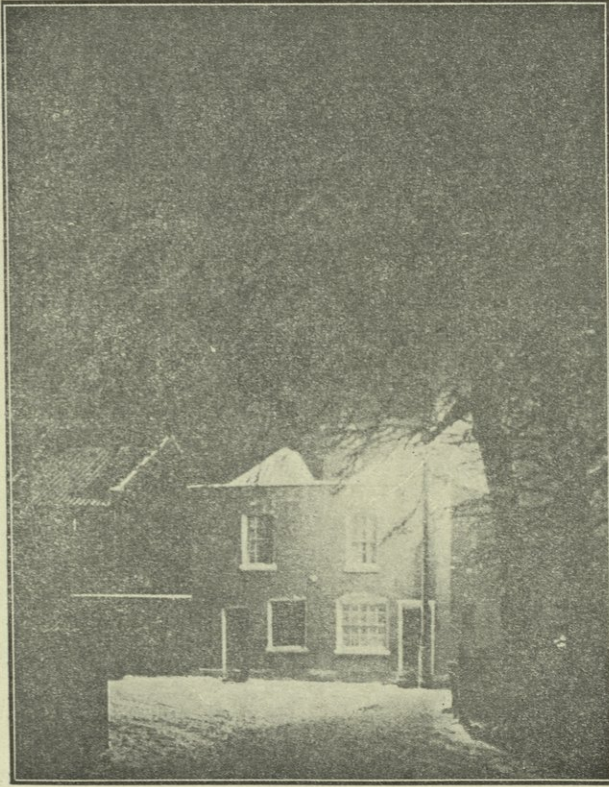
وفي كل مرة من هذه ، تسمع أهل لندن يقررون بأن أيام الشتاء هذه أشد ما عرفت لندن ، وتقرأ في الصحف أن لندن لم تعرف هذا البرد منذ سنين ، وان كان الشتاء الذي قد سبق ، حدث فيه ما حدث في هذا الشتاء !

وأيام الثلج محبوبة في لندن ، فهي لذلك عزيزة نادرة ، حتى انها لتمر دون أن يشعر بها جميع أهل لندن . وتراكم تسمع الأب ، وقد عاد الى بيته يذكر لزوجته كيف كان الصباح ناصع البياض ، وكيف كان الثلج جاثما على أشجار الحديقة . ولكن النهار وقد تقدم حتى أحاله الى قطرات ماء .

وأيام الثلج تستهني في أعياد الميلاد . وهي أمنية كل طفل ، أن يقضى عيد الميلاد لاعبا على الثلج . وترين بطاقات العيد بهذا الثلج المترام ، ولكن أعياد الميلاد التي تحقق هذه الأمنية ، قليلة نادرة ، لذلك تراهم يتعللون بهذا الأمل ، لأن لأيام الثلج سحرها وجمالها ، ولندن في أيام الثلج تستحيل بياضا ، ككل شيء أبيض ؟ ! ويعطى الثلج قممها وبروجها السوداء ، ويعطى أشجارها التي قد نفقت كل شيء من عليها استعدادا لهذه الأيام القريرة .

...

وأول مرة رأيت فيها لندن مغمورة بالثلج ، كانت احدى ليالى عيد الميلاد . وقد قطعت الليل الى قرب منتصفه فى النادى المصرى ، لا أشعر بأن لندن قد استحال الى مدينة مراكشية بيضاء ، ولا أشعر أن لندن ساهرة راقصة وراء جدرانها ذات النوافذ التى تحجب الضوء .



ليالى الثلج فى لندن

خرجت في الشوارع الرجة المقفرة ، وكان البرد يتساقط كأنه القطن المتطاير من صانع الأثاث ، وكان يهبط على كل شيء ، وكان يهبط على كتفي وعلى معطفي . وكنت أشعر بزهو لذلك ، وكنت أشعر كأنني أريد أن أضحك مقهقها ، أو أريد أن ألعب ، شعور غريب !

وعندما ذهبت إلى البيت وقد انتصف الليل أو كاد ، كان الثلج قد استحال إلى طبقات ينغرس فيها الحذاء بأكمله ، وأخذ أطفال لندن يخيون تلك الليلة البيضاء ، ويجمعون هذا البرد ، ويصنعون منه السكرات يتقاذفون بها ، ويقذفون بها كل سائر لأنهم يريدون أن يلعبوا وأن يضحكوا مقهقين ، كما كنت أشعر .

وما كدت أن أعطف ، حتى أصابني أول مقذوف من هذا الثلج المتكور ، وما أن رفعت رأسي باحثاً حتى كان آخر ؛ ولم ينفع النداء ولم ينفع الرجاء ، ولم يجد إلا الهرب . وهذا البرد المتراكم ، يستحيل بعد قليل إلى ثلوج جامدة ، بعد أن كان هشاً ناعماً . ويتجمع الوحل في طرقات لندن ، بعد أن كانت بيضاء نظيفة كأنها صحيفة من الورق . وتشتغل الفؤوس والمعاول في تحطيم هذا الثلج المتجمع ، وتشتغل العربات في حمله إلى ظاهر لندن ، فتصبح شوارع لندن كأنها الفناء المهجور بعد أن فض العرس !

...

وأيام الشتاء التي يتجمد فيها الماء في لندن ، ليس فيها السحر الذي لتلك التي يتساقط فيها البرد . وليس فيها من جمال الان مياها السربنتين تتجمد ، فتصبح ملساء كالزجاج ، وتصبح ملاعب للمتسابقين ببقاقيهم ، وبعض هؤلاء يصرف الماء في حديقة بيته في الليلة القريرة ، لكي تستحيل في الصباح لمعباً للشبان على الثلج والتميز لا يتجمد الا نادراً ، لأن اندفاع الماء وكثرة الحركة المستمرة عليه ، لا تيسر هذه الاحالة ؛ ولو تجمدت مياه التميز تحت أقدام البرلمان الانجليزي أو عند برج

لندن ، ما أظن انه يصبح متعة أو فتنه من الفتن ، لأن هذه الأبنية ذات الرؤوس  
المرفوعة الى السماء، لا تصبح يوماً من الأيام، إطاراً جميلاً لمرآة صقيلة، كميّاه التيمز المتجمدة .

...

وفي البيوت يصبح الماء المتجمد خطراً داهماً ، فهذا الماء السهل ، لا يتورع اذا  
ما قست عليه يد الطبيعة ، من كسر الأنايب الحديدية التي حبس فيها .  
الماء يكسر الحديد  
ولكنه الماء المتجمد المحبوس .  
الماء الذي قست عليه الطبيعة ، حتى غيرت من طبيعته

...

وفي هذه الليالي التي يتساقط فيها البرد تصبح لندن وضاء كأنها الليالي القمرية  
في الصحراء !  
ولكن ما أبعد الفرق ؟

## مآسى بيكادلى

تقدمت الى السيدة وسألتنى .

وقد كنت أسير فى شارع الريجنت تاركا بيكادلى ، ولم تكن الساعة العاشرة مساء .  
أما السيدة فكانت فى العقد الرابع أو الخامس أو بعد ذلك . جميلة المنظر ، تلبس  
نظارة ، لعلها للقراءة .

تقدمت الى السيدة وسألتنى :

ولكن لماذا لأقول الحقيقة ؟ لماذا لأقول انها تقدمت الى هذه السيدة الوقورة  
فى منظرها ، وراودتنى ...

نعم راودتنى ، لأجل دريهمات قليلة . . . .

...

جمدت فى مكانى وبهت ..

حاولت أن أرد بكلمة ، فحارت الالفاظ فى حلقى ..

نظرت اليها كالمذهول وفررت هاربا أسرع الخطى ، ولا أجسر على النظر الى الوراء ،  
وسرت فى الطرقات المقطوعة المظلمة ، لأننى كنت حزينا مهموما ، لأننى كنت  
أبكى ...

...

هذه السيدة ، كان يجب أن تكون فى هذه الساعة المتأخرة فى بيتها ، وليست

في طرقات بيكادلى ، تحت رحمة السكارى وعين البوليس .  
هذه السيدة كان يجب أن تكون بجانب زوج لها ، وحوّلها أكثر من طفل ،  
يقبلون يدها ؛ ويستعطفونها ويسألونها الدعاء . . .  
هذه السيدة كان يجب أن تملأ بابتسامتها قلب زوجها ، وهو في عقده الخامس  
تملؤه حياة وقوة وبأسا .

ولكن أين هي الآن ؟  
لا زوج ، ولا أطفال ، ولا بيت تأوى إليه ؟  
أحلام لا أمل في تحقيقها .  
أحلام تعصر قلبها اذا ذكرت الآن وقد تخطت الخمسين ؟  
أحلام تثير نفسها حقدا وغضبا على الانسانية ؛ على الرجل ، وهي واقفة في أركان  
بيكادلى تراود من هم أحفادها لأجل لقمة أو درهم . . .

\*\*\*

ماذا فعلت المدنية في سبيل هذه الانسانية المعذبة . . . ؟  
ماذا فعل الرجل لكي يقيل عثرة من كان سببا في شقاءها بأنانيته وحبه لذاته ؟  
وماذا فعلت الفتاة لحماية نفسها من نفسها ، ومن الرجل الخاوى القلب ؟  
وماذا فعلت المرأة في سبيل هذه المرأة ؟



## مشرب الشاي

تقاليد الشاي شيء موروث عند الانجليز . ومشرب الشاي في لندن أندية اجتماعية أكثر منها مقاهي أو مطاعم .

والانجليزى لا يأكل شيئاً إلا ويتجرع معه قدحا من الشاي ، وإذا جاء موعد الشاي تجرع قدحين وثلاثة وأربعة بل وخمسة أقداح .

وقد يمتد عقد الجلوس ساعة أو ساعتين يحتمس فيها الشاي قليلا قليلا وهم يتحدثون وإذا تقاعس أحدهم عن قدحه الخامس يقول له زميله « كن انجليزيا ولا ترفض قدحا من الشاي ! »

ولمشرب الشاي في لندن شركات كبيرة كثيرة تديرها ، وبعض هذه الشركات تدير المئات من هذه المشارب . ولكل مشرب من هذه المشارب ذوقه وتقاليدته ، وكنت كثير التردد على هذه المشارب جميعاً ، فكنت أطلب القشدة وما إليها في « الاكسبرس ديري » ، وكنت أطلب الحلوى من ذوات الثوب الارجوانى في محلات A . B . C ، وكنت أطلب الشاي عند ليونس .

...

مشرب ليونس جزء متمم لحياة أهل لندن ، لأنها مشارب الشاي التي تطرقها جميع الطبقات ، فهي بنظامها وبالروح السائدة فيها تعطى لك صورة واضحة عن الحياة

الاجتماعية للشعب الانجليزي .

على مائدة الشاي ، يبحث الانجليزي مشا كله الخاصة والعامة ، وعلى مائدة الشاي يدرس سياستهم شؤون الامبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس ؛ وعلى مائدة الشاي يفتح الانجليزي فاه ويخلع شيئاً عن جموده وانعزاله ؛ ثم على مائدة الشاي يحل شبانهم معضلات غرامهم ؛ وبينون هياكل مستقبلهم ؛ وعليها يرمون وعليها يقررون .

فشارب الشاي ليونس العديدة التي تراها في كل ركن في لندن ، مجامع للدراسة ؛ والبحث ؛ وملتقى لصرعى الغرام .

لا أظن زواجاتهم في انجلترا ؛ ولم يعقد الطرفان احدى جلساتهم في بعض مشارب الشاي ؛ في احدى هذه المشارب القومية . .

...

رجعت الى لندن بعد غياب سنين ؛ وكانت الساعة السادسة صباحا عندما وصلنا الى محطة فكتوريا ، والسادسة أو السابعة ساعة مبكرة في لندن . خرجت من المحطة



عشرات من هذه المشارب في لندن

أضرب في الطرقات لأذكر ذلك العهد الذي عشت فيه في لندن ، والأماكن التي

كثيراً ما كنت أطرقها ؛ وكنت قبل كل شيء أريد أن أتناول قدحا من الشاي في احدى هذه المشارب القومية ، لأن لهذا القدح من الشاي طعماً خاصاً في فمي ؛ لا أستسيغه في مكان آخر .

كل مافي مشارب ليونس قد اعتدت رؤيته ، فألوان المقاعد والطاولات وزخرفة الجدران بل ومودة الفستان الأسود ذي الأزرار البيضاء اللامعة الذي تلبسه العاملات ، واضح في ذاكرتي لا يتهوش .

وقائمة الطعام الصفراء ذات النقوش الخضراء والحمراء ، بأصنافها العديدة التي تربو على المئة ، أذكرها الآن ، وأعرف أثمانها ، ومكانها في القائمة .

بل انني خبرتها بنفسى ، طلبتها جميعاً بلا استثناء ، وعرفت منها الآن ما يصلح لأيام الحر والبرد ، وما يصلح اذا ما أصبت ببرد أو زكام ، وما يناسب اذا كانت النزعة ملحة الى الاقتصاد .

لست أنا الذى ينفرد بذلك ؛ ولست أنا وحدى الذى يعرف قائمة ليونس بألوانها وأثمانها ؛ ولست أنا فقط الذى يحلوه أن يتناول الشاي أو الغذاء في هذه الأماكن . بل ان هنالك كثيرين مثلى كثيرين لا يبحثون فقط عن الشاي أو الغذاء ، بل عن الجو الانجليزى الذى يتناولون فيه الغذاء ويحتسون فيه الشاي .

عشرات من هذه المشارب البيضاء ذات النقوش الذهبية ، ميثنا مشرب منها في لندن وحدها .

كل منها صورة طبق الأخرى ، وكل ما فيها يدل على اناقة وذوق .

الجو الانجليزى الذى يجعل لمشارب الشاي هذه طابعاً خاصاً تشعر به إذا اعتدت الذهاب الى هذه المشارب ؛ وأرهفت الأذن الى ما يقال حولك ، وفتحت العين لما يدور بين يديك

الساعة الآن الخامسة أو السادسة . كل طاولة من عشرات الطاولات مشغولة ، ولا تكاد تجد مقعداً خالياً . حركة دائمة من القادمين والمخرجين ، ونشاط العاملات واضح في حركاتهن وهن لا يدعن لك فرصة للنداء أو التصفيق ، فهن على رأسك اذا ما جلست ؛ وعيونهن في ذلك لا تخطيء ، فهن كعمال الترام يعرفون من ركب أخيراً ولم يطلب التذكرة بعد !

واذا ما تأخرت العاملة لسبب من الأسباب ، هرعت اليك احدى الملاحظات بفستانها الأسود أو الأزرق الداكن وبقلمها المترجرج على صدرها ، لتسمع طلبك أو شكواك . وفي كل صباح تلقى عليهن هؤلاء الملاحظات أوامر جديدة وتعليقات جديدة . وعاملة ليونس ، مثال للنشاط والذوق والاناقة . هؤلاء العاملات يطلقون عليهن اسم « نبي » ويكدن يتشابهن في كل شيء ، فقليل منهن من هي دميمة الوجه ، وقليل منهن من هي صلفة العاملة .

الابتسامة الحلوة الجميلة دائماً على وجهها ولو كانت في حالة اعياء وتعب ؛ والملاحظات الطريفة الصائبة عن الأكل وعن غير الأكل لا تضن بها اذا سألتها عن شيء ما ! ! وفي هذا الازدحام تراها تسرع الخطى تحمل عشرات الاطباق والملاعق والكوبات وأباريق الشاي ، وتسمع نقرات حذائها على أرض المطعم واضحة رنانة . ولباس هؤلاء العاملات يدل على الاناقة وسلامة الذوق والبساطة . فالفستان من الحرير الأسود ، ذو صفين رأسيين من الأزرار يبدأ من العنق ، ومريلة بيضاء منشأة لا تستعمل في تنظيف أو غسل بل هي جزء من مودة الفستان ، ثم عصابة بيضاء منشأة حول الرأس ، أقرب شبهها بلباس المرضات .

وهذه الاناقة في الزى ، والمهارة في العمل ، ليست من فعل الصدفة . بل ان هؤلاء العاملات يقمن بكل ما يحتاجن اليه من زينة مجاناً في صالونات خاصة بهن وهذه

المهارة في العمل قد اكتسبها لا بالمران فقط بل بالتدريب الفنى في مدرسة خاصة  
تديرها هذه الشركة .

...

ولما كان الكثير من رواد هذه المطاعم من رجال الأعمال الذين لا يقضون أكثر  
من ساعة في الغداء ومثلها للشاي ، لهذا كانت السرعة في تقديم الطلبات ضرورية  
ولازمة ، ولعلها السبب في نجاح هذه المشارب وانتشارها .  
الزبون المستعجل لا ينتظر ولا يريد أن يضايق نفسه بدق الجرس أو بالنداء على  
الخدّام في المطعم ؛ فهو يفضل أن يتناول قدهاً من القهوة أو شيئاً من الساندوتش  
عن أن يجلس في مطعم ويرقب بصبر هروع الخدّام اليه ليسأله عن طلبه ، ثم ليرقب  
تنفيذ هذا الطلب بعد ربع ساعة أو يزيد .



والملاحظات الطريفة لا تفتن بها اذا سألتها عن شيء ما ..

في ساعات خاصة من النهار ، بين الظهر والساعة الثانية ، ثم بين الرابعة والسادسة ، لا تكاد تجد مكانا خالياً ، ولكن الجالسين لا يلبثون طويلا ، فسرعان ما تراهم ينتهون من طعامهم في أقل من نصف ساعة ليحل غيرهم محلهم .

وهذه الساعة الواحدة التي تمنح للغذاء لا تكفي الموظف أو العامل أو المستخدم في مصر . لأن ساعة الطعام في مصر لا تقل أهمية عن ساعة العمل . فإذا ما انتهى من الطعام ، صارت رجلاه لا تقوى على رفعه ، وأخذ يتثأب ويحط على أكتافه الكسل والنوم .

أما في إنجلترا فطعام الغداء ليس أساسيا لأن اليوم لا ينتهي بانتهاء الغداء بل يمتد الى ما بعد تناول الشاي . لهذا كان طعام الغداء خفيفا سهلا ، يقوى على العمل ولا يعرقل سيره .

كثير من هؤلاء - لاسيما الفتيات العاملات - يطلبون قدحا من الشاي أو القهوة ، وشيئا من اللحم البارد أو السمك والبطاطس المسلوقة ، أو قطعة من الخبز والزبد والجبين ؛ ثم تفاحة أو برتقالة . ثم يشعل الرجل الغليون ، أو الفتاة السيجارة ! وبعد دقيقة يكون صاحبا أو صاحبتنا في الطريق الى العمل .

ولاجل هذا كانت السرعة أساسية في هذه المطاعم والمشارب ، لاسيما في ساعة الغداء فلا تجلس حتى ترى العاملة على رأسك تسألك بأدب عما تطلبه ، ولا تكاد تمضي دقيقة حتى تبدأ بتناول طعامك أو بعضه على الأقل . .

وليس كل مطعم من هذه المطاعم يطهى جميع طعامه مستقلا ، بل ان كثيرا منها يرسل لها جانب من هذه الأطعمة محضرا من المركز الرئيسي للشركة . لهذا كان ما تأكله في أى مطعم من هذه المطاعم سواء ، فلا ينفرد واحد منها بشيء عن غيره .

وفي كل مطعم عاملات مختصات بتجهيز نوع خاص من الطعام ، هذه للشاي والقهوة ، وهذه للسلطات ، وأخرى للمثلجات ، وهكذا .

وتحفظ هذه الأطعمة بأطباقها في صناديق من المعدن الساخن ، وعلى باب كل صندوق اسم الطعام ، فليس على العاملة إلا أن تفتح الصندوق الخاص وتخرج الطبق المطلوب جاهزاً ساخناً .

وهذه السرعة قد تؤدي في كثير من الأحيان الى تكسير الكثير من الآنية الزجاجية والخزفية التي تستعمل في هذه المطاعم ، فمن حين لآخر تسمع فرقة سقوط شيء منها على الأرض ، ولكنك لا ترى العاملة تقف تندب حظها فوق ما كسرته بل تسرع الى اختيار غيرها ، وعلى غيرها جمع هذه الآنية المكسورة . فالعاملة لا ينضم منها ثمن ماتكسره ، لأن السرعة التي هي شرط من شروط هذه المطاعم قد تجر الى شيء من الإهمال ، الإهمال الذي لا بد منه وليس الإهمال المقصود .

وليست العاملة فقط هي التي لا تدفع ثمن ماتلفه من أدوات في هذه المشارب بل إن «الزبون» في هذه المطاعم لا يفرم اذا حدث وكسر طبقاً أو قدحا . هنا تتحلى الروح الانجليزية ، روح الثقة بكل فرد من أفراد الشعب ، لان من المفروض أن يحافظ كل فرد على ما لغيره ، لا بدفع الغرامات ولكن باشعاره هذا الواجب .

وما أبعد هذه الروح وتلك التي تراها في فرنسا ! وقد كتب على كل طبق من أطباق القهوة ثمنه ، فاذا حدث وكسر «الزبون» احدى هذه الأطباق دفع هذا الثمن المدون عليها بلا شرح ولا كلام .

أما في مصر فسوء النية متوفر ، فاذا حدث وكسرت شيئاً من هذه الأدوات ، فأنت مع استعدادك لدفع ثمن ما تلفت ، قد لا تسلم من كلمة تقريع أو توبيخ من صاحب المطعم أو المشرب أو من خادمه ، وفي كثير من الأحيان تدفع الثمن مضاعفاً .

وكان في فرنسا تترك أطباق الخبز والكرواسا ، والجاتو على الطاولة ، فان

أطباق السكر تترك في مشارب الشاي في انجلترا مع الملاحات وزجاجات الخردل  
والخل ونحوها .

ولو ادخلت هذه الطريقة في مصر ، لاستهلكت المقاهى أضعاف ماتستهلكه من  
مقادير السكر . لالكثرة الزبائن ، بل ليلهم الى قرقشة السكر أثناء الساعات الطويلة  
التي يجلسونها بعد طلب فنجان القهوة المعلوم . .

...

ووفود الشاي يحضرون جماعات جماعات ، ويقضون وقتاً أطول من زبائن الغداء  
العجلين . ولو أن النشاط والحركة لا تهدأ في ساعات الشاي الا أنك تجد من يقضي  
الساعة وهو يتناول قرح الشاي أو قطعة الكيك ويتحدث مع جاره ويدخن سيجارته  
أو يقرأ الصحيفة التي معه .

وكثير من هؤلاء الوافدين يحضرون من بيوتهم ، أو بعد انتهائهم من حيث يعملون  
لتناول الشاي . لهذا تجد هؤلاء الداخلين على ألوان مختلفة ؛ فعلى هذه الطاولة  
تجد رجلا وزوجته وطفله ، وعلى أخرى فتاتين تعملان سويا ، وبجانبهما شاب  
وصديقه ، أو ضعف هذه النسبة ، ثم على طاولة أخرى زوجين في متأخر العمر  
يطلبان شيئا من السلوى في مثل هذه المشارب الغاصة بكل الطبقات .

والغريب يجد بدوره شيئا من التسلية في هذه المشارب . بملاحظة ما يدور حوله ،  
أوبالدخول في حديث مع جاره أو جارته ؛ الامر الذي يكون مستحيلا في غير مشارب  
الشاي

...

إن لمشارب الشاي هذه ، لمن عاش في لندن وحيدا أو عاش فيها طالبا ، ذكريات



لا تضيع . فقد كانت هذه المشارب مجالسهم ومطاعمهم وأنديتهم ، وفيها كانوا يرمون  
أموارهم، وفيها كانوا يجدون السلوى في وحدتهم . .  
ولشارب الشاى هذه فى نفسى كل هذا الأثر ، وكثير . . .



رئبى شخصية ممتازة فى مشارب لندن

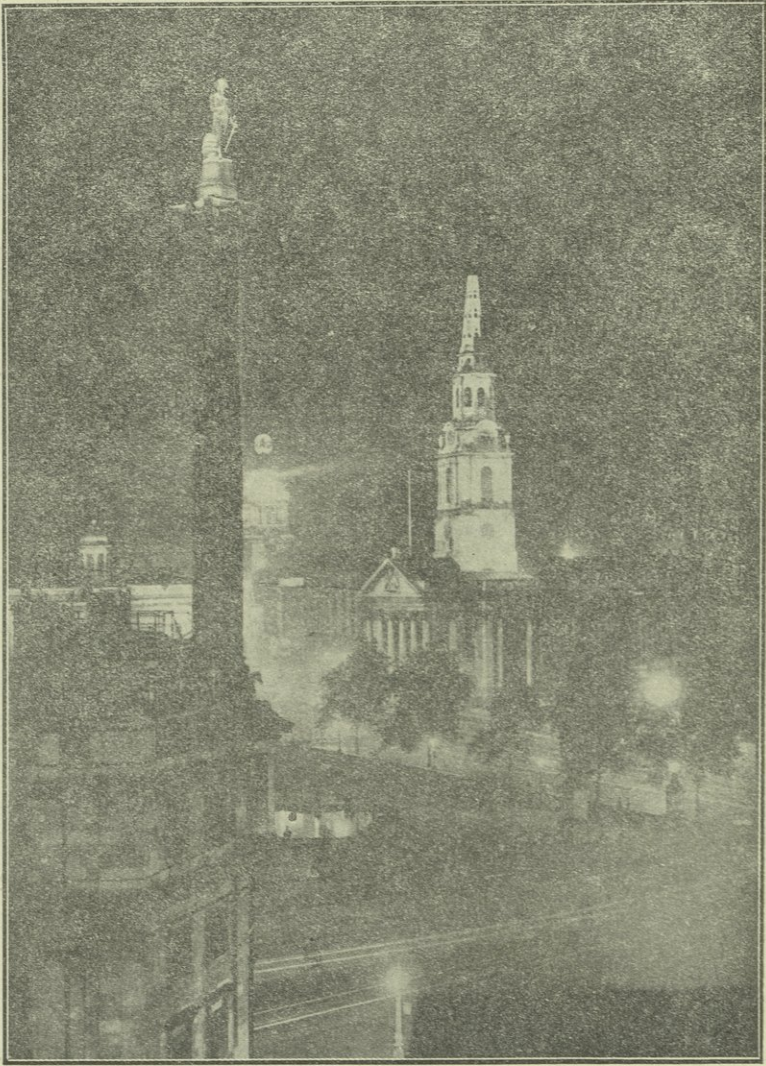
## المتاحف والمعارض

بين متاحف لندن العديدة ، لا بد وأن يجد الزائر شيئاً طريفاً فريداً . عشرات من هذه المتاحف والمعارض في لندن ، معارض منزوية لا يكاد يشعر بوجودها إلا الذين يذهبون إليها قصداً ، ومتاحف تدل بفخامتها وبأبنيتها السوداء المرتفعة ، على الجهود وعلى المال الذي بذل في جمع معروضاتها من كل ركن من أركان الأرض .

وفي سوث كنزجتن تجد الكثير من هذه المتاحف والمعارض ، حتى صارت سوث كنزجتن أشبه بالحى الفنى في لندن ، وصار الجو الذى يسود شوارعها الواسعة ذات الأبنية الصامتة ، بسكونه وهدوئه أشبه بقاعات المتاحف نفسها التى لا تكاد تسمع فيها صوتاً أو لغواً أو حركة .

والوجوه التى تشاهدها في سوث كنزجتن تراها كلما زرت هذا الحى . وجوه الأساتذة والطلاب وهم في طريقهم الى الجامعة أو الى احدى كلياتها ، طلبة الفنون الجميلة وهم في الطريق الى معهد الفنون الملكى ، جماعات الأطفال بقبعاتهم وشاراتهم المدرسية يسرون صفوفاً صفوفاً يرافقهم معلمهم وهم في طريقهم الى احدى متاحف سوث كنزجتن العديدة ؛ الى متحف التاريخ الطبيعى ، الى المتحف الامبراطورى ، الى متحف العلوم ، الى المتحف الهندى ، الى متحف الحرب .

ومتاحف لندن أكثر من هذا . فالتحف البريطانى الذى هو بمثابة متحف للمتاحف في رسل اسكوير ، حى آخر في لندن له شخصيته وله جوه . ومعارض



والمعرض الاهلى فى ميدان ترافلجار يطل على عمود نلسن ...

التصوير مبشرة ، فلعرض الأهل في ميدان ترافلجار يطل على عمود نلسن ، ومعرض التيت بعيد عن كل هذا ، هناك على التيمز ، بعيد عن البرلمان الانجليزى ، في مكان منعزل لا تصل اليه إلا بعد السير الطويل .

...

وفي متحف الحرب ، تجد شيئاً جديداً . ليس هو متحفا ككل المتاحف التي تسمك بمعرضاتها المتكررة ، التي لا تنجذب اليها الا بعد أن تقرأ دليل المتحف . ملأت الحرب العظمى هذا المتحف بالطريف الجديد ؛ تتقدم الى قاعة المتحف فيقابلك فوج من أطفال المدارس ، لابل فوجان فوج داخل وفوج خارج . ذكريات الحرب العظمى لا بد وأن تفرس في نفس كل طفل انجليزى ، والحرب لا بد منها اذا كان لا بد من المستعمرات ولا بد من الامبراطورية .

صفوف طويلة من معدات الحرب ، مدافع ضخمة تمتد فوهاتها أمتارا عديدة ، هذا كان يستعمل في بلجيكا ، ذلك في فرنسا ، هذه مدافع كانت تحملها المدرعات والغواصات ثم صفوف البنادق التي لا تنتهى

وعلى الجانبين نماذج للغواصات والمدرعات والمدمرات وللطريد ، وقطاعات من هذه جميعها لتوضيح طريقة عملها وكيفية استخدامها .

وفي ركن من هذه القاعة ، يقف الزائر المصرى متميلا ، أمام معروضات كتبت بالعربية « الطريق الى القدس الشريف » « حارة كذا » « الضبطية » ومعروضات أخرى بالتركية . هذه الآثار من فلسطين ، قدمها الجيش الفاتح ! وفي النافذة الزجاجية يلح الزائر قطعة من القماش الأسمر الخلام مما يستعمله الفلاحون ، كتب عليها بالجر العادى ويخط عربى ملوث بالمداد « حاكم القدس الشريف . . » وبجانب هذه القطعة من القماش الأسمر ، صورة فوتوغرافية تقص لنا قصتها .

هذه القطعة من القماش الاسمر الملوث بالمداد ، كانت راية السلام والأمان وقد حملها

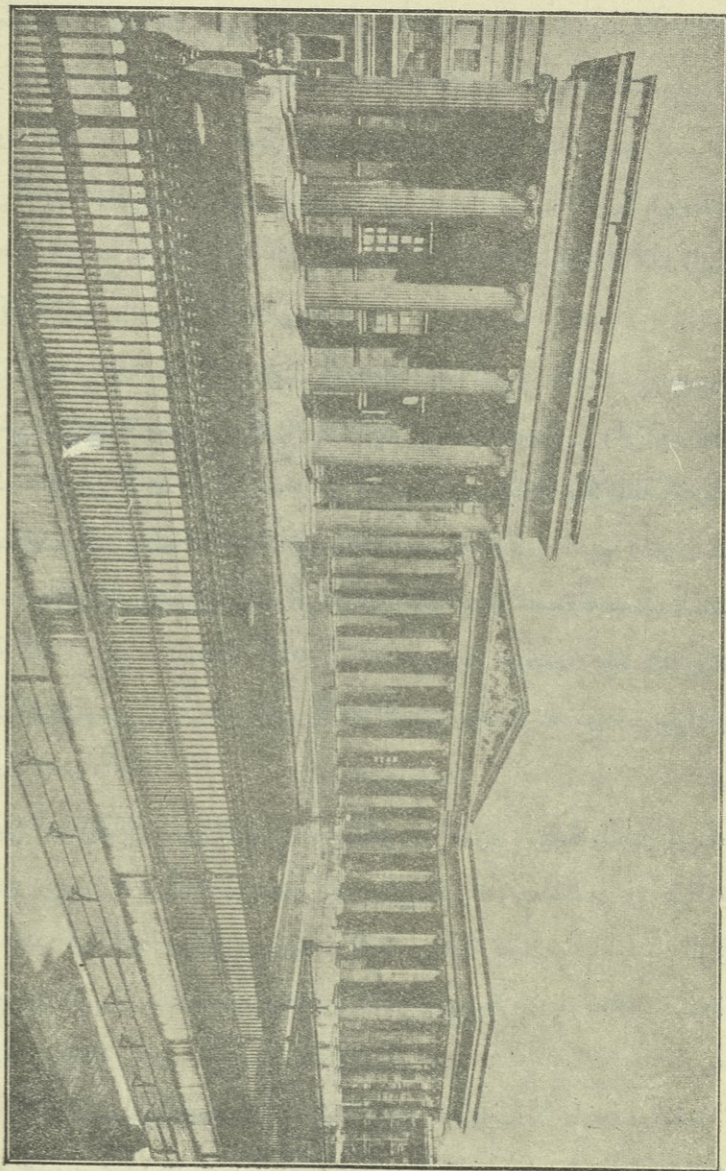
الحاكم التركي للقدس مع طائفة من زممرته رمز التسليم للفتاح الانجليزى ، فبذلك أسدل الستار على فصل من رواية لا تنتهى أدوارها ، بدأت منذ كان صلاح الدين يصول ويجول فى هذه السهول المقفرة المجذبة منذ قرون ، بل قبل ذلك .

وفى اطار من زجاج ، منجل حصاد كتبت تحته قصيدة عربية بماء الذهب ؟ هذا المنجل كما يقول الشاعر العربى ، حربة من الحراب الألمانية ، وجدها فلاح فلسطينى فصنعها منجلا يحصد الدريس بعد النفوس ! هكذا يتقرب هذا الكاتب الى سادته الجدد ، وينسى أنه فلسطينى عربى .

ترك هذه القاعة الى اليمين حيث النماذج العديدة للجنود الذين اشتكروا فى الحرب العظمى ، نماذج للملابس العسكرية ولأزيائهم على ممد السور . وعلى جدران القاعة ثبتت كثير من الأعلام والرايات ، التى اغتصبت من الجيوش الألمانية وغيرها . ثم اذا ارتقيت الدرج الى الطابق الأعلى تستقبلك صورة تعرف صاحبها ؛ تعرف هندميرج بملابسه المرشالية وبشواربه المقتولة . وفى أسفل هذه الصورة مقعد ألصقت عليه ورقة كتب عليها ، ان هذا المقعد كان يجلس عليه صاحب هذه الصورة ، بين أركان حربه ، يدير دفعة جيوشه ، كأنه اللاعب بقطع الشطرنج ، يرسلها الى الموت أو الى النصر والظفر .

وفى هذا الطابق عشرات من هذه الصور ، الصور الزيتية والمائية التى تحتل كل مكان فى جدران هذه القاعات ، هذه الصور التى تمثل الحرب العظمى فى كل أدوارها ؛ تمثل الجنود فى الخنادق ، تمثل مستنقعات الفلاندرز وقد طفت عليها أجساد الموتى ، تمثل المهاجرين فى روسيا وبلجيكا يحملون أولادهم ويهجرون مرضاهم ، ييغون موثلا من النار والدمار .

وإذا انحدرت الى الباب ، تمر بمقطوعات من الصحف الانجليزية ، وتقرأ تاريخها « ١٤ يوليو سنة ١٩١٤ » وتقرأ العنوان الضخم التى كتب على رأسها « المانيا تعلن



النصف البريطاني

الحرب» هذا أول فصل من القصة ، القصة التي هزت العالم ، القصة التي لا ندرى ماختمها ؟ القصة التي من أجلها شيد متحف الحرب الامبراطورى فى سوٲ كنزجتن !  
... ..

واذا خرجت من متحف الحرب ، وسرت إلى نهاية البناء ذى الأبراج المرتفعة  
- جامعة لندن - تمر على المتحف الامبراطورى والمتحف الهندى .

تدور دورة فى هذين المتحفين ، لتستعرض ما جمع فىهما من آثار ومن نماذج  
لمنتجات المستعمرات الانجليزية . وتمر على مكتب الاستعلامات فى هذا المتحف ،  
وترى الشاب الانجليزى يخرج محملا بالذكرات والاعلانات الخاصة بأوغندا ونيجيريا  
بعد أن شاهد ثرواتها وحاصلاتها ، وبعد أن رأى الصور الجذابة عن الحياة فيها ، ترى  
هذا الشاب يخرج من المتحف الامبراطورى لا كما أخرج أنا ، بل برأس ممتلىء آمالا  
يخرج ليفكر كيف يترك لندن العظيمة ذات الثلج والضباب ، ليعيش فى قلب غابات  
افريقية ، ليعيش مع الزوج ويشاركهم فى عششهم وأكواخهم، ولكن لكى يثبت  
العلم البريطانى فى تلك الاصقاع !

...

وفى طريقك إلى محطة الترام الأرضى ، تمر على متحف العلوم ، كما تمر على متحف  
التاريخ الطبيعى .

وفى متحف العلوم ، تجد غير ما وجدت فى المتاحف التى زرتها . ترى المدنية  
الانسانية فى درجاتها ، ترى كيف كان يعمل العقل الانسانى وكيف يعمل الآن ،  
وكيف يجاهد العلماء وهم فى معاملهم وفى حجرات دراستهم ، للكشف والابتكار ،  
كيف يعملون لينقلوا النوع الانسانى بأسره من طور الى طور ومن حياة الى حياة .  
ولكن هؤلاء العلماء قد يضلون الطريق !

هذه النماذج من البالونات والطائرات التي تشاهدها في متحف العلوم ، قد فكر العلماء في أمرها لأنهم يريدون أن يتسيطروا على الهواء ، ولكنك اذا تدرجت من تلك القديمة التي صنعت من الخشب والقماش، مستعرضا تاريخها، وصلت الى تلك التي جهزت بالمفرقات والمدافع الرشاشة التي فكر العلماء فيها ، ليتسيطر الانسان على الانسان !

وفي هذا المتحف تستعرض حياة كل شيء منذ ميلادها الأول إلى أن وقفت على قدميها ، تستعرض الدراجات ، السيارات ، القطار الحديدي ، الترام ، المدافع ، الآلات البخارية ، أجهزة الكهرباء . تستعرض الصناعات وتطورها ، المصانع والمعامل ، تستعرض تحت عين المجهر كيف اكتشف العلماء علما كان خفيا عن العيون والأبصار! وفي متحف التاريخ الطبيعي ، ذى البناء الذى كأن نارا شبت فيه ، وذى الحقيقة الواسعة الرحبية ، تشاهد الحياة والأحياء متمثلة فى النماذج المصنوعة والمحنطة والمحفوظة للحيوانات ، والحشرات ، وللزهور وللنبات ، ولكنها صور ليس الا ، حفظها يد الانسان من البلى والفناء ، لهذا كان جمالها مستعارا وكان ابداعها مصطنعا ، بل انها لتذكر الزائر بنهاية الحياة لا بها ، وبالموتى لا بالاحياء .

...

وتترك سوث كنزجتين : متاحفها ومعارضها الى ميدان ترافلجار حيث المعرض الوطنى للصور ، ومن ثم الى وستمنستر حيث معرض التيت . وما أشبه معرض التيت هذا بمعرض لكسمبور فى باريس ، يزهو بمعرضاته الحديثة القليلة على معرض اللوفر الهائل ، وهكذا يزهو معرض التيت فى لندن على المعرض الوطنى ، الذى يحوى نيفا وثلاثة آلاف قطعة فنية ، تمثل كل مدرسة أوربية ، لاسيا مدارس الفن الايطالى والهولندى .



أما معرض التيت فيمثل المدارس الحديثة ؛ لذلك كانت قاعاته زاوية بهذه  
المعارض الحديثة ، التي ولا شك تستهوى عين الزائر الذي يقدر الفن بذوقه لا بحكم  
عمله ومهنته .

•••

ترك معارض التصوير هذه ، ونشد الرحال الى رسل اسكوير حيث المتحف  
البريطاني العتيذ . بناء هذا المتحف الذي يشبه المعابد الرومانية أو المصرية لا أدرى ،  
تحفة فنية في حد ذاتها ، تشعر بذلك وأنت ترتقي درجاته العريضة .

ورسل اسكوير ، حي له شخصيته في لندن . لا يزهو بأبنيته الفاخرة ، ولكن  
بالجو الذي يسود هذه الأبنية المتواضعة المتلاصقة .

أكثر الجمعيات العلمية الانجليزية من نزل هذا الحي ، وأكثر الروابط والجمعيات  
الاجنبية لا تخرج بعيدا عن هذا الحي . وهذا الحي يزهو بنوع خاص من المكتبات ؛  
المكتبات الخاصة التي تجمع الكتب التاريخية والشرقية ، الصينية واليابانية والعربية  
والفارسية ، وفي هذا الحي ، وحول المتحف البريطاني تجد تلك المكتبات التي تجمع  
المخطوطات والكتب النادرة ، والمتحف الفنية ، والآثار . وفي هذا الحي تجد الكثير  
من مراكز النشر والطباعة الانجليزية . كل هذا تجده في حي رسل اسكوير ، وأنت  
في طريقك الى المتحف البريطاني .

ليس المتحف البريطاني متحفا للآثار الانجليزية أو غير الانجليزية ، بل هو متحف  
للمتاحف . هو متحف للكتب ، متحف للآثار المصرية واليونانية والرومانية ،  
متحف للخزف ، متحف للمخطوطات الأثرية ، متحف للفن القديم ، متحف لعلم  
حضارات الانسان .

تعتلى الدرجات العريضة ، وتخرق البهو الخارجي إلى القاعة الأمامية التي كتب  
عليها « القراء فقط » هذه هي مكتبة المتحف البريطاني الشهيرة ، التي تعد أغنى وأوسع  
مكتبات العالم .

قاعة دائرة الشكل ، صفت مقاعدها حلقات حلقات متداخلة تضيق الى المركز حيث مكتب الموكل اليهم أمر العمل فيها . وفي الحلقة الخارجية ، فهرس المكتبة الذي يتكون من ألف مجلد ، وعلى رفوفها عشرون ألفا من المراجع التي قد يحتاج اليها القراء ، وهم يبلغون في العام نحو ثلاثة أرباع مليون قارئ وقارئة . وبالقاعة خمسمائة مقعد لهم .

وفي مكتبة المتحف البريطاني أربعة ملايين كتاب بكل لغة ، تزداد بمعدل خمسين ألفا كل عام ، وتحتل خمسين ميلا من الأرفف ! وليست هذه القاعة الدائرة هي كل ما في المتحف البريطاني ؛ بل انك اذا ارتقيت الدرجات الى الطابق الأعلى حيث قاعات الكتب الأثرية وجدت الكثير من المخطوطات والكتب النادرة كالمجانا كارتا وكالطبعة الأولى لمؤلفات شكسبير وملتن ، ثم قاعة الرسائل التاريخية حيث تعرض مخطوطات ورسائل كثيرة للعطاء كيوميات نلسن في موقعة الطرف الأغر وغيرها .

...

والقسم المصرى في المتحف يحتل عددا من القاعات ، بها الكثير من الآثار المصرية ومن المومياة وغيرها . وبين هذه المعروضات يقف الزائر المصرى أمام لوحة من الحجر الأبيض ، لوحة عادية ولكن لعلها أثنى ما في هذا المعرض . هذا هو حجر رشيد الذى كان مفتاح اللغة الهيروغليفية . الحجر الذى كتب بثلاث لغات ، فكشف بذلك النطاء عن سر التاريخ والحضارة المصرية القديمة .

يثير مرأى هذا الأثر في نفس الزائر المصرى حسرة ، كما يثيره مرأى تمثال الملكة نيفرتيتى اذا ما زار معرض برلين . هذه المتحف المصرية النادرة ، ما أحرها أن تكون في الأرض التي أخرجتها ، ما أحرها أن تكون في قصر النيل ، في متحف الآثار المصرية !

ومن ثم تزور الأقسام الاغريقية والرومانية بآثيلها الرخامية والمرمرية ، وتمر على معروضات الخزف ، وترتقى الدرج حيث بقية المعروضات المصرية ، لتزور متحف الحفريات وتاريخ الانسان .

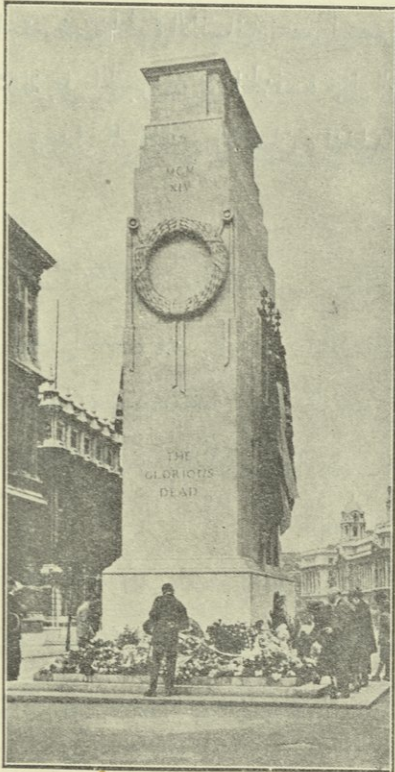
وكنت أرتاد هذا المتحف شهورا طويلة ، وقد كنا ندرس علم حضارات الانسان بين المعروضات التي استقدمت من بلاد الاسكيمو وغابات الكنفو وسهول استراليا . معروضات تمثل الحياة الفطرية للانسان .

...

تخرج من المتحف البريطانى ، وقد استعرضت العالم ، شعوبه وأمه ، وقد استعرضت الحياة الانسانية عصرا عصرا ، وقد استعرضت منتجات العقل البشرى ممثلة على الحجر ، وعلى الخزف ، وعلى الورق . وهذا كل ما لدى الانسان ، لتخليد حياة نوعه على الأرض !

## قبر الجندي المجهول

السائر في شارع هويت هول يقف قليلاً ويرفع قبعته ، إذا ماتخطى النصب  
الأبيض المتواضع .



والغريب قد يمر على هذا النصب ،  
دون أن يقف مستمهلاً بل دون أن يرفع  
رأسه محيياً ، وقد لا يظن أن هذا النصب  
الأبيض المتواضع ، يحمل سرّاً هائلاً ؛  
وقد لا يظن أن هذا النصب الأبيض  
العاري ، ماهو إلا قبر الجندي المجهول  
البريطاني .

ليس هذا النصب التذكارى تمثالا  
فاخراً هائلاً تتضائل إذا ماوقفت في ظله .  
لا ؛ انه لاشيء اذا قارناه بتمثال نلسن  
الذي يطل عليه من ميدان ترافلجار  
حيث ينتهى شارع هويت هول .

أشبهه شيء بقاعدة مسلة مصرية ،  
مسلة لم تكمل ، بسيط في فنه وذوقه

الى أقصى حدود البساطة . ولكن أهل لندن لم يرغبوا عن هذا النصب المتواضع ،  
الذى أقيم حيث هو في يوليو سنة ١٩١٩ الى أجل ، الى أن يفكر الفنانون ملياً في  
تخليد ذكرى آلاف ممن قبرا في سهول الفلاندرز والدردييل . وهكذا أعيدت اقامة  
هذا لنصب المتواضع ، اذ لم يرض أهل لندن عنه بديلاً !

ولكن قبر الجندي المجهول لا يمتدح الى عمود هائل كعمود نلسن ، ولا كقوس  
فاخر كقوس ولنجتن لتخليد ذكرى أولئك الآلاف من الشباب ، الذين حصدوا  
ولم تفتح أكلهم زهورهم بعد .

تلاشى كل عظمة أمام هذا النصب المتواضع ؛ انك لاتذكر اسما معيناً ، بل تذكر  
الانسانية المعذبة جمعاء تتمثل في صاحب العظام المجهولة المدفونة تحت أقدام هذا  
النصب .

...

باقات الزهور البيضاء والحمرات لاتذبل تحت أقدام هذا النصب . لاتذبل مادامت  
هنالك قلوب متفطرة مكلومة ، لاتذبل مادامت تبلل بدموع الأمهات التي لم تجف  
عيونها وقد جفت خنادق بيرس والفلاندرز !

...

وفي الساعة الحادية عشرة ، من اليوم الحادى عشر ، من الشهر الحادى عشر ،  
من كل عام ، يصبح هذا النصب ركن الرحى في لندن !  
هذا يوم الهدنة !

مئات الآلاف من أهل لندن ومن غير لندن ، تفد الى هوايت هول ، حتى انه  
ليضيق بهؤلاء الوافدين ، الوافدين بقلوبهم الكريمة وعيونهم السخينة ، وبملابسهم  
السوداء وينثرون باقات الزهور على هذا النصب الحجري ، تنثر من كل يد ، من يد

الملكة ، ومن يد العاملة . من الشيخ ليد كر ابنه ، ومن يد الشباب ليد كر أباه ، الذي  
لا يعرف إلا أنه سافر ولم يعد منذ عشرين عاماً ، حين كان طفلاً حايماً .  
وفي تلك الساعة وفي ذلك اليوم من كل عام ، تصمت مئات الآلاف هذه من  
حاسرى الرأس ، تصمت دقيقتين تبطل فيهما كل حركة في لندن ، لندن التي لا تعرف  
السكون !  
ولكنها في هاتين الدقيقتين تذكر أولئك الآلاف من أبناءها الذين ذهبوا  
ولم يرجعوا !

## شخصيات لندن

تتميز لندن بشخصياتها العامة ، تلك التي اذا اتصلت ببعض أصحابها اكتشفت أنها

شخصيات ممتازة ، جديرة بالدراسة والتسجيل .

ليس عليك أن تبحث عن هذه الشخصيات في  
دوننج استريت، ولا وراء جدران البرلمان الانجليزي،  
ولا في أندية ماى فير ، لانك تصادفها في كل مكان،  
في الطريق ، وأمام الأبواب لا خلفها .

الشرطى الانجيزى !

من ذا الذى ينكر أنه شخصية ممتازة ؟ من ذا الذى  
يزور لندن ولا تنطبع في ذا كرتة صورة ذلك المارد  
ذى الملابس القامة والازرار الصفراء اللامعة، والقلمسوة  
العالية التي تحمل التاج ؟

ليس أقل من أنه مثل سام للرجولة الكاملة ، هو في  
الطريق كل شيء ، وهو لا شيء ؟ لا شيء مطلقاً ،  
لا يجز معربداً الى مركز البوليس ، ولا يفيض منازعة  
حاددة ، ولا يعمل هراوته في ظهور ولا في وجوه ، لان



ذلك المعربد الانجليزي لا يوجد ليساق الى مركز البوليس ، ولان تلك المنازعة الحادة لا تنشب في شوارع لندن ، ولان تلك الظهور لم تتعود على المhraوة ...  
لا تكاد تلمحه وهو منزو في حنية الابواب ، كأنه خجل من أن يُرى وجهه للناس وهو لا يكاد يفعل شيئاً ، كأن هنالك اتفاقاً بين الناس على جعل هذا الشرطي عاطلاً من كل عمل ..

ولكنك اذا وصلت الى حيث القلنسوة العالية ، وحملت في وجهه ، والى عينيه اللتين لا تفتان تبص وتدور ، لعلمت أنه يتبع كل حركة في الطريق ، ويفحص كل وجه يمر امامه

واذا حدث بعد ان تناولت الى تلك الهامة المرتفعة وفتحت فمك بالسؤال والاستفهام عن الطريق أو عن غير الطريق ، لم تجد ذلك المارد مارداً كما تبادر الى ذهنك ، بل تراه يتقلص ويتداخل وينحى الى ان يصل مكانك ، وتفتر شفتاه عن ابتسامة ضعيفة من تلك الابتسامات الانجليزية الباهتة — ويجيبك الى ما تطلب. واذا كنت عيباً في الفهم تراه يستعيد ما يقول بكل تودة كأنه معلم يدرس في فصل ، واذا كان الوصف معقداً سار بك شوطاً الى حيث تريد

والشرطي الانجليزي يجيبك عن كل شيء ، لانه يعرف كل شيء ، واذا جهل شيئاً أخرج دليلاً من جيبه الخلفي ، وأجابك بثقة ومعرفة اكيدة ، وقد تسأل عن الفنادق وعن أجورها ، وقد تسأل عن مطعم وعن غلو أو رخص أثمانه ، وقد تسأل عن بيت أرى وعن قيمته وعن موعد زيارته ، وقد تسأله عن رأيه الخاص ، فيصارعك القول ويصدقك الاجابة . وقد تسأل عن أجنبي يسكن في المنطقة التي يدور حولها ، فيهرك لشدة ملاحظته ودقة انتباهه

وفي الليل ترى تلك القامة اكثر ارتفاعاً ، وذلك التاج أشد لمعاناً في الشوارع القفراء المعتمة ، ولكنك لا تلمح تلك الابتسامة الباهتة المعهودة !



...

والامنيوس الاحمرمارد آخر في شوارع لندن . الامنيوس ذو الطابقين ، الذي يسير كأنه عربة من عربات الترام الضخمة حتى انك اذا رأيته للمرة الاولى تعجبت كيف لا ينقلب من علوه . وكل سيارة تقف بجانبه تذكرك برحلات جلفر الى بلاد الافزام، وكل سيارة تتضاءل بجانب هذا المارد الاحمر.



وهذا اللون الاحمر الزاهى ، يكسب شوارع لندن القائمة شيئاً من البهجة ، لان الالوان الزاهية في لندن قليلة ؛ والكاتب الانجليزى مورتن يسأل نفسه هذا السؤال . كم تتغير لندن اذا وقفت عربات الامنيوس هذه في لندن ؟ كم تتغير لندن اذا تبدل لون هذه العربات الاحمر بأى لون آخر ! لا شك ان اللندنى الصميم يشعر بأن عاصمته قد فقدت شيئاً ، يشعر بأن شخصية بارزة من شخصيات لندن قد اختفت وسائق هذه العربات الحراء ، وملاحظها كل منهما له شخصيته المستقلة . وفي ساعات العمل التى لا تزدهم فيها هذه العربات تقرب هاتان الشخصيتان اللتان

كتب على صاحبيهما الطواف في شوارع لندن الى غير نهاية، ويتحدثان من وراء الحاجز الزجاجي الذي يفصل السائق من الراكبين . وفي ساعة الحركة يقف صاحب هذه الشخصية الثانية يرقب الراكبين المتدافعين ، يقف ولا يتكلم كأنه الشرطي الانجليزي المحتفي خلف أركان الشارع ، حتى اذا تكامل العدد رفع يده ، ونظر الى الفتاة الرشيقة التي تريد الاسراع الى منزلها بعد عمل يوم كامل ، ولم يتسم كأنه لا يشعر بانها تريد الاسراع ، ولا يفتح شفثيه الا ليقول آسف يا آنستي وترجع الأنسة الى طوار الشارع ، وهي تبسم ابتسامة طفيفة، ويدق الجرس ، ويتحرك المارد الأحمر .

...



وماسح الأحذية شخصية أخرى ، ولكنها شخصية نادرة الوجود . لأن قليلا من هؤلاء لانجليز من يفكر في طلاء حذاءه خارج منزله ، وقليل من هؤلاء الانجليز من يدفع بجذائه الى الخادم أو الخادمة لتنظيفه ، لأنه ينظفه بيده .

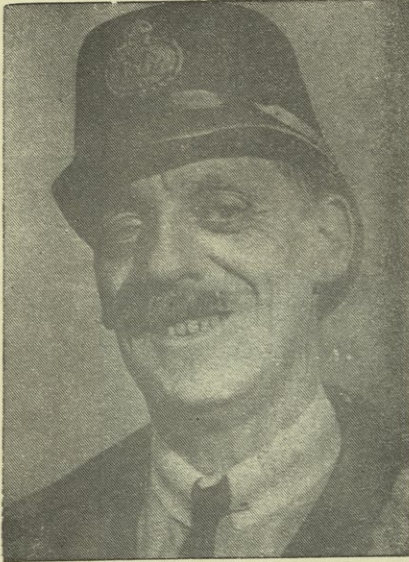
والأجانب الزائرون يبحثون عن ماسح الأحذية هذا ، يبحثون عنه بجد ولا يجدونه إلا في

أما كن خاصة معينة ، تكاد تكون معدومة في لندن ذات الملايين .

ومن النادر أن تجد ذلك الانجليزي الذي يقف في الشارع ، على باب محطة بيكر  
استريت أوفى أركان اكسفورد سيركس ، لماسح الأحذية المرح . وفي الدقائق المهدودة  
التي يقوم فيها بمهمته ، لاتعدم منه الملاحظة الطريفة ، أو نكتة انكليزية مقبولة .  
فاذا انتهى من عمله الآلى الذي لا يكاد يستغرق تبديل رجلك ، ودفعت له البنس  
رفضه بباء وشمم ، فهو لايقبل إلا أربعة كاملة !

...

وفي الساعة التاسعة من صباح كل  
يوم ، تعتاد على سماع النقرات السريعة  
المتتالية .



هذا هو ساعي البريد ! شخصية أخرى  
رسمية ، بملابسه الزرقاء ذات الخطوط الحمراء  
الداكنة ، والقنسوة المنبطحه ، التي ليس  
فيها عظمة رجل البوليس .

وساعي البريد هذا صديق الجميع ، يعرفه  
الأطفال ، وتحييه الفتيات إذا ما مررن به  
في الطريق ، أثناء احدي دوراته اليومية .  
وهو يعرف كل غريب سكن المنطقة

التي يرئادها ، ويحفظ الأسماء الصينية واليابانية والهندية ، أسماء الطلاب الذين  
يسكنون رسل اسكوير أو كامدن تاون . ويحل طلاس هذه الأسماء المكتوبة بخطوط  
أقرب الى كتابة هذه اللغات الشرفية النائبة .

ومكاتب البريد الفرعية في لندن ، في كثير من الأحيان ، جزء من مخازن الأدوية

أو المخازن ، فتسجل فيها خطاباتك وتشتري ما يلزمك من فطائر وكيك في وقت واحد.  
ولاتكاد تجد في هذه المكاتب رجلا ، لأن العمل في مكاتب البريد قد صار من  
اختصاص النساء في لندن .

\*\*\*

وتمر في طريقك على مصور الشارع ، الذي قد جعل من أرض الشارع ومن بلاطه  
لوحات لفنه . تمر عليه وهو ينحن فوق ما يرسمه ، بالفحم أو الباستيل وإذا انتهى من  
عمله هذا كل صباح ، وأعاد ما قد محاه في الليلة السابقة جلس في نهاية هذه  
المروضات ، وخلف قبعته في الطرف الآخر حتى لا يمل السائرين ، الذين يتطلعون  
إلى فنه ، يملهم بالسؤال .

وتراه صامتا لا يتكلم يراقب بعينه الدائرتين السائرين ، ويعرف بالمران أولئك  
الذين يقفون دقيقة أو بضع دقائق يرقبون مثل هذه المروضات ، ويعرف أولئك الذين



يقرنون هذا النظر وهذا الوقوف بينس أو اثنين يجودون به عليه . فيبتسم ابتسامة رجل من رجال الأعمال ؛ ويحني رأسه ، وتسمع كلة الشكر تخرج ضعيفة هادئة من فمه .

ولا يجلس مصور الشارع عادة منفرداً بل كثيراً ما يصحبه كلبه . وكلبه هذا في كثير من الأحيان تحفة فنية أخرى ؛ أكثر زهواً من لوحاته المرسومة . ويقبع هذا الكلب بصبر يرقب السائرين مع سيده ، ويهز ذيله للسيدة العجوز ، التي لا تختمل أعصابها أن تمر على مثل هذا الكلب الأنيق دون أن تداعبه أو تسرح شعره بأصابعها ، ولأجله تتحف سيده بأكثر من بنس واحد .

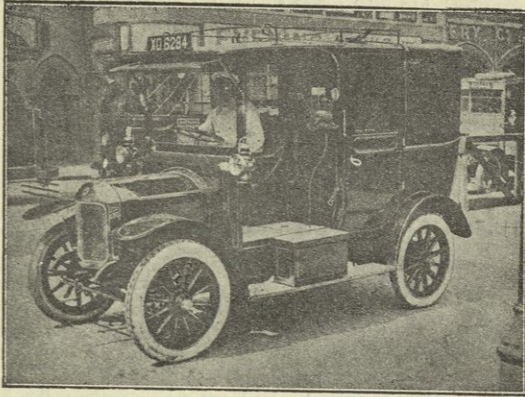
. . .

وسائق التاكس من الشخصيات الممتازة في لندن .  
وعربة التاكس هي ذاتها شخصية أخرى ممتازة . وهاتان الشخصيتان تناسب الواحدة منهما الأخرى أشد المناسبة .

عربات التاكس هذه التي تدرج في شوارع لندن ، لاشك أنها قبيحة ، ليس فيها جمال ولا طلاوة . عربة ضخمة سوداء ، كأنها الصندوق ؛ إذا جلست في داخلها لاتكاد تطل من نافذتها الا اذا انحنيت وثبتت ركبتيك .

والسائق كأنه في عالم آخر . هو كعربته ، ضخم متكور ، ملتف في معطفه الأسود ، قد الصقت على صدره قطعة كبيرة من المعدن دونت عليها نمرته

مفتول الشوارب في كثير من الأحيان ، لا يزال يحتفظ بتقاليد الماضي ، ولعله خليفة سائق العربات في العصر الفكتوري المنقرض . متأدب جل التأدب ، يدور بعينه مع السائرين على الطوار بجانبه - لا سيما في أيام المطر - ولكن عيناه لاتبصان بقحة ولا استعطاف . بل هو يرى أنه يؤدى واجباً لهؤلاء السائرين ، يقوم به اذا طلب منه أداؤه .



وفي ساعات الراحة  
حيث لا تتطلب السرعة ،  
يجلس على مقعده المرتفع ،  
ويضع نظارته على أنفه ،  
يقرأ صحف الصباح في  
الضحى ، وصحف المساء في  
المساء . وإذا جاءت الساعة  
الخامسة تناول قهوه من

الشاي وقطعة الكيك في الحجرة الخشبية الخاصة بسائق هذه العربات .  
وفي أيام المطر تراه يسير بعربته متمهلاً بجذء طوار الشارع لينجد من أضجره  
المطر أو من فقد ترامه الأخير ، وكلما تقدم الليل كلما قويت عناصر هذه الشخصية  
المزدوجة ، حتى اذا كان الهزيع الثاني صار بطلاً يؤبه له في عالم الطرقات المقفرة ...

•••

وقليل من عرف شخصية موزع اللبن في لندن حق المعرفة ، لأنه في دورتيه  
اليوميتين ، لا يزور زبائنه الا في وقت لا يجد فيه رجلاً عاملاً في البيت .  
في الساعة الخامسة أو السادسة ولندن جميعها نائمة ؛ يدور صاحب هذه الشخصية  
بعربته البيضاء الأنيقة يوزع زجاجات اللبن في أركان الأبواب الخلفية التي تقود الى  
« البدرن » حيث المطبخ عادة .

وفي الساعة العاشرة أو التي تليها ، تسمع نداءه على كل باب ، نداءه الذي يشبه  
حداء الرعاة « كووو . . » لقد جاء ليجمع الزجاجات الفارغة .

وهو لا يرضن بملاحظة أو فكاهة على صديقه الخادمة الرشيقة - لأنله في كل  
دار صديقة من هؤلاء ، وهذا بلا شك من مميزات شخصيته - ولا يرضن على سيدة

البيت العجوز باحدى الملاحظات الانجليزية المعروفة، التي يكررها من باب الى باب ،  
ومن يوم الى يوم دون ان يشعر بلها قد صارت تافهة

— صباح الخير يا سيدتي

— صباح الخير ..

— صباح بديع أليس كذلك

— نعم

تقول هذا وهي تسرع الخطى، لأن المطر أخذ يتساقط بشدة أكثر من ذي قبل..!



## عيد الميلاد

التمهيد لعید الميلاد في لندن اكبر بهجة من العيد نفسه . فمذ الأسابيع الطويلة الى الخامس والعشرين من ديسمبر، يستعد أهل لندن وتستعد لندن لعید الميلاد ، واكسفورد استريت يزدحم بكل قدم ، فلا يعوق أهل لندن المطر ولا الضباب ولا الثلج عن الخروج ، في أكسفورد استريت وفي غير أكسفورد استريت لشراء ما تقضى به تقاليد عيد الميلاد

وتقاليد عيد الميلاد ثقيلة . يحافظ عليها الإنجليز أشد المحافظة ولا تفرط فيها السيدة الإنجليزية، ولا يهزأ بها الطفل الإنجليزي الحديث . واذ ما جاء عيد الميلاد جاء بتقاليد كما جاء بخرافاته وآماله التي تتجدد كل عام

ما أبهج عيد الميلاد في أيام الثلج وقد غطى كل شيء وأحال أبنية لندن السوداء بيضاء زاهية ؟ وهذا أمل من آمال عيد الميلاد لا يتحقق كثيراً ، ولماذا كان هذا الامل أو كانت هذه الخرافة، وبيت المقدس وهو مركز هذه التقاليد ومحورها لا يعرف الثلج ولا البرد ؟ وخرافات الارواح تروج في عيد الميلاد ويحلو للاطفال أن يسمعوا قصص الجان والمردة حول مدفأة عيد الميلاد، كما يحلو للرجل ان يقرأ هذه القصص في مجلات عيد الميلاد .

يحلو لهؤلاء الكبار أن يقرأوا قصص الأرواح وحكايات البيوت المسكونة ، ففي ليالى عيد الميلاد يخرج أولئك الذين سجنوا في قصور القرون الوسطى أو قتلوا في



سراديبها يجرون سلاسلهم وقيودهم أو يحملون رءوسهم المقطوعة تحت أذرعهم  
يجوسون خلال هذه القصور ، ويحيون ساكنيها الجدد !  
وكأن للكبار خرافاتهم ، كذلك الصغار لهم جانب من هذه الخرافات التقليدية

...

سنت كلوز ! هذا بطل عيد الميلاد الخيالي . هذا هو صديق الأطفال ، وحبيبيهم  
المنتظر في عيد الميلاد . شخصية خيالية ولكنها شخصية محبوبة .  
شيخ مرح ، له لحية متدلّية ، بيضاء كالثلج ، كثلج عيد الميلاد ، يرتدي جلبابا  
وطرطورا أحمر ، اللون الزاهي الذي يجبه الأطفال . يزور هذا العم كلوز الأطفال في كل  
عام ، في ليلة عيد الميلاد ، ولا يجد طريقه الى أطفاله الأعمام ، الا عن مدخنة البيت ،  
يهبط منها ، دون أن يدق الأبواب أو يقرع النوافذ .

...

وهذا الشيخ المرح ، لا يهبط من المدخنة الا محملا بكيس قد أحنى ظهره ، ملاء  
بكل ما أمّله الطفل قبل أن ينام ، لان هذا العم السحري لا يزور أصدقاءه إلا وهم  
ينام ، فيضع تحت وساداتهم الجوارب التي ملاءها بهذه الهدايا ، أو يحفظها لهم في  
أحذيتهم خلف الابواب ، حتى اذا استيقظ الطفل مبكرا عرف أن العم كلوز قد زاره  
وهو نائم .

...

ان الحياة أضيق من أن تتسع لآمال الانسان وأحلامه ، رجلا كان أم طفلا ، فلم يكن  
له بد من أن يتصور عالما سحريا ، أكثر جاذبية من هذا العالم ، يجد فيه ما تتطلع  
اليه نفسه التواقفة ، نفسه التي ترضى بما هو كائن . أليست خرافات عيد الميلاد  
وغيرها بنيت على هذا الأساس ؟

...

شارع الريجنت مزدحم فوق العادة ، وشارع أكسفورد لا تكاد تجد فيه موصفا  
لقدم ، آلاف السيدات ، قد خرجن من بيوتهن يبحثن عن مستلزمات عيد الميلاد ،  
عن هدايا عيد الميلاد .

...

كل نافذة نمرأمامها لها جاذبيتها ، وحول كل واحدة من هذه تجد جموع السيدات  
يبحثن عن الجديد الغريب ، يبحثن عن الابتكرات الطريفة في الزى أو في اللعب أو  
في الهدايا ، وكل سيدة من هؤلاء تجدها مغملة بما اشترته ، وقد تجدها تجر انسانا  
متعبا مرهقا قد حمل من صناديق الورق وحزماته الشيء الكثير حتى انك لا تكاد ترى  
وجهه ، مسكين هذا الرجل الذى يسير زغما عن ارادته من نافذة الى نافذة ، ومن  
مخزن الى مخزن ، مسكين هذا الرجل انه زوجها !  
تريد المرأة أن تنقل كل شيء الى بيتها ، ما أشبهها بالتمل الذى يدخر ويدخر ويجمع ،  
ولا يسأم من الجمع ، كأن الطوفان سيفيض فى الغد ، كذلك هؤلاء السيدات اللاتي  
يخرجن قبيل عيد الميلاد ، يبحثن عن كل شيء ، ويدفعن آخر بنس يحملنه .

...

لعيد الميلاد تقاليده فى الأكل ، وتقاليده فى الهدايا ، ثم تقاليده الاجتماعية .  
البندق ، واللوز والجوز ، من التقاليد المحترمة فى عيد الميلاد ، وما أشبهها بتقاليدنا  
الشرقية . ولكن أهم من هذا وذلك تناول اللحوم البيضاء ، لحوم الديكة على مائدة  
غداء عيد الميلاد . شيء مقدس ، أكثر تقديسا من الكعك فى عيد الفطر  
فى مصر

...

وليس للانجليزى أن يشتري ديكا بأ كمله فى عيد الميلاد، لانه يكتفى برطل واحد أو رطلين بحسب حاجته ، وحاجته محدودة حتى انها لتعد بخلا وتقتيرا . ولكن الحقيقة أن هذه الملايين من الديكة التى تربي وتعد لعيد الميلاد ، لا تكفى الملايين من الآكلين ، لهذا كانت فاحشة الثمن لا يقدر على اقتنائها كاملة الا القليل .

...

وكانت العائلة التى أسكن بينها ردحا من الزمن فى لندن ، خليطا من الانجليز والاييرلنديين ، وكانوا كثيرا وكانوا كراما . لذلك لا بدع أن يتناعوا ديكا بأ كمله ، وأن يرسل اليهم آخر من وراء البحار، من ايرلندا. ولكن السيدة - وهى العنصر الانجليزى الصميم - لم ترض بهذا الخير المضاعف ، وعدته تبديرا لا مبرر له . لاسيما وأن عدد أهل الدار - ويدخل فى ذلك الضيوف الساكنون - ليس كبيرا ، خمسة عشر على الاكثر !

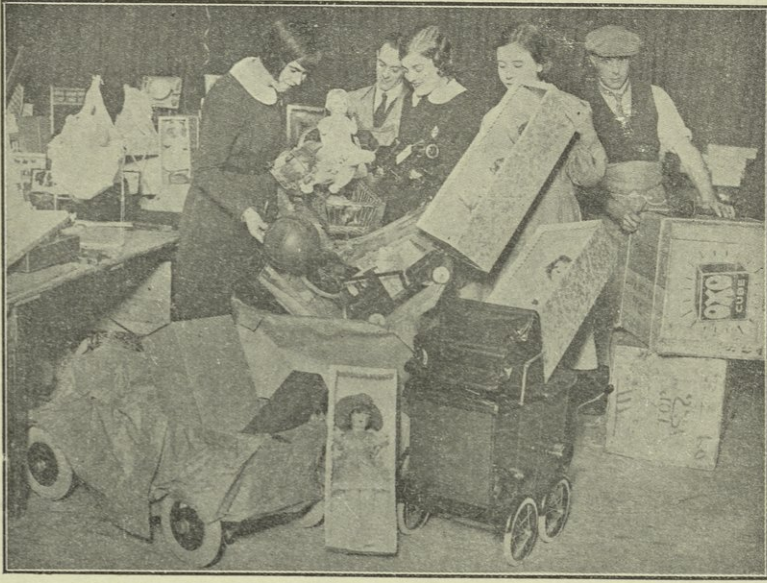
...

فقلت فى نفسى ان السيدة لا شك مخطئة ، فهذان الديكان سوف لا يكفيان كل هذا العدد الجم من الآكلين . ولكن تقديرى هو الذى أخطأ فقد تناولنا جميعا من الديك الأول غداء عيد الميلاد ، وتناولنا منه العشاء ، ثم اليوم الثانى والثالث . . كل شىء يوزن بالذائق والدرهم عند هؤلاء الانجليز ، حتى ليصبح الديك خروفا والواحد اثنين !

...

وكما تخرج السيدة لتشتري لحوم الديكة ، وتشتري البندق واللوز ، فهى كذلك

تخرج لشترى هدايا عيد الميلاد . هدايا لزوجها ، ولأبنائها ، كما يخرج الزوج ليشترى هدايا عيد الميلاد لزوجته ولأطفاله ، كما يخرج هؤلاء الأطفال أنفسهم ليشترى هدايا عيد الميلاد لوالديهم وأصحابهم .



هدايا عيد الميلاد

شبكة مزدوجة من الهدايا ، بين الآباء والأزواج ومن في حكم الأزواج ، وبين الأبناء والأصدقاء وكلها في النهاية تقع على عاتق الآباء ! وكل واحد من هؤلاء يفتن في أن يبهر عين من يرسل اليه بهداياه ، وعلى مائدة غداء عيد الميلاد تظهر هذه الهدايا الخبيثة . وهدايا الأطفال ، من الأعيب ومن دمي ومن كتب ، خير ما يهبج في عيد الميلاد . ملايين من هذه وتلك تباع كل عام في لندن ، يحملها لهم رسولهم السحري ، العم كلوز وملايين من بطاقات الميلاد تمر في أسبوع عيد الميلاد على دار البريد العام في لندن ، ترسل من لندن الى لندن ، ومن لندن الى برمنجهام وليفربول وأدنبره

وأبردين . . . ، ومن لندن الى الأبناء والأزواج في استراليا وكندا ؛ ومن وراء البحار  
ومن هؤلاء الأزواج والأبناء ، ترسل الى لندن هدايا عيد الميلاد، وبطاقاته ، يذكرون  
أهمهم ، وهم في مهجرهم .

ومئات من المصورين يشتغلون ويفتنون في رسوم هذه البطاقات، التي تجدها  
أكواما أكواما عند ولورث وفي مخزن الورق والكتب ، حتى لا تكاد تجد بطاقة  
تشبه أخرى ، وتقرأ فيها أشعار التهاني القديمة العتيقة ، وتشاهد الثلوج في رسومها  
قد غطت كل شيء ، وأحالته أبيض ناصعا .

والكتب هدايا ممتازة في عيد الميلاد . وسوف تقطع مرحلة طويلة قبل أن تصبح  
الكتب في مصر ، هدايا تتبادل في الأعياد . تطبع هذه الكتب التي تتخير لهدايا عيد  
الميلاد طبعاً أنيقاً ، بالجلد المزخرف والورق المصقول الجميل ، مؤلفات شكسبير وأشعار  
تسنون ووردسورت وبيرون وشلي ، وفوق ذلك رباعيات عمر الخيام ، هدية ممتازة  
في عيد الميلاد ، تطبع في كل عام على نسق جديد ، وبفكرة طريفة .

أما كتب الأطفال فشيء لا يحويه عد ، من الكتب ذات البنس الواحد ، إلى  
تلك التي تبلغ عشرات الشلنات . الكتب الجميلة ذات الألوان الزاهية الطريفة .

...

وهكذا تستعد لندن بالديكة والبندق والجوز ، وبالحلوى والفاكهة ، وبالهدايا وبالعب  
وبالكتب وبالوسيقى ، تستعد لعيد الميلاد .

ولكن التمهيد لعيد الميلاد ، أكثر روعة في لندن من العيد نفسه . جاء مساء  
اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر، وفتحت أبواب تلك الحجره التي لا تكاد تستعمل  
في البيوت الانجليزية، والتي ليس لها وجود في كثير منها، هذه هي حجره الجلوس .  
ويجتمع في هذه الحجره أهل البيت جميعاً ، ويجتمع معهم الأصدقاء وأصدقاؤهم ،  
ويجتمع ضيوف البيت الغرباء ، الذين وإن كانوا يسكنون تحت سقف واحد ، إلا أنه

قد يمر العام دون أن يكلم الواحد منهم الآخر . . . إلا في مثل هذه الليلة .  
ويفتح غطاء العزف الذي لا يفتح إلا نادراً ، وتدار أقراص الجرمافون العتيقة .  
لاستعادة الأغاني القديمة المحبوبة ، ولا يتمتع الأب عن احتساء قدح من البيرة الحمراء  
يقدمه له ابنه ، ثم لا تمتنع الأم كذلك ، وتستشير الموسيقى الفتيان والفتيات إلى الرقص  
ثم تستشير العجائز ، يستعدن عهد الفاز والتانجو . . . !  
حتى اذا انتصف الليل ، أخذ الضيوف العجائز في الانسحاب والآباء والأمهات في  
التراجع ، وبدأ راقصو « الفوكس تروت » الذي يلهب العاطفة ، يحيون ليلة عيد الميلاد  
تحت فروع « الملتو » الخضراء ، التي تباح تحتها القبلات . . .

...

وفي يوم عيد الميلاد ، تجتمع العائلة جميعها ، حول مائدة الغداء ، التي يتوسطها  
الديك العتيد ، الذي تراه كما هو اذا ما انتهى الغداء ، كأن الأيدي لا تقدر على مسه  
بسوء ! ثم يتناولون بودنج عيد الميلاد ، شيء أثقل من الكعك ، لا بد من الاسبرين  
والمنازيا ، للقضاء على فعله . . .

...

و يمر أسبوع على تلك الليلة ، وتستعيد الأعصاب المنهكة حيويتها بعد السهر والرقص  
والأكل ، وتستعد لندن وأهل لندن لآحياء ليلة السنة الجديدة .  
وتترك البيوت هذه المرة ، وتتوجه شطر بيكادلي لنحي هذه الليلة مع أولئك الذين  
قد هجروا بيوتهم إلى أندية بيكادلي ، مع أولئك الغرباء الذين لا يجدون في الفنادق  
والبنسيونات متعة أو سلوى في مثل هذه الليلة .  
ويسير معى القارئ في بعض منعطفات بيكادلي ، الى حيث الجيد كلوب ، أحد  
اتحادات المثلين ، وهناك نسأل عن سيدة روسية نعرفها ، هي احدى ممثلات السينما  
في استري ، استديو انجلترا .



وحول كل نافذة من هذه تجد جموع السيدات يبحثن عن الغريب والجديد .

تطل برأسك على القاعة الكبرى ، تجد المئات من الفتيات والشبان ، من كل جنس  
ومن كل لون ، تجد الفرنسي والصينية ، والأمريكي والروسية ؛ والايطالى والبولونية ،  
وتجد اليونانية والهندية والاسبانية، بل وتجد من عاشت في مصر زمنا ، ومن تحدثك  
بالعربية المبتورة . . ! سبحان من جمع هؤلاء جميعا في هذا المكان ، جمعهم الفن !  
وبين هذا الجمع اللاخط ، وفي الجو الملبد بدخان السجائر ، والمشبع برائحة التبغ  
والبيرة وعطور السيدات ، تقضى الليل حتى منتصفه .  
حتى اذا قارب الليل الاتصاف ، صمتت الحركة ، ووقف الجميع في صفوف ودوائر  
يشدون أغنية الوداع للعام الرائج . .  
ثم ينصتون من جديد الى دقائق الساعة ، هاهي تدق الثانية عشرة ، وهاهم  
يصيحون ويهتفون ، يحيون العام الجديد . . . مات الملك يحيى الملك . . ؟  
ما أشد نكران الانسان ، وأنساه بالامس . .



## فلسفة الطعام

في محيط لندن الهائل ، قد لاكتشف الوجوه الأجنبية بسهولة ، الوجوه الفرنسية أو الايطالية أو المنغارية . ولكنك اذا سرت في اشيرنج كروس وانعطفت الى سوهو ، حي المطاعم الأجنبية تكتشف أن الوجوه الانجليزية الأصلية قليلة نادرة .

وإذا تخيرت احد هذه المطاعم العادية المغلقة الأبواب في حي سوهو ، وجدت جوا غريباً لا تكاد تعهده في لندن ، وتجد وجوها لم تجمعهم في لندن إلا مائدة الطعام ، وتسمع الانجليزية مبتورة مقلوبة ، اختلطت باللهجات الايطالية والاسبانية

...

لا يزال الأجنبي في لندن غريباً ، حتى يكتشف بعض هذه المطاعم ؛ ولا تزال الحياة في لندن ثقيلة جافة ، حتى يكتشف الشرق في لندن بعض هذه المطاعم الايطالية أو الهندية أو اليونانية المتمصرة .

ورابطة الطعام ، قوية وثيقة لاسيما في بلد غريب كلندن ، لهذا تجد رواد هذه المطاعم المنزوية في أركان سوهو ، قد جمعهم صداقة والفة مكينة . وتجد الشرق الذي يفد الى لندن ، يبحث عن هذه المطاعم باهتمام ، وكثيراً ما يحمل عناوين هذه المطاعم معه قبل أن يهبط لنندن . كأن لندن بما فيها من مئات المشارب والمطاعم الصغيرة والكبيرة ، عاجزة عن تقديم ما يستسيغه هذا الأجنبي النازح .

ولم أكد أستقر في لندن، حتى اكتشفت احد هذه المطاعم ، اكتشفته بعد ثلاثة أيام ، ولم أقض في لندن أسبوعاً حتى اكتشفت مطعماً ثانياً وثالثاً ، لا تخرج جميعها عن حى سوهو .

وأخذت أرتاد هذه المطاعم شهراً أو بعض شهر ، حتى ثارت نفسى على نفسى ، حتى مججت الطعام وزهدت نفسى في هذه المآكل الشرقية أو الشبيهة بالشرقية التى كانت تقدم لنا في هذه المطاعم .

بدأت أشعر كأننى كنت آتى أمراً إذا ، لقد كنت أترك الكسفورد استريت والاستراند لكى أنعطف في أزقة سوهو ، لقد كنت أترك الضياء والهواء ، لكى أتحرج في هذه المطاعم الأراضية التى تضاء نهارة بالكهرباء !

تدفع الباب فيرن جرس مثبت فيه ، كأنك تدخل حجراً من أبحار الخدرات ، ويستقبلك اليونانى أو الايطالى الذى عاش ربحاً من الزمن في مصر ، ويحييك بكلمات عربية مسموخة ، لكى يجعلك تشعر بأنك بين أهل واخوان . واذا كنت من مرتادى مطعمه ، حياك بلهفة وهز يدك وكتفيك ، وتبادل معك نكتة محفوظة ثقيلة .

تجلس فيهرع اليك بقائمة الطعام ، ولا يتركك تقرأ ألوانها المكدودة ، بل تراه ينحنى على أذنك ويسر لك شيئاً فتهز رأسك قبولاً ، فيأتى لك بهذا الطبق الخاص ، الذى يأبى أن يكون علنا

ماذا ؟ فول مدمس ! شىء جميل في لندن ، هذا هو التحفة التى أراد أن يترك بها هذا اليونانى المتمصر ، تبدأ بأكله فلا تعرف له طعاماً .

تظهر الامتعاض ، فيهرول اليك صاحب المطعم بابتسامته المصطنعة ، ويحاول أن يشرح لك مزايا هذا الفول ، فلا تقبل شرحاً . وتبدأ تقرأ القائمة من جديد ، وتراه ينحنى على أذنك ويسر لك شيئاً ، فتهز رأسك قبولاً... ثم تراه يرجع محملاً بطبق به باذنجانة طويلة متمددة .

وتبدأ في الأكل ، وهو واقف على رأسك يقص عليك قصة هذه البازنجانة  
وكيف اكتشفها صدفة في لندن . . .

...

والمطاعم الايطالية والمغربية ، أكثر احتراماً من هذه المطاعم التي لاتعرف هل  
هي شرقية أم غربية ، وبين هذه المطاعم الايطالية ماهو فاخر حقاً ، لا يدل مظهره  
الخارجي البسيط على اناقته الداخلية .

والانجليزى الذى يزور مطاعم حى سوهو حيناً بعد حين ، يدفع ثمناً عالياً لهذه  
الزيارة ، هو لايعرف ماذا يطلب من القائمة التي تقدم له بالفرنسية أو الايطالية التي  
يجعلها ، وهو يعتمد على شرح الخادم الايطالى ، الذى تكتشف من حركات وجهه  
ومن ابتسامته الخفية أنه لايقول الحقيقة كلها . . .

...

وتزور في لندن المطاعم الصينية والهندية ، التي لاتبعد كثيراً عن حى سوهو هذا.  
وكنت أرتاد مرة كل شهر أو شهرين مطعماً هندياً من هذه في اشيرنج كروس ، لم  
يستمر طويلاً حتى أغلق أبوابه .

تدخل هذا المطعم - وكانوا يدعونه التاج محل ، والتاج محل اسم لمقبرة !- فيقابلك  
شاب هندي أهيئ مرتفع القامة بشعر أسود كالفحم ، ويخني لك رأسه محيياً ، ويقودك  
الى مقعد منعزل في قاعة يعبق فيها دخان العود ، وقد جللت بستائر زرقاء مزركشة  
لا تجعل ضوء النهار ينفذ اليها بسهولة . فتشعر بأنك في جو شرقي خيالى !

ثم يتقدم اليك هندي آخر بقائمة الطعام ، تدور عيناه في رأسه كأنه أحد الحواة  
وتقرأ قائمة الأرز ، واللحوم الغارقة في التوابل ، والفطير المصنوع على نار الفحم ،  
والحلوى الهندية ، ثم الشاي المعطر . . .

...

تنتقل بين هذه المطاعم الشرقية ، حتى انك لاتكاد تشعر بأن في لندن مطاعم . ولكن في لندن مطاعم على كل لون ، مشارب الشاي في كل ركن ، تناول فيها كل شيء مما يستسيغه الانجليزى ، اللحم البقرى البارد المقدد ، البطاطس المسلوقة أو المقلي ، السبانخ والبازلاء المسلوقة . البيض ، ثم السمك . ألوان محدودة معينة ، والانجليزى قانع بهذه الأصناف المحدودة المعدودة . يتناولها يوما بعد يوم ، ولا يفكر في استبدالها ، أو التجديد فيها .

...

وفي الليل تمر على مطاعم السمك والبطاطس المقلي ، مطاعم شعبية ، تشاهد حولها الأطفال والكبار ، وترى السيدة السمينة وراء منضدة البيع وأمامها أنواع السمك ، كل نوع عليه ثمنه ، وأكوام البطاطس المقلي ، وترى الطفل الذى يخرج من دار السينما يهرع الى احدى هذه المطاعم ، ويقدم البنس الى السيدة السمينة التى تقف وراء منضدة البيع ، فتضع له كومة من البطاطس فى ورقة تلفها بسرعة آليّة وترى هؤلاء الأطفال ، وترى الفتيان والفتيات العاملات حلقات حلقات حول هذه المطاعم وعلى أبواب دور السينما المحلية ، يحملون هذه الأوراق الملفوفة .  
يأكلون ، ويتحدثون .

...

واذا تقدم الليل ، لم تبقى الأنوار بعض هذه المطاعم الليلية الصغيرة . والكثير من هذه المطاعم أو المشارب يديرها اليهود ، وترتادها طبقة خاصة ، و تراها بكثرة حول الوست اند فى شارع أدجوير ، وتتنهم كورت ، وأشرنج كروس .  
وجميع هذه المشارب متشابهة ضيقة ، ليس فى تنسيقها جمال ، على أبوابها « يافطة » كبيرة بها أنواع الطعام وأثمانه . وما يقدم عادة فى هذه المشارب متشابه أيضا ؛ الشاي

والقهوة والساندوتش والبيض والسمك ولحم الخنزير والفاكهة والكيك .  
وعندما تدخل الحجر الضيقة ذات المقاعد الخشبية ، تشعر بأن جواً غريباً يسود  
المكان ، وتتوجه اليك الأنظار الى أن تجلس ، وتنتهي من طلب قهقه الشاي والقهوة  
وقطعة الساندوتش، عندئذ فقط تشعر بأن الأنظار قد تحولت عنك ، وان المكان بدأ  
يكون مريحاً دقيماً ، لا سيما اذا كانت الليلة باردة ممطرة .

والمقاعد في بعض هذه المطاعم ليس فيها شيء من الذوق ، على الأقل في نظري .  
مقاعد من الخشب الجاف ذات مساند عالية ، أشبه بدواوين قطارات الدرجة الثالثة ،  
حتى اذا ما جلست لا تعرف ما يجري بجوارك .

...

وبعض العمال لا يلذ لهم الطعام المتأخر إلا على قارعة الطريق وهم وقوف . وهذه  
المطاعم الليلية المتنقلة في لندن لا تفتح أبوابها إلا بعد الساعة التاسعة أو العاشرة ، في  
أما كن معروفة معينة تمر السنون دون أن يغيرها صاحبها ، وهذه المطاعم غرف  
صغيرة من الخشب تجرها الخيل . وفي الساعة المتأخرة في لندن تسمى هذه المطاعم  
المتنقلة كل ما يدل على الحياة في شوارع لندن ، لا سيما في الليالي الباردة .

ورواد كل مطعم من هذه المطاعم المتنقلة يعرف بعضهم بعضاً تراهم يقفون حول  
العربة ، وأمامهم أقدم الشاي الضخمة ، وقطع الساندوتش والكيك ، والغلايين  
في أفواههم تدفء المكان بدخانها . وتسمع النكات تتبادل بين صاحب المطعم بملابسه  
البيضاء ، وبين زبائنه لا سيما الذين يترددون عليه كل مساء .

....

وبينا هؤلاء العمال يتناولون عشاءهم المتأخر على قارعة الطريق ، وهم وقوف حول  
هذه المطاعم المتنقلة ، اذا بمئات من أهل لندن يتناولون طعامهم في قاعات الرخام والمرمر  
الزاهية ، التي تدوى فيها نغمات الموسيقى .

ليس لك أن تذهب الى الرترز أو التريكاديرو أو فراسكاتى وتدفع جنيها أو بعض جنيه ثمناً للعشاء ، بل إن مطاعم الكورنر هاوس قد جعلت هذا الأمر يسيراً محققاً . هذه المطاعم الشعبية الفاخرة ، أخذت تنتشر فى لندن عاماً بعد عام ، المطاعم التى لا يقفل أكثرها أبداً ليلاً ولا نهاراً . وعندما فتحت مطعم الكورنر هاوس الجديد فى شارع توتنهام كورت ، كتبوا على بابه « يفتح يوم كندا الى مالانهاية » ! وهكذا تمر على هذا المطعم الفاخر ذى الطبقات الأربعة ، فى أية ساعة فى الليل أو النهار ، فتجد الجمع الحافل المرح الذى يتناول العشاء الساخن الشهى فى الساعة الثانية صباحاً كأنه فى مثل هذه الساعة ظهراً !



قاعة فى احدى مطاعم الكورنر هاوس

ومطاعم الكورز هاوس هذه تديرها في لندن شركة ليونس صاحبة مشارب الشاي ، وهي كهذه المشارب رخيصة معقولة ؛ لهذا كان العامل الانجليزي الذي يقف حول تلك المطاعم المتنقلة في مقدوره أن يجلس في احدى قاعات الكورزهاوس ذات الأعمدة الرخامية أو المرمرية ، وينصت الى فرق الموسيقى التي لا تنقطع أنغامها ويمتع العين بالجموع الحافلة ، من الشباب بملابسه التي فكر أصحابها في ألوانها وأزيائها قبل ارتدائها ، تحت أنوار هذه القاعات المتألقة ، ولا يدفع الا شلنا أو شلنين منا لعشائه !

•••

وكما يتقدم الليل في هذه المطاعم ، كلما تتغير وجوه المتردين عليها وتبديل ، فاذا كانت الساعة الثامنة تجد هذه القاعات تطفح بالوجوه البريئة الباسمة ، وتجد وجوه الأطفال حول الموائد مع آبائهم وأمهاتهم . ولكن لا يكاد الليل ينتصف حتى يختفي أصحاب تلك الوجوه ، لقد ذهبوا وخلفوا لندن ومجامع لندن لهذه الطيور الليلية التي لا يحلو لها أن تستمتع بلندن الا في غفلة من أصحابها .

## وراء جدران الجامعة

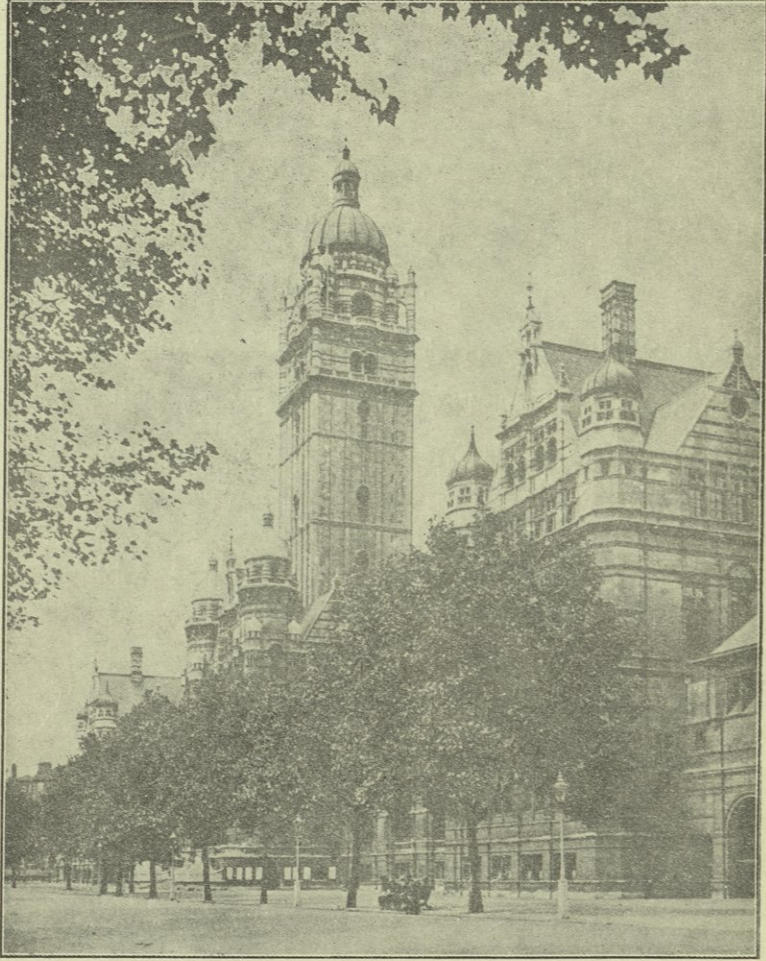
في إنجلترا ستة وثلاثون ألف طالب وطالبة في الجامعات ، في اثنتي عشرة جامعة .  
ومن بين هؤلاء أحد عشر ألف طالب وطالبة في جامعة لندن وحدها ، أى أن جامعة  
لندن تخرج نحو ثلث الطلاب في جامعات إنجلترا جميعها .

ومع ذلك فليست جامعة لندن أقدم الجامعات ، وليست تباهى بتاريخها أو تقاليدها ،  
جامعة أكسفورد أو كمبريدج العتيدة . ولكن جامعة لندن بألفها ، جامعة لندن  
بطلابها الذين يفدون إليها من وراء البحار ، جامعة لندن بدرجاتها العلمية التي ليس في  
منحها هوادة ولا رفق ، تتناسب في عظمتها مع لندن .

في صخب الاستراند ، وفي حركة تننهام كورت رود ، تنزوى قليلا لتدخل أقدم  
وأكبر كليتين من كليات جامعة لندن . في هذا الصخب وهذه الحركة ، يشتغل  
عشرات الأساتذة وراء جدران هذه الكليات الحجرية السوداء ، ومئات المعلمين ،  
وآلاف الطلبة والطالبات .

ما أبعد الفرق بين ما يجري وراء جدران كلية الملك في الاستراند ، أو مدرسة  
العلوم الاقتصادية في كنجزواي ، أو معهد الدراسات الشرقية في مورجيت ، وبين  
ما يجري أمامها في الشوارع التي ارتفع الضجيج فيها حتى أصم الآذان ، وصار  
الوقت فيها يقاس بالدقائق ، ففي كل دقيقة ، تخرج آلاف الجنيهاً من جيب الى  
جيب !





جامعة لندن

وبينا تعمل جامعة لندن بكلياتها هذه ، في هذا الصخب وهذا الجلال ، اذا  
با كسفورد، اذا بكمبرج ، في راحة وهدوء ، في عالم كأنه سحري ، لا تجد فيها بناءً  
يشمخ على أبنية كلياتها ، كما تتضاءل كليات لندن مع فخامتها أمام الشركات والبنوك  
التي تحيط بها !

...

ومنذ نيف ومائة سنة فقط في عام ١٨٢٨ أنشئت هذه الجامعة ، التي صارت اليوم  
جامعة جامعة ، وامتدت فروعها في كل مكان، في سوث كنزجتن الهادئة بين المتاحف ،  
وفي الاستراند ، وفي الستى مركز البنوك ، وفي الريجنت بحدائقها ؛ اختلطت الجامعة  
بكل جو في لندن ، وفتحت لها لندن صدرها .

ولا تقوم جامعة لندن في سوث كنزجتن بالتدريس أو بالقاء المحاضرات الخاصة  
أو العامة ، إذ أنها تركت ذلك إلى كلياتها العديدة التي مازال عددها في اطراد . فهذا  
البناء الفاخر المخطط في سوث كنزجتن ، الذي قد علاه برج باسق كأنه مأذنة تونسية  
أو فنار ، ما بين متحف الحرب والمتحف الامبراطوري ، لم يعد هذا البناء الا حيث  
يجتمع مجلس ادارة هذه الجامعة العظيمة ، وحيث تعقد الامتحانات العامة في قاعاتها  
الرحبة الواسعة .

ومجلس ادارة جامعة لندن يتكون من أربعة وخمسين عضواً ، يعين الملك من بينهم  
أربعة ، وتنتخب البقية من هيئات التدريس في الجامعة وغيرهم . والامتحانات العامة  
التي تعقدها جامعة لندن ، في هذا البناء في سوث كنزجتن لا تباريها فيها أية  
جامعة في العالم . آلاف كل عام يدخلون هذه الامتحانات التي تتدرج وتتنوع حتى  
لا تدخل تحت حصر ، من شهادة القبول في الجامعة إلى الدكتوراه في العلوم والفلسفة  
والآداب ، ومن دبلومات الفنون الحربية الى الموسيقى الى الدين واللاهوت .

فاذا جاء شهر يونية صار هذا الطريق الذي يؤدي الى جامعة لندن والى متاحف

الفنون الطرزية والحرب وغيرها ، مزدحما كل يوم بفوج جديد من الطلاب ، هؤلاء يمثلثاتهم ومساطرهم فتعرف أن في هذا اليوم ستحفل قاعات الجامعة بطلبة الهندسة ، ثم تغيب يوماً فتجد أن هذا الشارع قد حفل من جديد بدوى الياقات البيضاء المعقودة فتعرف أن هذا يوم طلبة اللاهوت .

وهؤلاء الآلاف من الطلاب الذين يدخلون هذه الامتحانات ، ليسوا من أهل لندن ، وليسوا من أهل إنجلترا ، بل هم من كل مكان ، من استراليا ونيوزيلندا ، ومن الهند والصين ومصر ومالطة وغرب افريقية ، ومن المانيا ومن ايطاليا ؛ جامعة لندن تفتح أبواب امتحاناتها الى هؤلاء جميعاً ، فهي ليست جامعة للتدريس فقط بل هي فوق ذلك مجلس للامتحانات ، يمنح شهادته ودرجاته المختلفة المحترمة . إذ أن بين أغراض هذه الجامعة - أو لعله من أهم أغراضها - أن تكون نقطة الاتصال بين أنحاء الامبراطورية ، فالشاب الانجليزي الذي يرحل الى ناجيريا أو كينيا، دون أن يتم دراسته العالية، من الحكمة أن تجعل تحصيله متصلاً، بأن تفتح له جامعة لندن أبوابها دون شرط الامؤهلاته العالمية

وإذا ارتقى الزائر درجات الجامعة العريضة العديدة الى القاعة المعتمة بعض الشيء ، تنتظره درجات أخرى عديدة تقوده الى قاعات ثلاثة تسع الآلاف من الطلاب ، مستمعين أو ممتحنين . وفي هذه القاعة تمثل ضخمة للملكة فكتوريا ، كما تشاهد في جدار مدخل الجامعة لوحة أخرى لهذه الملكة وضعت تذكاراً عند ما شيد هذا البناء في عهدها . وقاعات هذا البناء العديدة ازدادت ضيقاً على ضيق بقماطر الكتب التي كدست فيها المجلدات من السقف الى الأرض ، وازدادت ضيقاً بالموائد التي تصف عليها من حين الى حين حقائب الجلد السميك ، الى الآن ؟ الى برمودا الى كلكتا الى فلسطين ، هذه حقائب الامتحانات في طريقها الى ما وراء البحار !

وفي جاور استريت أقدم كليات جامعة لندن. هذه هي «الكلية الجامعة»، ولعلها أروع أبنية كليات الجامعة بأسرها . بنيت حقا لكي تكون كلية جامعة ، حدائق متسعة ، في هذا الحى الذى تباع فيه الأرض بالفقر والشبر . وعلى كل جانب تطل أبنية الكلية ، يتوسطها المدرج الكبير ذو الأعمدة والتماثيل الاغريقية ، التى لا يجد كثير من الطلاب والطالبات مجلساً الا تحت أقدامها ، وككل بناء حجرى في لندن ، قد صار هذا البناء ماطخا قتما ، كأن حريقا شب فيه أو لعب اللهب بسقفه ؛ وكنا جماعة المصريين في هذه الكلية ، كثيرا ما تتناقش في أمر أسوداد هذا البناء وعن الحريق التى ربما شب فيه ، أو عن الضباب الذى لطخه على هذا النحو . ولكن الحقيقة ، ان هذا الاغبرار قد جعل لهذا البناء روعة ، أشبه شىء بروعة المعابد والأديرة القديمة .

وكنت من طلاب هذه الكلية زمناً ، هجرتها الى غيرها وغيرها ، حتى لا أكاد أذكر كلية من كليات هذه الجامعة حتى دخلتها وتلقيت فيها فرعاً من فروع الدروس لقد هبطت لندن ، ورأيت أبواب هذه الكليات مفتوحة امام كل طارق ، فصرت كأبنى الطفل الذى نسيته أمه فى حانوت للعب ، ففتح عينيه على صناديقها المفتوحة والمغلقة ، فصار يجز هذه فتزمر ، ويهز هذه فتشخل ، ويدوس هذه فتموء ، ويحمل هذه فتشب وتركض !

وهكذا كنت أنا اذ ذاك ، وهكذا دخلت الكلية الجامعة فى جاور استريت لأدرس علم المصريات ؟ ولست أدرى اليوم ما الحافز على هذه الدراسة ! ولكننى كنت طالباً منتظماً لا أنقطع عن حضور هذه الدروس ، فى الطابق الأعلى فى الجامعة فى ذلك المكان الذى كدس بالتماثيل والمومياء المصرية وبقطع الخرف ، ثم برفوف الكتب والمجلات القديمة والجديدة !

وكانت تدرّس لنا اذ ذاك مس مرى وكنت أعجب بهذه السيدة، ولكننى كطالب

كنت أخافها ! لقد كانت نظراتها نفاذة الى قلوب طلابها ، وهي تحدد اليهم من فوق نظراتها التي تخفضها حتى قمة أنفها . وكانت لا تتهيب أن ترمي تلاميذها بكلمة تقرع اذا تلججوا في الاجابة على اختباراتهما التي لا تنتهي لا سيما في اللغة الميروغليفية والقبطية ، وكان يوم الجمعة مخصصاً لهذه الأخيرة ، وكانت دروسها صعبة ثقيلة ، وكنا نجتمع قبل الدرس لحل رموزه بالاشترك .

وكنا اذا سرنا شوطا في الدرس ، وقفت عن الكلام وفتحت صندوقا بجانبها اعتدنا على رؤيته وأخذت منه قطعة من الحلوى، وأعطته الى من بجانبها من الطلاب، وأداره بين زملائه ، وكثير من هؤلاء كن من السيدات العجائز اللاتي بلغن العقد السابع والثامن . وكنا ننتهز فرصة هذه الدورة لكي نحول العين عن الكتابة القبطية التي تجهد النظر ، وتستثير الأعصاب .

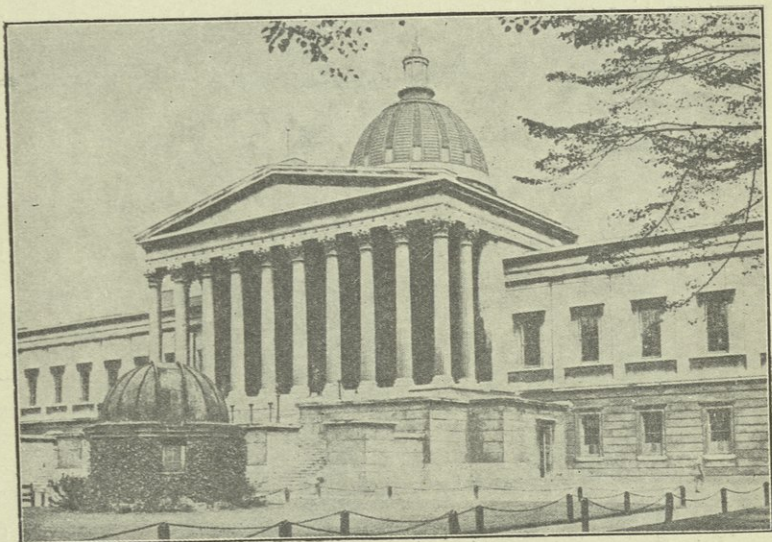
وكان أستاذ المصريات - ولا يزال - في الكلية الجامعة السير فلنדרز بترى ، وكان شخصية أعجب بها دون خوف ، ولكنه لم يكن يتردد على هذا المتحف الا في فترات معينة ، وكان دائم العطف والابتناسم والتشجيع للمصريين الذين يدرسون هذا الفرع ، وكان بذقنه الطويلة البيضاء كأنه برنارد شو ، ولكن ظهره قد تقوس ، بفعل السنين الطويلة التي قضاها منذ القرن الماضي في مصر ، يعمل بجهد في البحث والكشف عن آثار الحضارة المصرية المدفونة .

وكانت دراسة هذا العلم تستلزم أن ندرس فروعاً أخرى ، في غير هذا المكان من الكلية ! ندرس علم الأحجار والمعادن ، ندرس المساحة !

لعل دروس المساحة هذه هي التي وضعت حداً لدراستي لعلم المصريات ، وجعلت الكلية الجامعة في نظري ثقيلة، وجعلت أسخف نفسي كلما أتذكر كيف كنت أقضي ساعتين في كل أسبوع أحمل موازين المياه والسلاسل لنخرج الى حديقة الكلية نقيسها ونمسحها !

وفي مدرسة العلوم الاقتصادية، كناندرس علم حضارات الانسان، وكان علما طريفاً شيقاً. وكان أستاذ هذا العلم - الأستاذ سلجمان - شخصية متميزة. كان إذا ألقى محاضراته، كأنه يتكلم إلى نفسه، ولا يكاد يشعر بأن هنالك من يقيد كلامه أو يدون ملاحظته وكان لا يلتفت إلينا إذا تكلم بل إلى السقف عادة، ويجلس على مقعد ويمدد ساقيه على مقعد آخر!

وقليل منا من كان يفهم كل ما يقول، فكان يستخدم المصطلحات الفنية دون حساب لهؤلاء الطلاب، ولم أكن بين هذا القليل الذي يفهم محاضراته، وإذا قص علينا حكاية عن رحلاته في غابات أمريكا الجنوبية أو روى أفكوهة، ذكرها بسرعة كأنها نظرية هندسية وسرعان ما يربطها بمحاضراته وبمبحثه، دون أن يتسم بل دون أن يعطينا مجالاً للابتسام اذا كان قد فهم الحكاية أو الأفكوهة أحد منا!



الكلية الجامعة - أقدم كليات جامعة لندن

وفي شارع اشانسرى لين الذى يقودك من هو بورن إلى فليت استريت ، تنعطف  
 فى شارع أكثر ضيقاً حيث تجد كلية بربك ، وقد كنت أرتادها ليلاً .  
 وحول هذه الكلية أبنية الكثير من الصحف والمجلات ومطابعها ، حتى أنها  
 تقفل هذا الشارع الضيق بعرباتها التى تحمل لفائف الصحائف والمجلات الى كندا  
 واستراليا !

وهنا كنا ندرس الأدب الانجلىزى ، والفلسفة والمنطق وعلم الأخلاق . وكان  
 الدكتور كيلنج مدرس المنطق غربياً فى مظهره وفى طريقته بعض الغرابة . وأكبر  
 ظنى أنه اسكتلندى فهو يلبس بذلتين من الصوف الاسكتلندى السميك ، يتناوب  
 استعمالهما . وكانت له طريقة غريبة فى المشى ، بحك حذاءه بالأرض حكا ، حتى  
 كنا نعرف قدمه وهو فى أول الردهة . فاذا دخل أغلق الباب وراءه ، وحيانا وهو  
 يدور بعينه ليعرف من الذى تأخر عن درسه، ويفتح حقيبته التى تلازمه وينثر أوراقه  
 على المنضدة . لقد كان الدكتور كيلنج كأنه فيلسوف بالفطرة !

وفى حجرة الطلبة العامة فى كلية بربك كثيراً ما كنت أقضى ساعات اليوم ،  
 أراجع فى دفاترى أو أرقب لاعبى الشطرنج أو الورق ، أو أجلس بقرب المدفأة .  
 وطلاب هذه الكلية ممن يعملون نهاراً ، فهم لذلك أعرف بالحياة وبقيمة الدرس  
 والتحصيل من طلاب غير هذه الكلية . وكنت قلما أدخل فى حديث مع أحد ،  
 اللهم الا أولئك الرفاق الذين نجلس وياهم فى دروس الأدب الانجلىزى أو المنطق  
 والفلسفة فكان لنا فى كل درس من هذه جماعة ، ولكل جماعة ركن لا يعتدى عليه  
 أحد إذا حضروا هذه الدروس . وكانت الفتيات يجلسن فى الصفوف الأولى ، يجلسن  
 جماعات ويخرجن كذلك .

وهن في الجامعات الانجليزية اكثر نشاطاً وأكثر دقة من الشبان ، يحضرن بدفاترهن وأوراقهن كاملة وقلما يستعرن شيئاً من أحد ، ويدون مايلقى عليهن في هذه المحاضرات كلمة كلمة ، وقلما يفوتهن شيء ، حتى الرسوم التوضيحية كانت تدون باناقة ومهارة .

وتراهن في مكتبة الكلية يجلسن في أركانها الخفية يراجعن أو «يبيضن» ما كتبن أثناء المحاضرة ، وقد ينقلن مذكرات طويلة مملّة من كتاب بلا ضجر أو سأم .

...

وفي كنجز « كلية الملك » في الاستراند ، قضينا وقتاً أكثر روعة ، لا تزال ذكرياته بارزة قوية .

وقد تمر على بوابة كلية الملك ، ولاتكاد تكتشفها أو تميزها بين هذه الصفوف المتراسة من مخازن البيع ذات النوافذ المكتظة بالملابس النسوية والأحذية والحلوى ، خليط من كل شيء

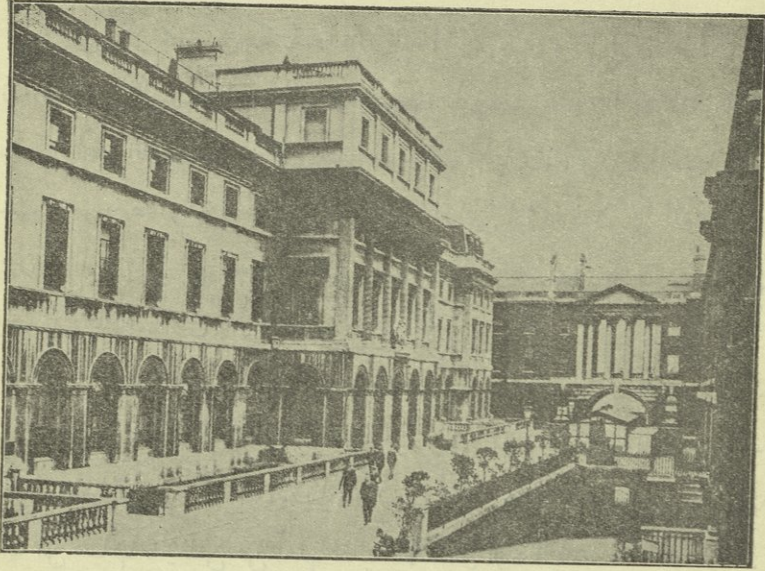
...

وكان لابد من أن نستعرض قبل الانتظام في سلك الكلية ، فجلسنا في حلقة طويلة نمر على عميد الكلية واحداً واحداً يفحص هيئة كل منا ويدرس نواياه وآماله وأحلامه ، فتذكرت يوماً مثل هذا مر عليه أكثر من عشر سنين حين دخلت المدرسة الابتدائية ، وجلسنا ونحن نرتعد ننتظر دورنا في مقابلة الطبيب .

وكانه كتب على ألاّ أطلب العلم إلاّ فوق السطوح العالية ، وهكذا أخذت أعتلى الدرجات حتى وصلت إلى نهايتها ، إلى حيث كتب « قسم علم النفس » ، كأن هذا المكان برج في قلعة من قلاع القرون الوسطى ، وكان فعلاً برجاً ، بسقوفه المنحدرة ، وكان الحمام يجتمع ويعشش على نوافذه ، وكنا ننظر من نوافذ هذا المكان إلى التيمز وإلى برج لندن وإلى وستمنستر وإلى كنيسة سنت بول . وفي هذا البرج



درست علم النفس ، أو على الأصح اغرمت بهذه الدراسة . وكان كل من حوى هذا  
القسم ظريفاً حبيباً ، أساتذته وطلابه ومساعدوه .



كلية الملك في الاستراند

وكما كتب لي أن أزور لندن ، كان لابد من أن أزور هذا المكان ، ولو كان خالياً  
من أساتذته وطلابه ، خالياً إلا من الأجهزة والكتب والاعلانات القديمة ، ثم ذلك  
المساعد الشاب ، الذي لم يكده يراني بعد غياب سنين ثلاث حتى هرع إلى يناديني باسمي  
الطويل ، وأخذ يقص عليّ خبر الاساتذة والزملاء القداماء ، ومن نجاح ومن أفلح ، وعن  
مواضيع رسالاتهم وعن أبحاثهم .

ثم جاءنا المستر بارلت ذلك الأستاذ الظريف الذي كان يدرس لنا علم النفس  
التجريبي ، وأخذ يسألني عن مصر وعن الشرق وعمما صنعت بعلم النفس ؛ ولم أرد

إلا أن أهديه كتابي العربي في علم النفس ، فأخذ يتهجى ويتم قراءة عنوانه ، فقد عاش ردحا يجرى أبحاثه في جاوه ...

...

وكان لى مكان مختار فى مكتبة هذه الكلية أنزوى فيه ، وكان لكل طالب وطالبة مكانه المختار . والفتيات الهنديات شخصيات بارزة فى هذه الكلية ، بملاسهن الشرقية الزاهية الفضفاضة ، وكان بينهن الوسميات الجميلات ، وكنت أعتبط بقربهن وكنت أشعر بغبطة ولذة لوجودهن ، وكنت أتباهى اذا ما وفد على المكتبة وهن يجرن أذيال أقبيتهن التى تصبغ المكان بصبغة خيالية فنانة ، فى عيني وفى عيون الفتيات الانجليزيات وفى نظر الطلاب !

وكنت أختلس النظر إليهن ، وقد فتحت كل واحدة منهن حقيبتها الكبيرة - التى لاتتناسب مع شرقية الملابس الحريرية - ونثرت منها الأقلام والكتب والدفاتر وانكبت عليها قراءة وكتابة وتدويناً ، وكنت آنحيل هؤلاء وقد رجعت إلى الهند ، يوقظها من سباتها ، يخلعن عن أهلها تقاليد الأجيال الرثة البالية .

لقد كانت هؤلاء الهنديات ، أكثر ما روعى فى كليات لندن ، لقد كن أكثر روعة من الشبان الهنود بلحاهم المسترسلة وعمائمهم الزرقاء والحجراء الزاهية !

...

وفى ساعة الغداء لاتكاد تجد مكاناً فارغاً فى مطعم الكلية الرحب ، حتى كنا نبكر قبل أن « تجبر » الأصناف الطيبة مما كان يقدم فى هذا المطعم ، لاسيما بودنج البلح الذى كان صنفاً ممتازاً عندى !

وكان الغداء لايزيد عادة عن قطعة من الجبن والخبز أو قطعة من السمك البارد وطبق أو طبقين من الحلوى ! ثم فنجان من القهوة أو الشاي !

وفى نادى الطلبة ، قاعتان واحدة للطلبة وأخرى للطالبات فى بدرون الكلية ، وليس

لهذا التفريق مجال في كليات لندن الأخرى ، ولكن لعل كلية الملك هذه التي أنشئت  
خاصة للمرأة ، لم تر أن تقضى على تاريخها وتقاليدها ، حافظت على هذا التفريق  
وتخرج من باب الكلية إلى الفناء الضيق ، ومن ثم تدخل في نفق طويل  
مظلم يقودك إلى التيمز ، فلا تشعر على جداره الصخري الرحب بشيء من المتعة ،  
ولا يستثير خيالك المتعب بعد جهاد يوم في ذلك البرج ، الذي ترى الحمام قد حام حوله  
وجثم على نوافذه ، والذي ولا شك ما زالت ترفرف عليه روح أفلاطون  
وارسطو !

... ما أروع الذكرى .. ؟

## فنانو الشوارع

أشعر بحسرة كلما أمر على هؤلاء الفنانين في شوارع لندن ، لأن هؤلاء الذين قد جعلوا همهم إسعاد السائرين ، لا تدل وجوههم على أنهم يعرفون طعم هذه المتعة أو تلك السعادة، وليس ألم للنفس ممن يريد تسليتك أو إسعادك وهو أكثر منك حاجة إلى هذه السلوى والسعادة !

وماذا تجدى النغمات المنسجمة ، التي تبعثها الأصابع المرتعشة ، وترسلها الشفاه الصفراء الذابلة ؟ ومن ذا الذي يستسيغ أغاني الحب وألحانه ممن عصفت به الفاقة لا الهوى ، والفقير لا الغرام ؟ ومن ذا الذي يستجلى الفن وانسجام الألوان من صاحب الوجه الذي لعبت به الريح حتى صار كالحال لون فيه ؟

هكذا أشعر بشيء من الحسرة كلما أمر على هؤلاء الفنانين في شوارع لندن ! الفنان الموسيقى أتعس هؤلاء جميعاً . تراه واقفاً أمام أبواب الحانات ، ينفخ في زمارته ، أو يرن أوتار قيثارته ، وقد علا الضجيج في قاعة الحانة ، حتى انك لتخال هذه النغمات التي يرسلها عاجزة عن أن تلج الباب الذي يفتح ليقفل .

وإذا ما انتهى من دوره - لم يشعر بذلك أحد إلا هو - أوقف العزف وحمل قيثارته تحت ابطه وقبعته في يده يدور حول الواقفين والجالسين يجمع البنسات النحاسية . وذلك الموسيقى الذي تراه أمام المطاعم ، لا يحمل قبعته مثله إلى حيث الآكلين ، فهو يكتفي بوضعها بجانبه ، فإذا ما انتهى من الدور بدأ سواه حتى يمل هو من العزف والانشاد .

وكثير من هؤلاء المشدين والعازفين من صرعى الحرب ، فينهم المبتور الساق أو المقعد العاجز ، ولعلمهم حملوا هذه القيثارات لا حبا في الفن ، ولكنها الموسيقى لغة من عجز عن أن يصل إلى الناس بلسانه ، ليقص عليهم آلامه ومصائبه ، ويستثير عاطفتهم وانسانيتهم .



وتمر على هذا الفنان العجوز الذي يثير فيك دون كلام كل عطف ، تمر عليه وقد وضع ذلك الجرامافون العتيق بيوقه ، وترى القرص يدور ولا تكاد تسمع صوتاً منبعثاً منه ، إلا اذا انحنيت عليه وأدנית أذنك إليه . وترى السائرين يقفون قليلاً يمعنون النظر الى هذا الشيء المتحرك الذي قد انقرض من كل بيت

الامن بيت هذا الرجل وترى السيدة تضع بنساً في قبعة الرجل ، وهي تبتمس إلى الجرامافون الصغير المتحرك كأنه طفل يريد اضحاكها وقد أشغل جفونه النعاس ! وفي أيام الأحدا أو الأعياد تجد جماعات هؤلاء الموسيقيين يسرون صفوفاً رأسية أو أفقية ، وينفخون في أبواقهم لينتبه حتى من كان في بيته ، وهؤلاء عادة من الجنود القدماء ، تعرف ذلك من الشارات والأنواط التي علقت على صدورهم ولكن الحرب الأخيرة قد ملأت الصدور بهذه الأنواط، حتى لم يعد عجباً أن تراها على صدر كل سائل .

...

وجيش الرحمة بملايس أصحابه البيوريتانية الزرقاء يرج بدوره شوارع يوم الأحد الصامتة بفرقه الموسيقية وبطلبه وزمره . فتراهم ينتحون زقاقاً أو شارعاً مسدوداً ،

وية نون حلقة يطلون ويزمرون وينشدون ، ويجتمع حولهم الأطفال والنساء والعمال  
العاطلون ، ولا يخلو الموقف من نكتة بارعة من هؤلاء المستمعين ، عن السيدة  
المتحمسة في انشادها أو خطابتها .



ومصور الشارع أكثر حفا من هؤلاء الموسيقيين ، فلا تلمح في فنه ذلك  
الأنين الصارخ بالشكوى ، فهو يعرض فنه الصامت صامتا ، وقلما يتخير شخصية  
بأكية أو وجهاً حزينا ، ليشرك السائرين معه في آله وحزنه .  
وهؤلاء المصورون على أنواع ، بعضهم قد جعل أحجار الشارع لوحات لفنه ،  
فتراه يرسم على كل بلاطة منها صورة كأنه يزخرف جدران دير . وأيام المطر لا يرحب  
بها هؤلاء الفنانون فهي تغسل ما صنعت أيديهم أو تجعلها باهتة لا روعة فيها ،  
وتجعل السائرين يهرولون ولا يلتفتون الى هذا الجالس في ركن الشارع ، وقد محا  
المطر ما أخذ يفتن في رسمه وتصويره .

ولكل فنان من هؤلاء مكان لا يتعداه ، تمر عليه وهو قابع فيه كل يوم ، وتمر  
السنون وهو هو في مكانه ، وتلك الصور التي كان يرسمها منذ سنين لا يزال يعيد  
رسمها اليوم ، كأن الله لم يفتح عليه بفكرة جديدة طوال هذه الأيام . وربما كان في ذلك

نوع من الاختصاص، فبينما هذا قد اختص بنقش صور الممثلين أو رجال السياسة ترى ذلك قد اختص برسم القطط والكلاب ، أو الزهور . كل لا يتعدى اختصاصه . كما ترى ذلك الذى اختص فى الرسم بالفحم ، أو بالباستيل أو بألوان الماء أو الزيت ، أو الذى جعل فنه الرسم على القماش بالصوف ، وترى حوله الفتيات ينظرن الى مهارته وهو منهمك فى عمله لا يلتفت اليهن

وتمر على ذلك المصور المبتدىء الذى يحاول أن يجعل تصويره ناطقا ويأبى ذلك الفن الا أن يكون صامتا ؛ فترى الوجوه النسوية التى يرسمها كأنما شدت من أذانها ، ووجوه الساسة كأن عليها علامات البله ! تمر على هذا المصور الذى قد مسخ الحقائق فى فنه ، فتظن أن هذا المسخ ربما كان طريقة مبتكرة فى التصوير ! وما هو كذلك .



## هايد بارك

لست أعرف مكاناً أحب الى في لندن من هايد بارك ، ولست أعرف مكاناً لاتسأم من الترداد عليه ، ولا تمل من الاختلاف اليه ، مثل هايد بارك .  
في أية ساعة من ساعات اليوم ، وفي أية حالة نفسية ، يحلولى السير فى هايدبارك .  
فى الظهيرة كما فى المساء ، وتحت المطر كما فى أيام الصحو ، وفى الليلة القارسة كما فى اليوم الصائف ، وفى يوم الأحد كما فى غير هذا اليوم  
هايد بارك لها جمالها فى كل يوم ، وفى كل ساعة من كل يوم ، ترتادها وأنت  
منهك متعب ، وتردها وأنت ساهم مفكر ، وترورها وأنت لاتعرف كيف تقتل  
فراغاً انكشف لك فى لندن . وفى كل ذلك تجد هايد بارك غير مملولة ، تجد فيها هذه  
المتعة والسلوى التى تبحث عنها .

...

ولا أظن مكاناً ربط اسمه باسم لندن كهيد بارك ، وكثيرون لا يعرفون مكاناً فى  
لندن ولا يسمعون عن اسم فى لندن كهذا الاسم ، هايد بارك .  
ومنذ سنين ، حين كان اسم لندن لا يتعدى ما كنا نذاكره فى كتب الجغرافيا  
الابتدائية ، سمعت باسم هايد بارك ، وكان لهذا الاسم فى أذنى رنين لا أعرف سببه ،  
لعله تناسق فى الحروف . لقد كانت هايد بارك منبراً لخطباء الثورة المصرية فى لندن ،  
وكنت أتصورها مكاناً غريباً معتماً ، قد زاد إعتاماً بدخان الغلايين . وكنت أتصور



الخطيب ، كأنه خطيب المسجد ، يتكلم بتلك اللغة التي لم أكن آمل يوماً أن أتلوها  
أو أن أفهمها ، لهذا كنت أتصورها فعالة قوية ، لعجزى عن فهمها .

كانت تلك الصورة عن هايدبارك وعن المجاهدين المصريين في لندن وعن الداعين  
لتحرير مصر في هايد بارك ، أقرب شئ إلى الحلم البعيد !

ودارت الأيام دورتها ، وهبطنا لندن في تلك الليلة التي قد تكاثف ضبابها ،  
وسارت بنا العربة بحذاء سور ممتد مظلم ، وقال قائل هذه هايد بارك ، فتجددت  
الذكرى ، وأخذ ذلك الحلم ينبت من جديد ؛ وليس أروع من أن ترى هايدبارك في  
مثل هذه الليالي المظلمة الجامحة ، ليس أروع من أن ترى هايدبارك تحت مساقط المطر  
ولم يبق من روادها إلا الذين لا يفرغهم الظلام ولا يثقل عليهم المطر .

والذين يبحثون عن جمال الأزهار وعن فتنها تخونهم هايد بارك . فهي ليست  
تلك الحديقة الجميلة المنسقة إلى صفوف وأحواض يفوح منها شذى الورد أو عبير الزهر ،  
وهي ليست كذلك الحديقة ذات العرائش الظليلة الفتانة بألوانها الزاهية المتناثرة ؛  
لا ، ليست كذلك هايد بارك ، وليس فيها فتنة أو سحر من هذه الناحية .

فسيح من الأرض ، فسيح أخضر لانهاية له من الحشائش ، وأشجار البلوط  
والقسطل تحف بهذا الفسيح ، وتتجمع حيناً كأنها غابة في برية موحشة ، وتتفرق  
فترى كل شجرة منها قائمة بنفسها رافعة رأسها كأنها حارس في هذا الفسيح .

ليست فتنة هايد بارك في زهورها أو تنسيقها ، ولكن هذه الخضرة الفسيحة  
التي تملأ العين كما تملأها مياه المحيط الزرقاء المترامية إلى الأفق البعيد ، وهذه الأشجار  
المتجمعة أو المتفرقة ، وذلك النهر الذي ينساب بهدوء ورفق في وسطها ، هذا كله  
سحر هايد بارك !

...

تدخل هايدبارك من كل باب ، ومن كل مكان ، فهي قلب لندن أو هي في قلب لندن

تدخلها راجلا كما تدخلها في عربتك أو سيارتك ، فهذه يسمح لها بالدخول كما يسمح للسائرين على الأقدام . وترى صفوف هذه العربات الارستقراطية على ضفاف السربنتين في أيام الصيف ، أو تحت ظلال أشجار القسطل المسنة .



السربنتين

والسربنتين النهر الاصطناعي الذي يشق هذه الحديقة ، كاشق حدائق كنزجتن التي لا يفصلها عنها الا طريق مسور ، هذا النهر يجعل هايد بارك متجددة كميائه ، ويجعل التسلية فيها لا تنضب .

ففي صباح الأحد ؛ تجد المقاعد الخشبية المصفوفة على ضفافه عامرة بالجالسين أفراداً وجماعات ، كل جماعة معها كلبها ، حتى لا يقل مجمع الكلاب في عدده وفي مرحه ، عن مجمع الصغار والأطفال اللاعبين ، الذين يعا كسون هذه الكلاب فيرمون اليها بالكرات وقطع الأخشاب في مياه السربنتين ، فتتنافس الكلاب في الوصول اليها مخترة أسراب الأوز والبجع البيضاء التي تسرح وتمرح طليقة على ميائه الهادئة .

والسباحة على مياه السربنتين مباحة في أما كن معينة ، فيها الأكشاك والمزالتق و تراها عامرة في أيام الصيف ، حتى لا تكاد ترى على ضفة السربنتين حيث يباح

الاستحمام الاءوس السابحين والسابحات ، وعلى رماله عراة الظهور والسيقان قد لوحتهم الشمس ، وجعلت أجسامهم تتقشر كما تتقشر أجساد الثعابين !

وفي أيام الشتاء القارسة ، وفي الصباح المبكر ، لا تجدمياه السربنتين المتلجة خلواً من أولئك الشبان الذين قد قطعوا على أنفسهم أن يغمرؤا أجسامهم في مياه السربنتين كل صباح ، في أيام الصيف البديعة ؛ وفي أيام الشتاء القارسة على السواء وفي بعض أيام الشتاء ، تقسو الطبيعة حتى تجمد مياه السربنتين ، فيصبح كالمرآة الصقيلة ، تحفه أشجار عارية نفضت أوراقها الخضراء ، وفي مثل هذه الأيام الشتائية يصبح السربنتين متعة جديدة ، لهواة الانزلاق على الثلج ؛ ولا تفقد مياهه المتجمدة أولئك السابحين الذين يبحثون عن فجوة في سطحه الثلجي ليغوصون تحت الثلج في مياه النهر الدفينة .

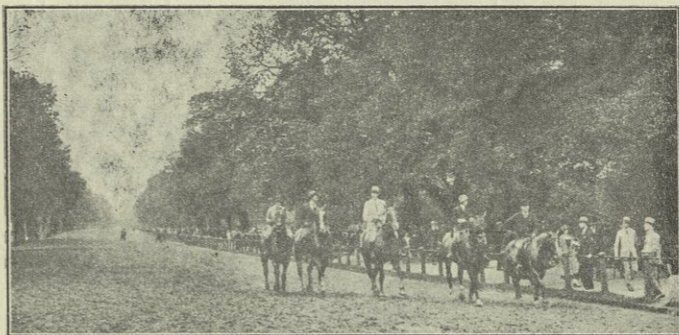
وقوارب المجدفين على مياه السربنتين لا تقل جمالا ومتمعة عن أسراب البط والبعج البيضاء التي تترك نفسها على سطحه يدفعها الماء أينما سار . وفي كل قارب مقعدان للمجدف ولمن يدير دفة القارب، وترى الفتيات باذرعتهن المكشوفة وصدورهن العارية يمسن حبل هذه الدفة ، وينظرن بته إلى المجاذيف التي تضرب صفحة الماء الساكن بانتظام ، ويدرن أعينهن إلى ذراعي الشاب العاربتين التي تدير هذه المجاذيف ؛

وترى الصديقتين لا تنتظران بعض تلك الأذرع المفتولة ، بل تهرولان إلى أحد القوارب المصفوفة على ضفة السربنتين، وتخلعان معطفيهما وتأخذ الأولى موضع الفتى حيث المجاذيف ، وهي تبسم ؛ ثم تتبعها بنظرة لها معناها عند صديقها

...

لم تعد هايد بارك كما كانت بالأمس معرضاً للأزياء ، ففي زحى أيام الآحاد كان ذلك الطريق المظلل الذي يطل على بارك لين، معرضاً لسيدات الطبقة الارستقراطية، يعرضن فيه - وهن يسرن سهيلا - أحدث الأزياء ، وكان الكثير من أهل لندن، لاسيما من

السيدات ، يهرعن الى حيث هذا الطريق ويجلسن على مقاعده يراقبن أسراب  
هؤلاء السائرات ، ويأخذن عنهن أحدث الأزياء !



هواة الخيل في هايد بارك

ولم يبق من تقاليد العهد الماضي هذه ، الا أسراب الخيل التي تشاهدها من حين  
إلى حين في طريق « الروتن رو » الذي ترك كاهو ولم يرصف ، لكي يجد هواة الخيل  
مجالاً في قلب لندن لهذه الرياضة .

واقتناء الخيل في لندن ، لم يعد ميسوراً كما كان في القرن الماضي ، لهذا ترى  
أعين الجالسين سرعان ماتتحول إلى هؤلاء الهواة بملابسهم الصفراء وكرايبيجهم  
القصيرة ، وهم يدورون حول هايد بارك في هذا الطريق !

وتجد عائلة بأسرها على صهوات هذه الجياد ، تجد الشيخ والزوجة والفتيات  
والأطفال ، يتخبطون بشيء كثير من الاعجاب بالذات ، وينظرون بشيء كثير من  
التيه إلى عيون المعجبين من الجالسين على ضفاف السربنتين .

منظر فتان !

...

ورواد هايد بارك من جميع الأوساط والطبقات . وفي أيام الأحد ، وفي أيام

الصيف تجد هايد بارك ، ومروج هايد بارك الفسيحة خاصة بهؤلاء جميعاً :  
جماعات العمال ، والعمال العاطلين ، جالسين على الحواجز الداخلية الواطئة ،  
أو نائمين تحت ظلال الأشجار ، أو تحت عين الشمس الدفئة .

وجماعات الفتيات العاملات ، من خادمت المنازل والمطاعم والمتاجر ، يملآن  
ممرات هايد بارك وطرقاتها ، يوزعن ابتساماتهن على هؤلاء الجالسين ويجبن على  
الملاحظة بالملاحظة ، والنكتة بالنكتة ، ويرددن على تحية هؤلاء الجالسين بلا كلفة  
ولا امتعاض .

ثم جماعات الحرس الملصكي ، بمعاطفهم الحمراء الزاهية ، شخصية ممتازة بين رواد  
هايد بارك في أيام الأحد ، كل يتأبط ذراع صديقه التي تسير بتيه وقد غمرت عينها  
ألوان هؤلاء الحراس الحمراء القانية !

وحول كشك الموسيقى ، تجد الآلاف من الجالسين والجالسات ، لاسيما من العجائز  
اللائئ يقطنن الصباح كله يستمعن الى الموسيقى ويقرآن ما معهن من قصص أو  
صحف .

...

وإذا دخلت هايد بارك من حيث الماربل آرش ، فانك تمر على مجامع الخطابة .  
عشرات من الخطباء ، وئات من المستمعين والمستمعات .

وهذه المنابر الخشبية يؤجرها هؤلاء الخطباء ببعض شلنات ، يؤجرها من أراد ،  
وكل من تحار في رأسه فكرة وكل من يستهويه مبدأ يريد أن يروج له . وهؤلاء  
الخطباء من جميع الطبقات ، من العامل العاطل الى عضو البرلمان ، وتجد مع كل  
واحد من هؤلاء أتباعه ومستمعيه ، يقفون حوله حلقات حلقات . وحرية الرأي  
مكفولة في هايد بارك ، وليس لستمع أن يقاطع خطيباً ، وليس لستمع أن يكره

خطيباً على السكوت ، ولو كان ينادى بقلب نظام الحكم ، أو كان ينقد الحكومة  
نقداً مرأً .

وكثير من خطباء هايد بارك من أولئك الذين جعلوا الخطابة مهنة لهم ، تراهم  
هنالك كل يوم ، أو في أيام معينة كل أسبوع . وكثير من هؤلاء يخطبون في كل فن  
وينتقلون من بحث الى بحث ، كيفما تتوارد خواطرهم ، والجمهور يستمع ولا يحاول  
تسخيفهم .

وقد يعيد الخطيب من هؤلاء ما قاله بالأمس والأمس البعيد ، ويكرر افكاره  
ونكاته وألفاظه . وكثير من رواد هايد بارك لا سيما من العمال العاطلين يعرفون  
هؤلاء الخطباء ، وتراهم يسبقونهم في نكاتهم المحفوظة ، لا لغرض سوى أن يكون  
الجمع أكثر مرحاً . وخطباء الدين كثيرون في هايد بارك ، وتجد منابرهم متجاوزة ،  
هذا يبشر بالكاثوليكية وهذا بالبروتستنتية ، وهذا بالكنيسة الانجليزية ، ثم هذا



حلقات الخطابة

بالصهيونية وبجانب هؤلاء ترى الهندي الذي يبشر بالبوذية . وترى الانجليزى ينتقل بين هؤلاء جميعاً ، يستمع اليهم بلا تفریق ، ولا تكاد تراه يتحمس لخطيب ما ، اللهم الا اذا كان عارفاً بأصول النكتة البارعة .

وليس برود المستمعين أشد من برود هؤلاء الخطباء ، فترى الخطيب الذى يقف على منبر من المنابر الفارغة ، يتكلم ويشرح ويفند ، ولا تجد حوله مستمعاً أو تجد أمامه انجليزيا واحداً ينصت اليه وهو يدخن فى غليونه وقد يناقشه ويستوضحه ، ثم تراه ينصرف اذا مل الحديث ، تاركا هذا الخطيب المتدفق وحيداً يتحدث الى نفسه .

وما من مشكلة عالمية أو خاصة الا وجدت طريقها الى منابر هايد بارك ، وما من مسألة اقتصادية أو سياسية أو دينية الا وبحثت على منابر هذه الحديقة ، ويسمع لها الانجليزى سواء أ كانت تعنيه أم لا تعنيه .

وها هم دعاة الشيوعية بأعلامهم الحمراء ترفرف على منابر هايد بارك ويجمعون حولهم الآلاف من الانجليز ، وها هم دعاة الوطن القومى من اليهود بأعلامهم الزرقاء يحاولون أن يثيروا حماس الانجليز ضد الحكومة الألمانية بلا جدوى ، وترى الهندي الذى يناهض الاستعمار الانجليزى ويطالب بحرية الهند ، وترى الخطيب الايرلندى الذى ينادى بانفصال ايرلندا من الحكومة المتحدة والذى لا يتورع عن لدغ الانجليز بقارص القول ، وهم حوله صامتون الا اذا تعرض الى ناحية طريفة شائقة !

...

وفى الليل تريد هايد بارك فتنة وسحراً ، وفى الليالى المقمرة الناصعة ، أو فى الليالى المظلمة الدامسة لا تفقد هايد بارك روادها من الفتیان والفتيات الذين يحلو لهم الانبطاح على هذه المروج الخضراء ، وتمر على هؤلاء العشاق من رواد هايد بارك ، فلا تجد من يرفع اليك نظره سائلاً أو متسائلاً !

هذه هي هايد بارك التي كانت يوما حديقة ملكية مغلقة في وجه الشعب .  
 هايدبارك التي وان كانت خالية من أحواض الزهور، إلا أنها بنهرها المنسكب، بقواربها،  
 بكلابها وحيادها ، بمنابرها ، بفتياتها ، وبروح الشباب والحياة التي تندفق  
 في جوانبها ، بهذا كله قد صارت كعبة الملايين من أهل لندن ، ومن زائري لندن .  
 فإذا ما ذكرت لندن ذكرت هايد بارك الحديقة المتجردة . .



## أيام الزهور

في الحادى عشر من شهر نوفمبر ، تنتشر في شوارع لندن بأعوات الزهور الحمراء . والحادى عشر من شهر نوفمبر هو يوم الهدنة ، وهذه الزهور الحمراء هي زهور البوبى ، التى كثيراً ما كنا نراها مزهرة فى حقول القمح والشعير دون أن ينبتها زارع . وهذه الزهور الحمراء الاصطناعية ، ليست تمثل زهرة البوبى التى تنبت فى الحقول الانجليزية ، بل تلك الزهور القانية التى كانت تغطى سهول الفلاندرز اذا ما أقبل الربيع ، سهول الفلاندرز التى قد اصطبغت بدماء الجنود ، فى سنى الحرب الأخيرة! وليس أدل على دماء الضحايا من زهرة البوبى ، الزهرة الحمراء القانية ، ذات القلب الأسود الفاحم . الحمرة رمز التضحية ، ثم السواد رمز الحزن .

ومنذ الصباح الباكر ، تخرج هؤلاء المتطوعات ، تخرج بصناديقهن التى رتبت عليها زهور البوبى ، وتحمل علب الصفيح المغلقة التى تجمع فيها ما يجود به المشترين ، اذ ليس لهذه الزهور ثمن مقدر ، فقد تدفع بنسأ واحداً ثمناً لها وقد تدفع أضعاف هذا القدر ، وليس أقدر من الزهور على تمثيل العواطف الانسانية ، وليس أقدر من زهرة البوبى الحمراء والسوداء على تمثيل هذه العاطفة التى يفيض بها قاب كل انجليزى فى يوم الهدنة . .

وليس أعرف من هؤلاء السيدات والفتيات المتطوعات باثارة العاطفة الانسانية فى نفوس السائرين ، فتراهن يقفن أمام المطاعم ، وعلى أبواب محطات الترام الأرضى ،

وفي أركان الشارع ، يعرضن زهورهن الحمراء ، ويعرضن ابتسامتهن معها . .  
 ولا تجد الانجليزى الذى يتهرب من شراء زهرة البوبى ، الطفل والشيخ ، والعامل  
 والعاملة ، والسيدة ورجل الأعمال ، تراهم يسعون الى حيث المتطوعات ، فاذا ما انقضى  
 ذلك اليوم ، ترى زهور البوبى قد تحولت الى باقات فى كل بيت تحفظ الى أن يحين  
 اليوم الحادى عشر من جديد .

وتتفنن هؤلاء المتطوعات فى اقتناص الشخصيات البارزة فى لندن ، الوزراء  
 وأصحاب البنوك ، ولكن لا تراها ترهق سائراً بالسؤال ، ولا تراها تلح فتثقل عليه ، فهى  
 تعرف ان العواطف تدفع الى الاحسان من غير سؤال أو الحاح ، ولا ترى هذه السيدة



بائع الصحف يشتري زهرته . .

المتطوعة تقرب ممن تعرف أنه أجنبي ، حتى لا تكروهه على احسان لا يدفعه اليه شعور أو عاطفة . .

• • •

وفي يوم من أيام يونية الصائفة ، نقيم لندن عيداً آخر من أعياد الزهور . هذا هو يوم الملكة الاكسندرا ، هذا يوم المستشفيات ، فكل ما يجمع من أثمان هذه الزهور يوزع على المستشفيات .

وترى في هذا اليوم ذلك الجمع من الفتيات الذي تراه في يوم الهدنة ، والكثير منهن من طالبات الجامعات ، أو من سيدات الطبقات الراقية .

ويخرج الملك كما يخرج الملكة في أيام الزهور هذه لبيتاع زهرته ، ممن تكون مبدودة موقفة فتكون في طريقه حينذاك ، وهكذا تندمج الأسرة المالكة الانجليزية في الشعب ، وتشاركه في عواطفه ، وليس هنالك من العواطف الانسانية ما لا تفيض في أيام الزهور وفي أعياد الاحسان .

## النادى المصرى

منذ عشر سنين ، أنشئ هذا النادى المصرى فى لندن ، فى هذا المكان نفسه ، المنزل الحادى والسبعين فى بيكر استريت . بناء ذو طابقين ، قد أثبت تأييدنا فاحرا أنيقا ، به حجرات للقراءة والجلوس والسمر والطعام ؛ ثم للبياردو ثم للورق !

ولكل غرفة من هذه روادها . ولكل غرفة من هذه جوها الذى تتميز به . والكثير من الطلاب المصريين فى لندن ، لا ينقطعون عن التردد على هذا النادى ، يأكلون فيه ويستمعون فيه ، ويذاكرون فيه ، تراحم فى كل وقت . وكثير من هؤلاء يعيشون سويا فى منزل واحد ، يتحدثون بالعربية ، ويتباحثون فى دروسهم بالعربية ويقرأون الصحف العربية بانتظام ، ويأكلون الطعام المصرى الذى قد يطهونه فوق ذلك فى بيوتهم ، وهكذا يعيشون فى لندن فى جو غير خالص ، ويقضون السنين فى لندن ولا يعرفون شيئا عن الحياة الانجليزية الصحيحة ، بل ويلوكون الانجليزية كما كانوا يلونها عندما هبطوا لندن لأول مرة .

وبعض هؤلاء الطلبة المصريين فى لندن لا يعرفون الطريق الى بيكر استريت ، ولا يرغبون فى الوجود فيه ! هؤلاء يتغالون كذلك فى وجهة نظرهم ، ويفقدون متعة لا يجدونها فى لندن العظيمة الكبيرة ، الا فى هذا البناء الأحمر فى بيكر استريت ، حيث النادى المصرى . .

وفي حجرة المكتبة ، تجرد أولئك الذين أغرموا بكتابة الخطابات ، تجرد هؤلاء  
كلما فتحت باب الغرفة يكتبون ويكتبون ولا يملون من الكتابة ولا يرفعون رءوسهم  
الا ليبحثوا عن الورق الأبيض !

وهدوء هذه الغرفة ، وقاطر الكتب التي بها ، وأثاثها المريح كل هذا يجعلها  
مكاني المختار، إذ ليس فيها ما يثير الأعصاب الا هؤلاء الذين لا يملون من كتابة الخطابات  
الذين يملأون عشرات الصحف كل يوم، ولا أكاد أتصور ماذا يكتبون؟ هؤلاء الذين  
لا أحتمل رؤيتهم ، لأنني لا أحتمل أن أجلس هذه الجلسة مثلهم لأكتب « بعد  
التحية . . أرجو أن تكون والعائلة بخير . . » هذا الكلام المتكرر الجامد .

وفي قاعة الاستقبال الكبيرة ، ذات المسرح المظلل ، الذي اذا نظرت خلف  
ستاره اكتشفت أكوام المقاعد الخبيرة ، في هذه القاعة تجرد قراء الصحف  
العربية ، وهواة الشطرنج أو الكلام والمجالس .

وفي كل أسبوع ترد الصحف المصرية على هذا النادي مرة أو مرتين ، أو ثلاثة ،  
ويعرف هؤلاء الهواة هذه المواعيد فينتظرونها بلهفة ، يجمعونها حولهم كومة واحدة  
ويتبادلونها . وقليل من المصريين في لندن من يعنى بشؤون السياسة ، لهذا كانت  
الصحف التي لا تنتمي الى أحزاب ظاهرة أكثر هذه الصحف رواجاً في قراءتها .  
وإذا جاء قاريء جديد ، حمل هذه الكومة من الصحف ووضعها بجانبه ، وبدأ  
يستعرضها في سكون حتى يكشف فيها خبراً طريفاً .

وتكبر حلقات المجالسين في هذه القاعة في أيام الصيف ، حيث يفد على لندن  
الطلاب الذين يدرسون في غير جامعتها ، وترد وفود الزائرين من مصر .

وهذه الطيور الصيفية التي تهاجر من مصر على أنواع ، منهم طلاب لندن القدامى  
الذين يرجعون الى لندن من حين لحين ، لاستعادة الذكرى أو لاتمام بحث أو دراسة .

ومنهم أغنياؤنا من ذوى الأعمال أو من طالبي الاستشفاء ، أو من المحالين على المعاش من موظفي الحكومة ، وكثير من هؤلاء يزورون لندن على جناح السرعة بعد قضاء الصيف في باريس .

وفي مثل هذه المجالس المختلطة ، وفي هذه القاعة الرحبة ، وفي شهور الصيف ، كثيرا ما يتحدث المجادلون والمناقشات ، بين طلاب لندن وبين هؤلاء الشيوخ الزائرين يتحدث الصراع بين الشباب المتعلم المثقف وبين فلول الجيل الماضى من المحافظين ، بين أنصار الإصلاح والتجديد ، وبين أنصار القديم .

\*\*\*

والحجرة الزرقاء الضيقة في هذا الطابق ، قلما تغص بروادها كما كنا نعدها من قبل . لقد صار من التقاليد المتوارثة أن تخصص هذه الحجرة للسيدات ، المصريات بالطبع . وهكذا جرى العرف ، إذا ما وفد الطالبات المصريات على هذا النادي ، لقراءة الصحف ، أو للمقابلة أو لحضور مناظرة أو محاضرة أو محفل من محافل السمر .

وكانت هذه الحجرة فيما مضى غاصة بصاحباتها ، حين كان عدد هؤلاء الطالبات في لندن وفيرا ؛ وكنت اذا مررت بها ، تسمع من خلف بابها المغلق صيحات المتجادلات والمتحمسات ، كم تسمع رنين الضحك ، وكن يعقدن في هذه الغرفة الزرقاء الصغيرة اجتماعتهن حين كانت لهن جمعيات منذ سنين . . .

وكن ينقسمن الى طوائف وشعب ، ولا ترى واحدة منهن فريدة ، بل لكل صديقتها القريبة تماشيها وتجالسها وتساكنها . وكن في محافل السمر وغيرها مما يعقدها النادي ، يجاهدن في أن يظهرن كما يجب أن تكون الفتاة التي أخذت قسطا طيباً من الثقافة الانجليزية ! لهذا كن لا يتكلمن عادة الا بهذه اللغة ، والكثير منهن يحذقنها جد الحذق . وهذا استعداد نسوى تتميز به المرأة ..؟

...

ولقاعة البليارد روادها ، وما من مصرى وفد على لندن الا جرب مهارته فى هذه اللعبة ؛ وترى فى هذه القاعة وجوها لا تكاد تفارقها، يلعب أصحابها بانتظام كما يلعبون بمهارة ، وترى من يتناول طعامه حول مائدة البليارد دون أن يترك اللعب ، يتناول قطع الساندوتش أو أقداح الشاى والكيك .

...

وليس أزدل من حجرة الورق فى النادى المصرى. وليس من حجرة أثارت النقاش والجدل حولها كهذه الحجرة ، وليس من حجرة قسمت أعضاء هذا النادى فرقا كما قسمتهم هذه الحجرة . وهى هى كما كانت من قبل لها روادها وزبائنها ؛ ولا أذكر أننى كنت أدخل هذه الحجرة مرة كل عام ، وإذا دخلتها كنت كالغريب التائه . لهذا كنت أكرهها وأكره حتى البحث عن أصحابى فيها . . .

وترى زبائنها كمتعاطى المخدرات ، يقطعون الساعة تلو الساعة فى مقاعدهم لا يترحزون، فى جو مغبر من أنفاسهم ومن دخان التبغ، وتدخل عليهم فلا يكادون يرفعون أعينهم من الورق، وإذا نظروا اليك نظروا اليك بعيون فارغة، وفكر مشتت، ولا تكاد تكلم واحداً منهم ، أو تفضى إليه بأمر أو تطلب منه شيئاً .

...

وحجرة الطعام عامرة دائماً بالآكلين .

لقد صار النادى المصرى فى السنين الأخيرة ، أكثر شرقية من ذى قبل . فإذا ما دفعت الباب الداخلى ، وكان الوقت ظهراً ، هبت عليك رائحة تذكرك ببيت مصرى تدخله فى مثل هذه الساعة .

وفى مثل هذه الساعة يكثر الوافدون من المصريين على هذه الدار الحمراء فى بيكر استريت ، تقودهم هذه الرائحة التى هبت عليك حين دفعت الباب الداخلى . تقود

ذلك الذى يسكن فى أطراف لندن الجنوبية الى بيكر استريت ليتناول طبقاً من الارز!  
هذا هو التجديد فى النادى المصرى منذ أن عرفناه من سبع سنين ، وما هو  
بتجديد ، فنحن لانرحل الى لندن لنبحث عن الارز وغير الارز.

...

وفى الساعة الحادية عشرة يقفل النادى المصرى أبوابه ، وكنت - منذ زمن -  
ترى ذلك الخادم الارستقراطى « باركر » بملابسه الزرقاء ، يدور حول غرف النادى  
ينبه اللاعبين والمتسامرين بأن الساعة قد أزفت ، وكانت لا تجدي الماطلة معه ، اذ كان  
يعود ويعيد التنبيه والملاحظة . . .

...

وفى الساعة الحادية عشرة تمر على البناء الحادى والسبعين فى شارع بيكر ، فتجد  
البناء مظلماً الا من حجرة يبص منها النور بصيصاً  
هذه هى حجرة الورق ، أزدل حجرة فى النادى المصرى الملكى فى لندن . . .



## الرياضة

لقد أخذت الرياضة على الانجليز كل طريق . وصارت الرياضة مظهراً هاماً للحياة الانجليزية ، بل لعلها صارت أوضح هذه المظاهر جميعاً .  
في كل شيء في لندن تتلمس أثر الرياضة ، وتتلمس مبلغ تأثير الرياضة على الحياة الانجليزية ، وعلى تفكير الشعب الانجليزى جماعات وأفراداً . في الصحف ، في الكتب في المطاعم ، في دور السينما ، وراء جدران الجامعة والمدارس ، في البيوت ، في الأندية ، في الحدائق والمتنزهات ، في كل هذه وفي غيرها تلمح أثر الرياضة .  
هذه الطبقات العديدة التي تصدرها الصحف المسائية في لندن ، ليس فيها من جديد إلا أخبار الرياضة ، وهذا الهامش الذي يترك عادة لأخبار آخر ساعة لا يملأ في كثير من الأحيان إلا بنتائج المبارات الرياضية ! وهؤلاء الآلاف من العمال الذين تراهم في المساء ، بجانبك وهم بملابس العمل في طريقهم الى منازلهم ، يقرأون هذه الصحف المسائية باهتمام ، ولكنهم لا يبحثون عن الشؤون السياسية أو الاقتصادية بل عن وصف حفلات الرياضة أو نتائج السباق .

وشؤون الرياضة هذه هي التي تشغل بال هؤلاء العمال ، الذين لا يتناقشون باهتمام في شيء كما يتناقشون عن هذه الشؤون ، وخلف أبواب الحانات تراهم كذلك لا ينقطعون عن الجدل ، ولكن عن الرهان على نتائج مباراة الكرة أو سباق الخيل ! لهذا كان الاهتمام بقراءة ملاحق الصحف المسائية كبيراً .

ووراء جدران الجامعة ، تجدد الرياضة لها مكاتها وآثارها . لوحات الاعلانات والتعليقات في هذه الكليات لا تكاد تجد بها شيئا اللهم إلا ما هو مختص بشؤون الرياضة ، والمبارات المستقبلية ، ونتائج المبارات الماضية . ولا تجد طالبا في كلية من كليات الجامعة الا وهو عضو في ناد من هذه الأندية الرياضية، ولا تجد فتاة كذلك الا هي تشترك في نادى السباحة أو التجديف أو التنس أو الهوكى . والطالب الأجنبي في الجامعة - لا سيما الشرقي - لا يزال أجنبيا نفورا ، حتى يشترك في احدى هذه الأندية ، وحينئذ فقط نزول الكلفة والاصطناع بينه وبين زملائه الأنجليز . وينظر اليه من المصريين من يندمج في هذه الفرق الرياضية ، ولا شك في أن المصرى يفقد كثيرا بهذا الانزواء ، ولا يجد الحياة الاجتماعية في



وفي أيام السباق الختامي تزدحم لندن بالآلاف

الجامعة سلسلة رائعة كما لو كان متشبعاً بهذه المبادئ الرياضية .  
وليس بدعا أن تجد الأستاذ الكبير في هذه الكليات أو في المدارس الإنجليزية  
يلعب مع احد تلاميذه ، أو يرقص مع احدى تلميذاته في حفلات الكلية الساهرة .  
والرقص في نظر الإنجليزي لا يخرج عن كونه ضرباً من ضروب الرياضة .

...

وفي المطاعم تجد آثار الرياضة . حتى قائمة الطعام في مشارب الشاي الكثيرة في  
لندن لا تخلو من ذكر الأخبار الرياضية ، حتى اذا جلس الإنجليزي لتناول الغداء أو  
الشاي ، يجد ما يشبع شهوته الرياضية كما يشبع جوفه الخالي .  
ان هذا النشاط الذي تراه متمثلاً في هذه القامات المنتصبة والحركات السريعة ،  
والوجوه الصبوحه ، لا شك في أنه من فعل هذه النزعة الرياضية التي نبتت مع الطفل  
الانجليزي والطفلة الانجليزية منذ النشأة الأولى .

ورشاقة الفتاة الإنجليزية العاملة ، لا تجارها فيها الباريسية الصميمة ، هذه ركنت  
الى الأزياء والى الدهان لتثير نسويتها ، وتلك الى جسمها والى طبيعتها ، فرفعتها الى  
الكمال الانساني ! وهكذا ترى الفتيات العاملات في الصباح تحمل كل منهن حقيبتها  
الكبيرة ومعطفها ومظلتها ، وتمشى بقدم ثابتة ، وبوجه صبوح تحت قطرات المطر  
دون تردد أو احجام .

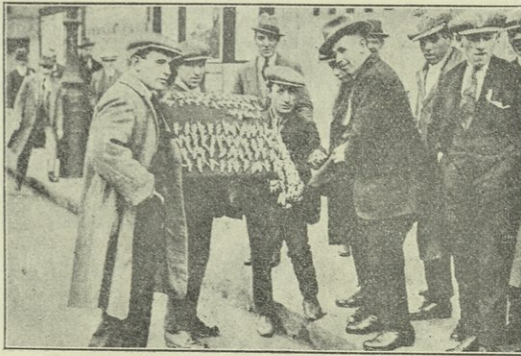
...

وفي دور السينما لا بد وأن تشاهد شيئاً من أخبار الرياضة وشؤونها ، واذا  
توليت الى الحدائق وجدت ملاعب التنس والجولف أمامك ، ورأيت التجديف  
والسباحة في جداول الماء .

الرياضة ، الرياضة في كل مكان وعلى كل لون !

وأنواع الرياضة التي تجدها في لندن ليس لي أن أحصرها، ولكل منها هواته ،  
ورواده . التنس ، كرة القدم ، الرجبي ، الجولف ، الهوكي ، الكريكت ، سباق  
الخيل ، سباق الزوارق .

ولندن حافلة بكثير من الملاعب ذات الأهمية العالمية في كل فرع من فروع  
الرياضة . ففي ومبلي حيث أقيم المعرض الامبراطوري ، تجد ملعب كرة القدم الكبير  
الذي يسع نحو مئة ألف متفرج . وفي الدور النهائي لألعاب الكرة السنوية ، تموج  
لندن بالوافدين اليها من معامل القطن في لانكشير ومن معامل الحديد في شيفلد  
ومن يفدون اليها من ايرلندا ومن اسكتلندا . ولندن ذات الملايين التي تبلى في  
محيطها كل جديد ، تعجز عن اخفاء هذه الآلاف من أهل الشمال الذين يجوسون  
خلال بيكادلي الى منتصف الليل ، يغنون وينشدون حتى يحين وقت قطاراتهم الليلية  
الخاصة التي تحملهم الى بلادهم .



بائعو شارات جلب الحظ لمتفرجي السباق

وفي جنوبي لندن تجد ملاعب التنس في ومبلدون حيث تلعب عادة الدورة الأخيرة  
لبطولة التنس في العالم ، وفي مثل هذه الألعاب تشترك العائلة المالكة الانجليزية في  
مثل هذه المبارات .

والجولف لعبة ارسنقراطية ، لا تلعبها الا الطبقة الخاصة فى انجلترا ، اذ تحتاج الى أجور ليست فى طاقة الانجليزى العادى ، أما الكركت فله أندية كبيرة فى كثير من أطراف لندن ، تجدها عامرة فى أيام السبت والأحد ، حيث يجتمع الشبان العاملون ابان الأسبوع فى هذه الملاعب .

أما سباق الخيل . فلا ينقطع فى انجلترا . ولكل مدينة أسبوعها فى السباق ، وتجد القطارات الخاصة بأجور مخفضة من لندن ومن غيرها ، تسير بانتظام الى حيث يعقد السباق . والرهان كاليانصيب ممنوع فى انجلترا الا فى حلبات السباق . وللانجليز جنون بالسباق وبالرهان فيه .

ومواسم سباق الخيل فى لندن مواسم رياضية عالمية ، ومن ذا الذى شاهد سباق الداربي الذى يعقد فى اسبوم فى جنوب لندن ، ورأى هذه الآلاف المؤلفة من الانجليز ، من أمرائهم ولورداتهم ، ومن عمالهم وعمالاتهم ، ولا تتضاءل فى مخيلته حفلات السباق التى كانت تقام منذ القدم فى بلاد الاغريق أو فى رومة ؟ وبعد سباق داربي هذا ، يعقد سباق اسكوت مجمع فاخر ، معرض للغنى والبذخ والأزياء ، معرض لكل شىء ، يحضره ملك انجلترا فى كثير من الأحيان .

أما حفلات التجديف وسباق الزوارق ، فمن ذا الذى لم يسمع بسباق كمبردج واكسفورد التاريخى ، تقاليد رياضية مرت عليها عشرات السنين ، ولا تزال هاتان الجامعتان تحافظ عليها جد المحافظة ؟ وفى هذا السباق الذى يمتد على التيمز ، من باتنى الى مورتليك «أو ما يقرب من أربعة أميال ونصف» تجتمع على ضفاف التيمز ، انجلترا منقسمة الى حزبين ، الى حزب الأزرق الفاتح ، حزب كمبردج ، والأزرق الغامق حزب اكسفورد ! ولعل هذه الأحزاب ، التى تتوارث مبادئها جيلا بعد جيل فى العائلات ، أكثر أهمية عند الانجليزى من الأحزاب السياسية المتطاحنة .

## جوامع لندن

لاشك أن جامع ووكنج في لندن تحفة فنية . تحفة تثير اعجابك ، لدقتها وبراعة صنعها ، ولكنها لا تثير فيك الاجلال أو الشعور بالعظمة !  
ما أبعد الفرق بين جامع ووكنج هذا وجامع باريس ؟ ما أبعد الفرق بين الدمية التي يقبلها الطفل كيف شاء ، وبين التمثال المرمى المرتفع ؟ وهكذا اذا زرت جامع ووكنج ، تعجب لبراعة صنعه ، وتعتبره تحفة فنية رائعة ، ولكن هذا كل شيء .  
مصلى ، ومنبر ، وما آذن ، وقاعة ، وأبواب ؛ وهذا المصلى قاعة بل حجرة صغيرة ، ذات قبة كأنها ضريح لا يكاد يتسع لصلاة الجماعة . وهذه المنائر التي تحف به لا تستخدم لاذان أودعاء للصلاة ، هي حلية ليس الا ، والأبواب والجدران ذات هندسة مغولية ، وان كانت منقوشة نقشا عربياً بديعاً .

...

وليست ووكنج هذه في قلب لندن . بل عليك أن تأخذ القطار اليها وتنزح بعيداً الى الجنوب . الى هذه القرية الساكنة الفاتنة ، ولا تسأل أحداً ، لأن كل من يقابلك يدلك على الطريق الى هذا الجامع الذي صار تحفة تعز به ووكنج ، وترى صورته معروضة عند بائعي الصحف !

وفي طريق طويل ، ولكنه جميل فاتن ، تسير الى حيث جامع ووكنج بين أشجار مرتفعة ظليلة وأسوار خضراء ، وحدائق زاهية ، وملاعب للتنس ،

تسير ، ومن حين الى حين تقابل صببية يلعبون أو فتاة على دراجتها ، أو سيدة قروية  
تعود الى دارها ، اذا وصلت الى حيث الجامع واكتشفت قبته من خلف  
الأشجار الكثيفة ، فانك تسير في درب طويل مسور بالأشجار ينعطف بك يمنة  
ويسرة حيث هذا الجامع ، الذي لا أظن أنه يفتح أبوابه الا في أيام الأعياد !  
وأمام هذا البناء فسيح أخضر ، به بيت للضيافة ، ودار لمام هذا الجامع «الخوجة»  
عبد المجيد»



جامع ووكنج

وفي أيام الأعياد تفد الوفود الى ووكنج من لندن ومن غيرها ، تفد الوفود الى هذا الجامع مئات . وتصبح ووكنج هذه القرية الهادئة ، كأنها في عيد . وترى الفتيات يقفن على منعطفات الطريق من المحطة الى الجامع ، يراقبن هذه الوفود الغفيرة ، التي يبدو عليها المرح والاعتباط ، بالاجتماع وبالعيد وبووكنج نفسها .

وترى هذه الأفواج في ملابسها الزاهية ، ترى جموع المهنود بلحاهم المرجلة وعمائمهم ، والمصريين بطرايشهم ، والعراقيين بفيصلياتهم ، والافغانيين بقلابهم وغيرهم في ألوانهم وأزيائهم ، التي تجعل منظر هذه الوفود نادر الوجود في لندن

وترى وفود الانجليز : الانجليز المسلمين وغير المسلمين من أصحابهم أو ممن يحضرون لمشاهدة هذا المنظر الرائع النادر في لندن ، ليشاهدوا مواكب الشرق تحيي تقاليدهم في مهجرها .

وفي هذا الفسيح الاخضر ، تفرش البسط والسجاجيد الشرقية الفاخرة وتجلس هذه الجموع في حلقات ، وحول هؤلاء تجد صفوف المقاعد لمن يريدون الاستماع وهم جلوس عليها ، وفي الساعة الحادية عشرة يبدأ الامام بالتقديم لصلاة العيد ، فتدوى في هذا السكون آيات القرآن ، بلهجة هندية فيها الامالة والاطالة والغن ، وينصت الجميع يسمعون ، وقد ينصتون لتوافق حروف هذه الآيات ونغماتها ، دون فهم معانيها . ثم يبدأ خطبته باللغة الانجليزية ، خطبة عامية فنية حديثة ، ليس لجوامعنا عهد بها بعد .

فذا انتهت الصلاة هرعت الجموع الى عشرات الموائد التي تقام في طرف هذا الفسيح ، حيث اللحم الذي غمس في الكاريه الهندي ، ثم الارز والحلوى التي لم تنج كذلك من هذه التوابل الحريفة الصفراء !  
وهكذا تقضى يوما رائعا في ووكنج !



وفي شارع نوتنج هل حيث ، جامع آخر في لندن ، وماهو بجامع بالمعنى الصحيح . بل هو بيت عادى ذو طابقين ، تعقد فيه اجتماعات اسلامية كل اسبوع ، اذ ان مثل هذه الاجتماعات غير ميسورة في مكان نازح مثل ووكنج .

وفي هذا المكان كثيراً ما كنا نجتمع لصلاة الجمعة . وكان الوقت المحدد لها الساعة الواحدة والنصف ، لكي يكون ذلك ميسوراً لجميع هؤلاء الذين يعملون في مثل هذا الوقت في أنحاء لندن البعيدة . وكان الخوجة عبد المجيد - ولا يزال - بطل هذه الاجتماعات ، فهو الذى يقرأ جانباً من القرآن قبل الصلاة ، وهو الذى يؤم المصلين ، وهو الذى يقود الابحاث والمناقشات . وهو شخصية طيبة محبوبة ، من المتخرجين في اكسفورد أو كبردج لا أذكر ، تراه دائماً بملابسه الرسمية السوداء ، وبالقلبى الأسود ، والمظلة السوداء ، له وجه سمح ولحية مسترسلة ، وحديث مقبول .

فاذا ما انتهت الصلاة ، قاموا الى حيث غرفة الشاى ، حيث يتناولون أقذاح الشاى وقطع البسكويت التى يمر بها الخوجة عبد المجيد أو بعض المضيفين من الهنود . وكثير من هؤلاء المترددين بانتظام في أيام الجمعة هذه من الانجليز ، ومن السيدات الانجليزيات . ومن بين هؤلاء كنت أرقب شاباً انجليزياً عاملاً ، يحضر هذه الصلاة بانتظام ، ويحضر بملابس العمل ، وفي غير أيام الجمعة تراه يحضر برفقة زوجته الشابة الجميلة في ملابسه العادية المحترمة .

وبين هذا الجمع تجد جماعة من السيدات العجائز المسلمات أيضاً ، ممن لا ينقطعن عن الكلام والملاحظة دقيقة واحدة ، واذا أقبلن على الصلاة وقفن سوياً في الصف الأخير ، ولفظن حول وجوهن لثاماً أبيض كأنهن في عرفات .

وفي أيام الأحد يعقد اجتماع آخر في هذا المكان ، تلقى فيه الخطب وتقام المناقشات وتخدم ، ويحضره كثير من زعماء المسلمين في لندن من انجليز ومن هنود .

وفي هذا المكان كثيراً ما لقيت لورد هادلي الزعيم الإنجليزي المسلم ، وكثيراً ما كنت أرى محمد علي الزعيم الهندي الراحل - ولكنني لا أذكر ان رأيت أغا خان - كما انني عقدت في هذا المكان عرى الصداقة باقبال علي شاه، الكاتب والرحالة الأفغاني.

...

وفي وستمنستر ، أو في سنت جيمس، يفكرون منذ سنين في اقامة جامع كبير يتناسب مع لندن الكبيرة، وقد تمر سنون قبل أن يوضع أساس هذا الجامع ، ولكن مع ذلك سوف لا يفقد مسجد ووكنج الأنيق مكانته الفنية على الأقل ، من أولئك الذين عرفوا الطريق الى ووكنج ، وقضوا صباح عيد الأضحى ومساءه في تلك البقعة السحرية الجميلة ، التي تذكرنا بالشرق ونحن في أطراف لندن .

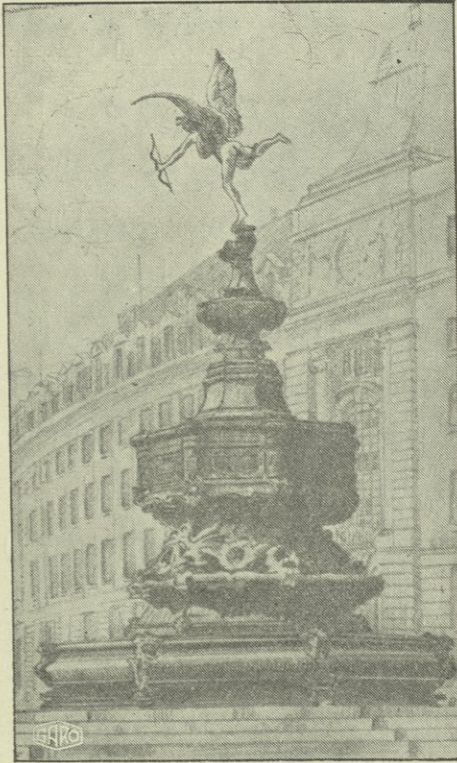
## بيكادلى

اذا نامت لندن ، أو أقفرت طرقاتها ؛ فان بيكادلى وحده هو الذى يبق مستيقظا  
كأنه القلب مركز الحياة ، ومركز العواطف الجاحمة ! وبيكادلى حقا قلب لندن  
الخفوق !

فى الليل يتجلى سحر بيكادلى ؛ وفى الليل تظلم لندن لىضىء بيكادلى ، وتسكن  
ليثور ، وتنام هى ليستيقظ . يحى الليل حتى هزيعه الأخير . واذا مررت على ميدان  
بيكادلى فى النهار ، تكاد تحس بأن جدرانها نائمة ، وأن الوجوه التى تشاهدها على  
أبواب مسارح بيكادلى أو مقاهيه أو أندية ، كأنها تجاهد النوم جهادا ، وقد أثقل  
جفونها السهر الطويل .

وفى هذا الميدان الذى تتفرع منه شرايين بيكادلى ، يرتفع تمثال كيوييد ، إله  
الحب؛ كيوييد الولد الغرير ، الذى يحمل قوسه وجعبة سهامه ، يرسلها الى كل قلب !  
وليس لكيوييد أن يجد أبر من بيكادلى وأرحب منه جنابا لصيده وقنصه ؛ فهؤلاء  
الذين يقومون ولندن نائمة فى الليل ، يقومون خفية الى بيكادلى ، لا يبحثون إلا عن  
الحب ، إذا كانت قلوبهم خواء ، ولا يبحثون إلا عن السلوان فى الحب اذا كانت  
قلوبهم مكلومة جريحة ! وهكذا يقف كيوييد بأجنحته المرفرفة ، بقوسه وسهامه ،  
يستقبل وفود الهوى ، تطوف حوله ثلاثا ، وينظر الى ضحاياها وهو باسم ككل  
طفل غرير !

وفي هذا الميدان المستدير ، حيث تمثال كيوييد «إروس» تصب عشرات الطرقات الى الشمال والجنوب والى الشرق والغرب ، ويمتد فوق هذه الطرقات الضيقة التي تتفرع وتتعرج ، سلطان كيوييد ، بل ان في ظلام هذه الطرقات يبدو سحر بيكادلي أو على الأصح بيدو سر بيكادلي . وقليل من كشف عن هذا السر !



تمثال كيوييد في قلب بيكادلي

وكثيراً ما حاولت أن أكتشف

عن هذا السر ، اذا ما تقدم الليل أو اذا انتصف في بيكادلي . فكنت

أسير في هذه الطرقات الساكنة

الخاوية ، أعقد معطفي ، وأزل

القبعة على وجهي ، وأضرب

في هذه الطرقات الصامتة ، أبحث

عن سر بيكادلي الذي لا تكتشفه في

الميدان الهائج المائج ، ولكن كانت

لا ترداد هذه الطرقات إلا سكونا

وصمتا ؛ وكنت أضحك من

نفسى ، وأسخف تفكيري هذا !

هنا في هذه الطرقات التي

تحيط بيكادلي ، يعيش رجال

الفن ، رجال الموسيقى والتمثيل ،

تعيش الفتيات اللاتي يبحثن عن الشهرة في استري أو هوليوود ، مئات من هؤلاء

تراهن يتسكمن حول مكاتب المخرجين ، يترددن عليها كل يوم ، ويقضين الساعات الطويلة، ينتظرن بلا ملل المخرج الذى يبحث عن نجوم جديدة . .

يعيش هؤلاء الفتيات فى عالم من الأحلام ، يعشن بالأمل ؛ فتيات من كل جنس من الروسيات النازحات الى لندن منذ الحرب العظمى ، مئات منهن يملأن بيكادلى ، ومئات من اليهوديات الألمانيات ، وغيرهن من الشرق الأقصى ومن سكان جزائر الجنوب . . يسعون جميعاً حول تمثال كيوييد ، يسألنه الرحمة !

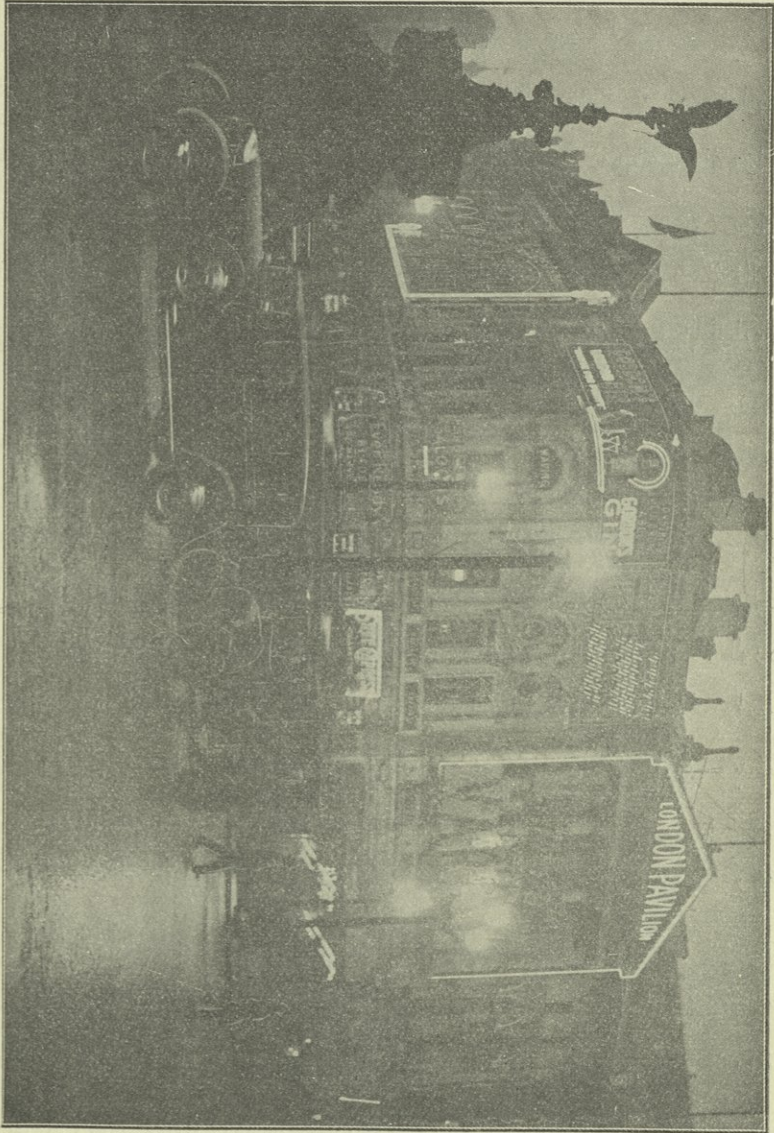
وفى هذه الطرقات تجد الباحثات عن الذهب ، تجدهن فى أركان المخازن المقفلة ، أو أمام نوافذ الأزياء المضيئة ، تجدهن جماعات جماعات ، وتعرفهن بأوفهن الطويلة المقوسة ، وبأجسامهن الثقيلة السامية !

...

وتحت تمثال كيوييد تجد بائعات الزهور والورد ، تجد صفا منهن ، يستقبلن الطائفتين حول هذا النصب ، ويحين الخارجين من دور المسارح ، أو الداخلين إلى الأندية والمطاعم الليلية ، تجدهن يعملن بجد فى حزم زهور القرنفل ، أو الورد الأحمر ، أو الكاميليا البيضاء . والبائعة منهن تعرف بالمران الطويل ، ما يطلبه كل واحد من زبائنها ؛ وهى تعرف من ملبسه ، ومن حركات وجهه ، ومن يرافقه ، مقدار ما يدفع ثمناً لبعض هذه الزهور ، وما يصلح له من قرنفل أو ورد أو كاميليا !

وكان هؤلاء المعجائز تحت هذا التمثال ، خادمت المعابد ، يطلقن البخور ، ويجمعن الندور !

ومن الشخصيات التى يكاد ينفرد بها بيكادلى ، الشرطة الانجليزية ! ترى هذه الشرطة فى ميدان بيكادلى فى كل مساء ، بملابسها الرسمية الزرقاء ، وصفارتها المتدلية وأزرارها اللامعة ، ثم بقامتها المرفوعة المشوقة .



الليل في بيكادول



الشرطية الانجليزية

ترى هذه الشرطية تسير على  
رصيف الميدان من حيث الريجنت  
بالاس إلى مسرح لندن بافيليون  
ومن هناك إلى ميدان لستر حيث  
الامير : تراها تسير الهوبنا توزع  
نظراتها ذات اليمين وذات اليسار  
وتنظر بامعان الى جماعات  
الباحثات عن الذهب ! وكثير  
منهن من الجميلات ، اللاتي مهما  
حاولن أن يبدن الخشونة  
والعسكرية أو يظهرن بمظهر اللاتي  
لا ينسقن الى عاطفتن النسوية ،  
فان وجوههن تزيد هذه المحاولة  
سحرا وفتنة !

...

ويكادى حتى المسارح ودور  
السينما ، والمراقص والمطاعم ،  
والأندية الليلية . دور المسارح

في شافزبرى افينيو متلاصقة متجاورة، ولا تجد على أبوابها الأنوار الساطعة التي تراها  
حول مسارح باريس ، وترى هذا الشارع والطرقات التي تؤدي إليه اذا أقبل المساء  
قد حفلت بصفوف الجالسين ينتظرون دورهم في الدخول بحسب تبكيرهم في الحضور .  
وقد ترى هذه الصفوف « الكيو » تنعطف من طريق الى طريق، حتى انها لتتقابل ،

فقد حدث أن جماعة جلسوا في ذيل صف من هذه بعد أن تتبعوه من حيث باب المسرح ، ولكن عندما ابتدأ الدخول ، وتقدم الصف قليلا قليلا ، وجدوا أنفسهم أمام مسرح آخر !

وإذا كانت الساعة الحادية عشرة وخرج هؤلاء المتفرجون ، غصت طرقات بيكادلي بالسيارات ، وارتفعت أصوات الأبواق ، وخرج المتفرجون الارستقراطيون بملابس



بائعة الزهور

السهرة السوداء والبيضاء ، وبالملابس الحريرية الفضفاضة ذات الذبول الطويلة ، يخرجون من المسرح الى احد المطاعم أو الأندية الليلية ليتناولوا العشاء أو ليقضوا السهرة ، أو ليحشوا عن سياراتهم في هذا الزحام وهذا الضجيج .

...

ودور السينما الراقية في لندن تجدها حول بيكادلي ، دور السينما التي تسع الآلاف ، والتي تتنافس في عرض الأفلام الجديدة لأول

مرة في أوروبا جميعها . ولا شك أن دور السينما في لندن فاخرة رائعة ، لاسيما التي تراها حول بيكادلي ، كابللازا ، والنيوجالاري ، والريلتو ، والامبير ، والكابيتول ، ثم المسارح القديمة التي تحولت الى دور خاصة للسينما كالممبرا والكارلتون . والأمبر الذي فتح منذ عهد قريب أفخر هذه الدور في بيكادلي ، يسع أكثر من ثلاثة آلاف متفرج ، به قاعات فاخرة للشاي والجلوس ، ومزين بتحف فنية رائعة .



وانتشرت منذ عهد قريب في بيكادلى ، مسارح الكاباريه ، على نسق الفولى برجير  
والمولان روج في باريس ، وكثير من هذه الفرق الباريسية تزور لندن بانتظام ،  
علها تبدل من الجو الانجليزى المحافظ فتملاًه مرحا ، لا يعرفه بيكادلى كما تعرفه  
مناقرت ..

وفي الليالى الماطرة يصبح بيكادلى غارقا في الأضواء والأنوار ، التى تنعكس من  
عشرات الاعلانات المضيئة والمتحركة على الأرض ، التى تصبح لامعة مصقولة بفعل  
المطر .

وتمر على بائعات الزهور اللاتى لا يثيرهن غضب الطبيعة ، وقد فتحن مظلاتهن  
الكبيرة السوداء ، وأخذن يعملن بجد فى تنسيق باقات القرنفل والكاميليا ، تحت  
أقدام تمثال كيوييد ، الذى كأن المطر قد جعله أكثر مرحا ، فراح يرمى بسهامه ذات  
اليمين وذات اليسار على رؤوس الجموع التى قد التصقت حول الميدان جزعا من  
دموع السماء ! . . .



## بين المرضى

طرقت مستشفيات لندن زائراً ، وعرفت عيادات الأطباء في لندن مريضا .  
عشرات من هذه المستشفيات في لندن، المستشفيات العامة ، والمستشفيات الخاصة .  
وليس أعرف من المريض بنفسية الطبيب ، وليس أعرف من الزائر بالجو الذي يسود  
المستشفى الذي يزوره .

هذه المستشفيات العديدة في لندن مجانية ، يتضافر أهل لندن على الانفاق عليها  
بسخاء<sup>(١)</sup> يصرفون عليها ملايين الجنيهات كل عام . ولأجل هذه المستشفيات يقيم  
طلبة الجامعات الكرنفالات لجمع التبرعات ، ولأجلها تقام أعياد الزهور في لندن وفي  
غير لندن ، ولأجلها تجمع أوراق القصدير في صناديق هذه المستشفيات ! فكرة بعيدة  
ولكنها فكرة أثبتت نجاحها .

ولتنظيم هذا العلاج المجاني ، يدفع كل عامل مبلغاً زهيداً إلى الشركة أو الجمعية التي  
ينتسب إليها ، حتى إذا ما جاءه المرض أرسل إلى إحدى هذه المستشفيات ليقضى فيها  
مدة علاجه ويدفع له أثناء ذلك أجر إذا كان معيلاً ، أو عاطلاً . لهذا أمن كل عامل  
انجليزي سطوة المرض الطاريء .

...

مستشفى سنت بارتلميو ، أو سانت بارت كما يدعوه أهل لندن ، أقدم مستشفيات

---

(١) راجع مقدمة الدكتور حافظ عفيفي باشا .

لندن جميعها ، وهو أحد المستشفيات التي عدت فيها مريضا انجليزيا ، قضى في هذا المستشفى نحو شهرين لاصابة ساقه دون أن يدفع أجرا ، بل دون أن يقطع أجره الأسبوعي .

في بهو طويل صف فيه أكثر من عشرين سريراً على الجانبين ، زرت هذا الصديق ووجدته يقرأ بين كومة كتب بجانبه . وإبهاء هذه المستشفيات بيضاء زاهية نظيفة جد النظافة ، قد نسقت على طاولتها الوسطى باقات كبيرة من الزهور .

وفي هذا المستشفى القديم كان يعمل كثير من أفذاذ الأطباء ، تعرف ذلك من طائفة الصور التي بها ، أمثال هارفي مكتشف الدورة الدموية وغيره . وفي هذا المستشفى وحده يجري ما ينيف على ستين ألف عملية جراحية كل عام ، ويدخله نحو تسعين ألف مريض غير الزائرين وتصله من التبرعات نحو ستين ألف جنيه . وأمثال مستشفى سان بارت هذا كثير في لندن ، أشيرنج كروس ، وجايز ، ومدلسكس ، وسان توماس ، ووستمنستر وغيرها .

والممرضات في هذه المستشفيات ، يحملن عائدى مرضاهن لا ينقطعون عن الزيارة ! يحملون لهن ، كما يحملون لهؤلاء المرضى ، الزهور وعلب الحلوى . كانت صاحبة الدار التي أسكن بيتها مريضة ، وكنت اذا زرتها في مستشفى هايجيت تسألني أن أتخير زهور القرنفل الحمراء ، لأن ممرضتها الغالية الجميلة تحب هذا اللون ! وكل ممرضة تتباهى بما يحمل إلى مرضاها من الزهور لتنسيقها وتجميلها .

...

وأجور الأطباء في لندن معقولة ، معقولة جدا ، بل رخيصة . وكنت في بادئ الأمر - قياساً على مصر - لا أفكر في زيارة طبيب إلا في الضرورة القصوى ، معتمداً على اقتراحات الصيدليات ، ولكني اكتشفت متأخراً انني كنت مخطئاً .  
تمر على عيادة هؤلاء الأطباء المتواضعة ، ذات النافذة العريضة الملونة بالدهان الأحمر

وقد كتب عليها بخط واضح « عيادة » تدخل حجرة عادية بسيطة ، بها بضع مقاعد وطاولة عليها صفوف من الكتب القديمة والجديدة . وقد تلمح على جدرانها شيئاً من الصور ، أو شهادة جامعية في اطار كبير .

وفي حجرة الانتظار هذه ، يدخل هؤلاء المرضى ويجلسون ، ينتظرون دورهم في صمت أو يقطعون الوقت بالقراءة ، إلى أن يفتح الباب الداخلى وتخرج سيدة تحمل زجاجة ، تعرف من ملامحها أنها المريضة التي كان يفحصها الطبيب . ثم يطل عليك رأس الطبيب نفسه ، بمعطفه الأبيض ونظارته . يدور بعينه حول الجالسين ويحييهم حتى تقع عينه على الزائر الأول فيطلب منه الدخول .

حجرة صغيرة ، بها مقعد وسرير من الجلد وطاولة ورفوف ملاءى بالورق والكتب والأدوية ، هذه هي حجرة الطبيب الخاصة . فإذا تم السؤاا والجواب وتم الفحص ، كتب لك ورقة الدواء ، ودخل إلى حجرة على بابها ستار حيث يحضر بعض هذا الدواء أو جميعه . ثم تسأله عن الأجر وعن الدواء .

— ثلاثة شلنات ونصف !

وقد يقل هذا الأجر كثيراً حتى يبلغ شلنا ونصفا ، ومع ذلك فهؤلاء الأطباء الذين يعملون جانباً من وقتهم في المستشفيات العامة ، يجمعون ثروة لا بأس بها من هذه الشلنات القليلة التي لا تدل على جشع — حمانا الله منه — يتناقى ومبادئ الانسانية ، باستغلال المرضى وضعف المريض وحاجته !

وفي هارلى استريت ، طبقة الأطباء الاخصائيين في لندن — ويكفى أن يذكر عن الطبيب الانجليزى أنه من ساكنى هارلى استريت حتى تعرف مكانته ومركزه العلمى والاجتماعى . شارع عادى ككل شارع في لندن ، ليس فى مبانيه عظمة ما . فى هذا الشارع يسكن كبار الأطباء الانجليز ، وعظماؤهم ؛ وفى هذا الشارع لا يتعامل الأطباء ولا المرضى بالشلنات ، ثلاثة جنيهات فقط للزيارة ! ويكفى أن تدفع هذه

الجنبيات الثلاثة لكي تشفى ، ويكفى أن تمر على هارلى استريت لكي يتلاشى  
عنك المرض !

ولا نذكر المستشفيات والأطباء إلا لندكر الصيدليات ، ولا نذكر الصيدليات  
الانجليزية الا لندكر صيدليات بوتس !

في كل حي في لندن وفي كل طريق تجد صيدلية من صيدليات بوتس هذه ،  
تجدها في كل بلدة وقرية انجليزية ! وليس أمتع عندي من جولة في احدى صيدليات  
بوتس ، تدخل فتجد صفوف الأدوية وعليها أمانها ، أثمان رخيصة ، تفريك بالشراء  
وتدفعك الى التفكير في المرض ولولم تكن مريضا .

وفي كل حي كنت أسكنه في لندن ، أعرف أول من أعرف فيه عمال صيدلية  
بوتس ، وكنت أتردد عليها بانتظام أشتري منها في كل مرة شيئا جديدا وان لم أكن  
في حاجة اليه .

ومع وجود هذه الصيدليات الكبيرة ذات الأثمان المقبولة ، فانك لاتزال تجد أولئك  
الخطباء في أركان أشيرنج كروس أو في سوق كاليدونيا أو هامستد ، الذين يجمعون  
حولهم الرعاع ويبيعونهم الأعشاب وغيرها بعد محاضرة فلسفية طويلة !  
قوة العلم مازالت قاصرة ، عن قوة المعتقدات . .

## اطفال لندن

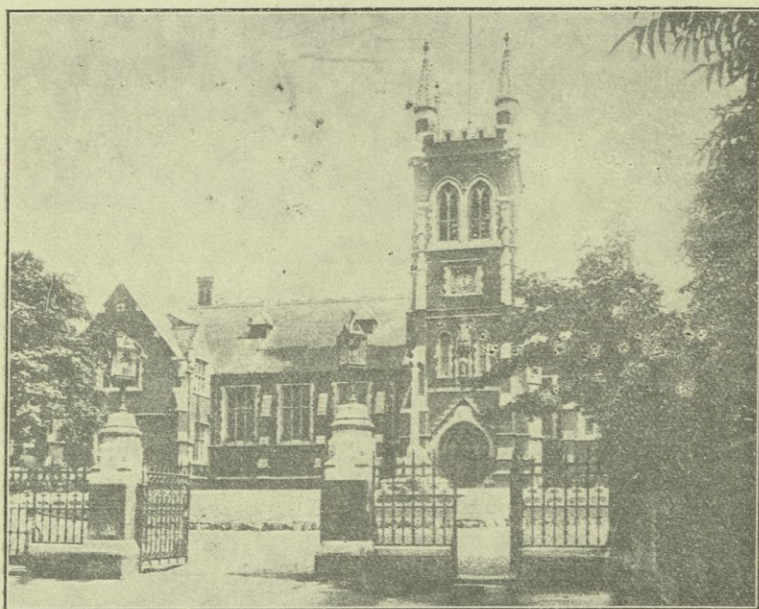
كم أيد اشتركت في صنع الطفل الانجليزي ؟  
المدرسة وحدها لا تكفي ، والبيت وحده لا يقوم بكل هذه المهمة ، لأن هذا الطفل  
قد اجتمعت عوامل عديدة على صبغه بهذه الصبغة الانجليزية ، وهو لا يزال غضاً سهل  
التكييف .

الطفل الانجليزي كالرجل الانجليزي له شخصيته المستقلة . يلقن منذ صغره بأن له  
رأيه وله تفكيره وله وجهة نظره ، يلقن بأنه طفل ممتاز !  
وتجد البرود الانجليزي متمثلاً في هذا الطفل ، لاسيما اذا حاولت اثاره استطلاع  
قصداً ، فلا تراه ذلك الثائر المتوتر الأعصاب رغبةً ، لأنه يدرّب على أن يكتب من  
انفعالاته ، ويدوس من عواطفه .

والطفل الانجليزي يلقن تاريخه بكل الأساليب وبكل الطرق ، يلقن مواضع العظمة  
في هذا التاريخ ، فهو يسمع عن ماضيه وعن العظماء والأبطال من أجداده في القصص  
والحكايات ، في كتبه الخاصة ، في الروايات التي يمثلها في المدرسة ، ويراها في المعارض  
والتاحف ، يسمع هذا التاريخ من أمه ومن أبيه ومن إخوانه ومن المعلمين ؛ فينشأ وهو  
يشعر شعوراً بعيد المدى بامتيازته وتفوق الشعب الذي ينتسب اليه . وليس أكثر  
تأثيراً من التاريخ ، في تكوين المثل الأعلى للطفل ، التاريخ القوي الذي يفخر بأسماء  
الأبطال والعظماء الذين قادوا بلادهم إلى النصر أو إلى الرق .

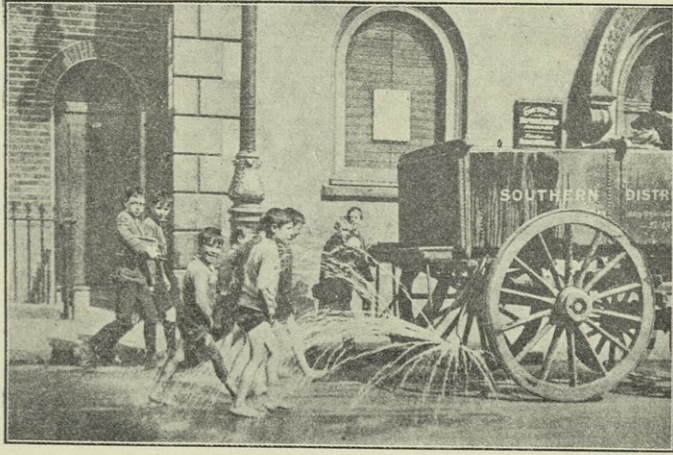
والتاريخ الانجليزي حافل بكل هذا ، لذلك كانت التربية القومية لايعتمد فيها على المدرسة ، فالتحاف والمعارض ، والمناهل والنصب التذكارية التي يراها في كل ميدان وفي كل حديقة ، وأمام كل بناء عام ، كافية لاثارة هذه النزعة التواقفة في نفسه ، كافية لصقله وتكليفه .

ليس في التربية الانجليزية الصرامة والشدة التي نعرفها في الشرق ، هذه الصرامة التي تجعل الطفل يقتل في نفسه النزعة إلى الحرية في القول والفعل ، والتي تجعل علاقته بوالديه شاذة مبنية على خوف لا على حب أكيد، وتقتل في الطفل كل مانعوه الشخصية .



احدى مدارس بلدية لندن العديدة ذات الابنية الحمراء والبيضاء

والطفل الانجليزي يصارحك بكل شيء ، ويقابلك ولو كنت غريباً عنه بكل ثقة وطمأنينة ، بل إن والديه يدفعانه اليك اذا كنت زائراً دارهم ، وهو لا يتوانى عن أن يسألك ويستجوبك اذا رآك أهلاً للسؤال وهو لا يتوانى عن أن يبدى ملاحظته لك ، اذا وجد في كلامك ما يدعو إلى مثل هذه الملاحظة ، يديها ولا يجد ما يقرعه على قولها، اذا كانت صارمة بعض الشيء .



في كل مكان ! وفي حي لندن الجنوبي ..

وفي البيت يعامل الطفل على أنه مستقل ، ويؤخذ رأيه اذا كان المجال لأخذ الرأي ، وتراه يجلس على المائدة معهم ، ويسأل عما يطلب، وعن كمية السكر أو اللبن أو الحلوى التي تكفيه ، لهذا كله لا ترى الطفل الانجليزي بأكل بلا حساب ، ويسطو على مطبخ البيت يحمل منه الفاكهة أو الحلوى أو البندق اذا تيسر له ذلك ؛ فقد يمر الأسبوع وهذه وغيرها في حجرة المائدة يمر عليها عشرات المرات ولا يجد الرغبة إلى السطو عليها !

والطفل الانجليزي ، له حجرته المستقلة في البيت اذا ما بلغ العاشرة ، وله الحرية



كاملة في هذه الحجرة ، ولا يجد من يفتح عليه بابها بلا استئذان ولو كان أبوه ، وهو مسؤول عن تنسيق هذه الحجرة وتنظيمها بحسب ذوقه وميوله ، تجد على جدرانها صورته وشهادته المدرسية وأنواط التفوق ، وفيها كتبه كما فيها أدوات النظافة ومعدات النوم .

...

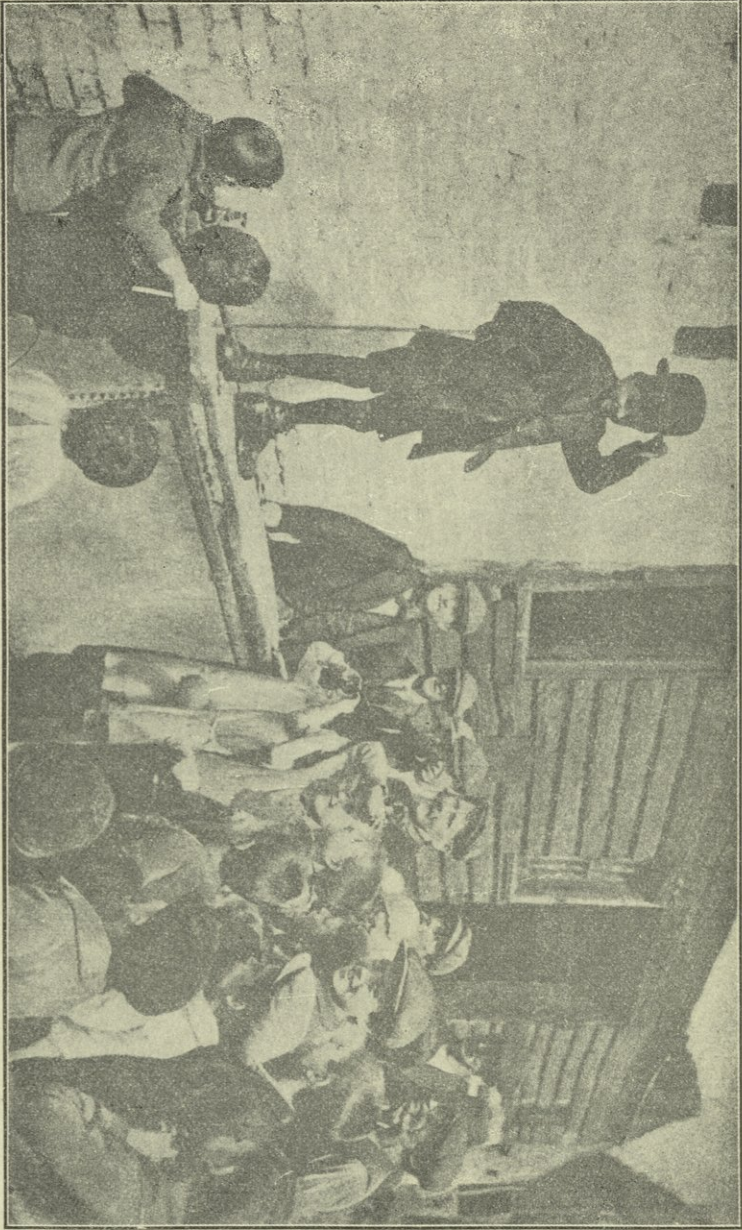
والمحافظة على الوقت يتعلمها الطفل الانجليزي في البيت ، والبيت الانجليزي يسير على نظام ثابت كأنه دورة الساعة اليومية لا يمتل ولا يقبل التغيير . ومن هذا النظام يستمد الطفل هذه الروح ويتعلم أن الزمن مقسم إلى وحدات اسمها الدقائق ، لالى الليل والى النهار فقط .

تمر في الطريق على طفلين انجليزين كانا يلعبان سويا ، وتسمع الواحد منهما يقول لزميله « انها الآن قاربت الخامسة ، لقد حان وقت الشاي ، ووالدتي تنتظرني الآن على المائدة ؟ وأنت كذلك . دعنا نتقابل غدا في هذا المكان نفسه ، في الساعة العاشرة إلا ربعا ، العاشرة إلا ربعا تماما . . . »

ترى كيف يحافظ الطفل الانجليزي على نظامه المنزلي ؟ وكيف يقيس الزمن بالدقائق ، وكم طفلا مصريا يعرف أن هنالك وقتا اسمه « العاشرة إلا ربعا » بهذا التدقيق الغريب ؟

...

ويتعلم الطفل الانجليزي الذوق والتأدب في المعاملة والحديث من كل الذين هم حوله فاذا طلب شيئا وقدمه له أبوه ، يرفض اعطائه هذا الشيء حتى يشكره عليه ، وأبوه أو أمه في رعاية هذه التقاليد صارم لا يعرف الهوادة . واذا أراد الطفل شيئا لقنه أبوه أن يقول « من فضلك » ولو كان ذلك من خادم ، فالذوق لا يعرف الاختلافات الاجتماعية .  
والطفل الانجليزي يرى كل من حوله يريد مساعدته ولكن على هذا الأساس ،



هذا الطفل في حبي الايست في لندن يريد أن يعرض على زملائه مقدرته على التمثيل الهزلي ، فيجمع حوله الصغار والكبار

التأدب في الأخذ والعطاء . كنت أسير مرة في حدائق الريجنت ، وكان أمامي طفل تصحبه والدته ، يلعب بكرته فقذف بها خلف حاجز شائك، ولم يقدر على اجتذابها منه فتقدم شيخ كان يسير بجانبنا - وأنا أرقبه من بعيد - وتطوع وأخرج الكرة من مكنها ولم يرد اعطاءها له حتى قال له « أشكرك ياسيدي » وقد نسي الطفل الكلمة في بكائه ، وهكذا لم يترك الشيخ السائر فرصته لتعليم الجيل الجديد تقاليده الانجليزية ! وليس أبسط لبث روح الديمقراطية من هذه الكلمة ، وليس أروع منها لتقوية النزعة الانسانية .

وللطفل الانجليزي نصيبه في كل مجهود قومي ، وله نصيبه في كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية في لندن . ويشعر الجميع بأن لهذا الطفل حقوقه الاجتماعية سواء بسواء ، فهم يفكرون فيه كما يفكرون في أنفسهم .

وفي كل حديقة في لندن تجد جانبا خاصا فيها للاطفال ، منطقة لا يدخلها غيرهم ، قد جمعت لهم فيها كل ما يصبون اليه من أحواض ضخمة للعب في الماء ، ولتسيير قواربهم ، ومن أجهزة للانزلاق والدوران ومن أراجيح ومن دوامات . وتجد حدائق الأطفال هذه في أيام الصيف، غاصة بهم يستخدمونها كيف شاءوا ، ولا يسمح حتى لأمهاتهم أو مربياتهم باقتحام هذه المناطق ولو لراقبتهم . هم أحرار فيها تمام الحرية .

وفي صحف لندن الكبيرة ، تجد صحيفة خاصة بالأطفال ، مكتوبة بلغة خاصة وبطريقة سائقة ، فيها مادة تثقيفية وفيها الصور والرسوم وفيها القصص والحكايات الجذابة . فترى الطفل يقرأ جانبه من الدايلى اكسبرس أو الميرور ، كما يقرأ أبوه جانبه الرياضي أو الاقتصادي في الجريدة . وعدا هذا فان للأطفال الكثير من الصحف والمجلات الخاصة بهم والتي يشتركون فيها بانتظام ويقرأونها باهتمام وعناية وللأطفال مكاتبهم وكتبهم ، ففي كل مكتبة كبيرة في لندن قسم هام لكتب

الأطفال ، يتسع كل يوم بالموئلفات الحديثة للاطفال . والأب الانجلىزى لاىجد أئمن من هذه الكئب لاهداء طئله إذا جاء عىء . أو موسم .

وللاطفال فى لئءن مسارءهم ، وفى أيام عىء المىلاء ءعرض رواىاء ءاصة للأطفال على بعض مسارء لئءن فىها ءقالىء ىرها الأطفال الاءجلىز منءء القءم ، ىعرضون فى هذه الرواىاء الكئىر من شءصىاء الأطفال الءىالىة مثل سنءرلا .

وإذا زرت مءءف الشمع فى لئءن ، ءبء رءنا ءاصاً بعظماء الأطفال وأبءالمهم له أهملءه فى نظر منظم المءءف كءىره من الأقسام ، وءشاهء فى هذا القسم روبن هوء ومكى ماوس وءىره .

والطفل الانجلىزى ىءعلم كىف ىءمل المسئولىة ، فهو ىءرك له الفصل فى اءءىار ألوان ملاءسه ، أو فى اءءىار مواد ءراسءه ، ولىس أروع من أن ءبء ءءماً من الأطفال الصغار راءعىن إلى ىىوءهم من إءءى مءارس لئءن العىءة ءون ءءم ءءهم أو ءمل ءقائبهم ، ءرى هولاء ىسىرون فى شوارع لئءن ، ءءى إذا أرادوا أن ىعبروا الشارع المزدءم ، ناءوا على الشرطى لىقوءهم ، لىقوء هذا الصء من الأطفال إلى الرصىف الآخر ! . . .



## متاجر لندن

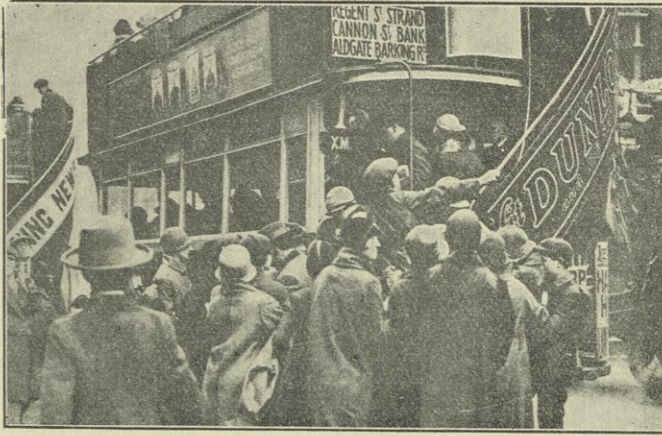
لكل حى من أحياء لندن ، نظامه الخاص فى تحديد ساعات العمل فى المتاجر التى تقع فيه ، وكل من يخالف هذا النظام يضع نفسه تحت عين رجال البوليس . لهذا كانت متاجر لندن كأنها المدارس التى تفتح أبوابها بدق الأجراس ، وتغلقها بصلصلة النواقيس .

وكل متجر - الا قليلا معدودا - يقفل يوما ونصف يوم كل أسبوع ، يوم الأحد ثم نصف يوم آخر . ومتاجر الوست اند ، وهو الحى التجارى الرئيسى فى لندن ، تقفل منذ الساعة الواحدة من يوم السبت إلى يوم الاثنين ، أما فى غير هذا الحى فيختلف تحديد هذا اليوم ، فمنها ما تقفل يوم الأربعاء ومنها ما تقفل الخميس . ومتاجر الوست اند الكبيرة تقفل كل مساء فى الساعة السادسة أو السادسة والنصف ، وهكذا بقية الأحياء الا فى يوم السبت حيث يتأخر هذا الموعد الى الثامنة والتاسعة .

...

والساعة السادسة فى حى الوست اند ، ساعة حركة نادرة لا تجد لها شبيها فى أية عاصمة أوروبية، اذا ما بدأت الشركات والمتاجر فى اغلاق أبوابها ، وبدأ آلاف العمال والعمالات يخرجون الى بيوتهم فى الشمال والجنوب وفى كل أطراف لندن . قد تقف ساعة أو بضع ساعة ، فى أطراف شوارع الوست اند هذه ، تستعرض

عربات الامنيوس المزدحمة دون أن تجد مكانا واحداً خالياً . وتنحدر إلى محطة الترام الأرضي ، فتجد المئات من الفتيات والرجال يهرولون كأنهم في سباق ، يهرولون كأن موجة هستيرية قد مرت على رؤوسهم ، يهرولون ولكنهم لا يتدافعون ،



ولا ترى الذي يدل بذراعه أو بقامته المرتفعة ليسبق غيره ممن جاء قبله إلى موقف الامنيوس .

وفي باريس يقطع المنتظر تذكرة بها رقم متسلسل ، ليتأكد السابق من أولويته ، أما في لندن فلا تجد ذلك ، لا تجد الذي يشق طريقه في الزحام عنوة ، إذ سرعان ما يقفون صفاً متسلسلاً ، اثنين اثنين ، أمام عربة الامنيوس أو الترام أو أمام نافذة المحطة دون حاجة إلى مثل هذه التذكرة .

...

ولبعض أنواع المتاجر في لندن نظام خاص بها . فالحانات ، والمطاعم التي تقدم فيها الخمر ، تغلق أبوابها أو تمتنع عن تقديم الخمر منذ الساعة العاشرة ، إلا في ميكادلي حيث يمد الأجل إلى الساعة الحادية عشرة ، ولا تقدم إلا للآكلين . أما في

يوم الأحد ، فتفتح هذه المشارب ساعتين صباحاً ، وساعتين في المساء . والاستعداد لتنفيذ هذه النظم ، مما يجب أن يفتخر به الانجليز . فاذا جاءت الساعة العاشرة وكنا في احد مجالس بيكادلى ، وطلب أحد الاخوان دورا جديدا ! يأسف الخادم لأن الساعة قد أزفت ، إذ لا تقدم الاقداح الا للآكلين . وتدخل أحد المطاعم التي تباع الخبز أو الجبن ، فتمتنع أن تباع شيئا منها ، لأن القسم التجارى في المطعم مغلق وان كان الباب مفتوحا ، وهكذا تدخل صيدلية بعد هذه الساعة فتجد جانبا من معروضاتها مغطى ، فهي لا تباع بعد هذه الساعة الا العقاير ليس إلا ، اما العطور وأدوات الزينة فقد انتهى الوقت المحدد لبيعها . ولمطاعم في لندن نظام ، يختلف كل مطعم بالنسبة للحى الذى يقع فيه ، فترى من المطاعم ما يقفل في السادسة وما يستمر الى التاسعة أو الحادية عشرة أو الى بعد ذلك ، فاذا جاءت الساعة المحدودة ، لا يسمح لآكل بالدخول اطلاقا ، بل تجد الخادم الذى يقف على الباب لتنبيه الداخلين الى ذلك .

ومتاجر السجائر والحلوى لها نظامها ، ولها عادة وقت أوفر من غيرها ليلا ، واذا أغلقت وضعت أماكنها الآلات الاتوماتية لبيع السجائر والكبريت والحلوى ؛ فقد يكون المكان مفتوحا حيث تباع هذه السجائر ، ولكن البائع يمتنع الا أن يبيعك عن طريق هذه الآلات الاتوماتية .

وفي كثير من أنحاء لندن — لا سيما المتطرفة — أسواق متنقلة لبيع الخضر والفاكهة والسمك والزهور ، تعقد في أيام معينة كل أسبوع ، أو في الصباح من كل يوم عدا أيام الآحاد .

...

وبعض متاجر لندن تجمع أكثر من متجر واحد ، فتجد حانوت الادوات الكتابية والصحف ، والتبغ ، والحلوى في مكان واحد . وتجد الخبز الذي به مكتب

للبريد ، والصيدلية التي بها مكتبة لاستئجار القصص .  
 وتجدها كثيراً من المتاجر التي تتبع شركات معينة ، تجدها مجموعة هذه المتاجر في كل  
 شارع رئيسي ، فإذا ذهبت غرباً إلى وست كنزجتن أو جنوباً إلى إلفانت وكاسل  
 وجدت مطاعم ليونس والا كسبرس ديري و A.B.C ثم صيدلية بوتس ، وفرعاً من  
 فروع ولورث وآخر لمحات مارك وسبنسر، ومكتبة من مكاتب سمث وغيرها، تجدها  
 في كل مكان ، حتى لا تكاد تشعر بميزة لشارع عن شارع .  
 وبعض شوارع لندن تشتهر بأنواع خاصة من المتاجر ، ففي أشيرنج كروس تجدها  
 المكتبات القديمة ، وفي بوند استريت تجدها متاجر أزياء الرجال الراقية ، وفي  
 أشانسري لين متاجر الأدوات الكتابية .  
 وأكثر متاجر لندن الكبيرة ، تجدها في شارع أكسفورد والريجننت



حركة المرور في شوارع لندن



والاستراند ويكادلى وهو بورن ، وبعض هذه المتاجر الكبيرة ، معرض فاخر يستنفد ساعات للجولان فيها ولو لغرض المشاهدة .

وسلفردج أفخر هذه المتاجر جميعها ، لا يبعد الا بضعة دقائق من النادى المصري ، بنى على نسق مصرى قديم ، بأعمدة عديدة هائلة . تبحث فى سلفردج عن كل شىء ، ولا تفقد شيئا تطلبه ؛ قسم الأزياء النسوية ، المجوهرات ، الكتب ، آلات التصوير ، اللعب ، الحلوى ، أدوات الرياضة ، أزياء الرجال ، السيارات ، المطعم ، الأدوات المنزلية ، مكتب للبريد واللاسلكى وغيرها كثير ، وكل قسم من هذه ، متجر فاخر بنفسه .

وفى أيام الصيف التى لا يقبل فيها الليل بظلامه الا فى الساعة التاسعة والعاشره ، تمر فى مثل هذا الوقت فى شارع أكسفورد ، فتكاد لا ترى أحداً ، ولا تجد بابا واحدا من هذه المتاجر الهائلة مفتوحاً ، هذا والشمس لا تزال على الأفق !  
النظام ! النظام !

## العاملات في لندن

جاءت الحرب العظمى فدفعت بالفتاة الانجليزية الى العمل في مصانع الذخيرة ، في المخازن التجارية ، في البريد ، في كل مكان خلى من الرجال . وعندما رجع هؤلاء المحاربون ، عندما رجعوا الى لندن وجدوا الفتاة قد أخذت عليهم الطريق ، وجدوا نصيرهم بالأمس قد صار منافسهم بل منافسا خطيراً .

وهكذا تسير اليوم في لندن ، وتبحث عن الرجل العامل فلا تجده ، تبحث عنه في المطاعم ، في المخازن التجارية ، في المعامل ، في مكاتب البريد ، فلا تجد له أثراً . الفتاة العاملة أخذت عليه الطريق !

وفي كل مكان تجد هذه الفتاة العاملة ، فأنت لا تتعامل في لندن الا عن طريق الفتيات العاملات ، في المطاعم - اللهم الا المطاعم الراقية المعدودة - لا تجد خدماً بل خادماً ، وفي المتاجر العديدة في لندن تجد آلاف الفتيات ، وفي المكاتب والشركات تجد الفتيات على كل مقعد .

وإذا وقفت في شارع أ كسفورد في منتصف الساعة التاسعة صباحاً ، وراقبت جيوش الخارجين من محطة الترام الأرضي ، وجدت الفتيات بالئات يطرقن كل باب من أبواب المخازن التجارية المغلقة .

وهكذا دفعت الفتاة الفتى العامل الى البطالة ، هكذا صنعت الفتاة الانجليزية بيدها هذه الجيوش الغفيرة من الشبان العاطلين ، الذين تجدهم حول ميدان البورصة ، وفي

هايد بارك يقطعون الوقت في الجدل والمناقشة .

وهكذا تدفع الحكومة الانجليزية بضع ملايين من الجنيهات لهذا الجيش المسرح من العاطلين ، الذين حط عليهم الكسل وخويت عقولهم وقلوبهم من البطالة ، فراحوا يصرفونها حول البارات أو في الرهان على سباق الخيل والكلاب . . .

...

وليس عجبيا في لندن أن تجد اليوم الزوج العاملة والرجل العاطل ، ليس غريبا أن تجد اليوم في لندن المرأة التي تحمل على كتفها مطالب الحياة المنزلية والزوجية . لقد عرفت في لندن العائلة التي تخرج الزوجة فيها الى العمل من الصباح ، وتترك طفلها الصغير الى زوجها العاطل ، الذي لا يجد مناصا من العمل في البيت ، في العناية بهذا الطفل الرضيع ، في طهي الطعام وتنظيم الحجرات ، وانظار زوجته مساء ، وقد جهز لها الشاي !

لقد رأيت في لندن المرأة العاملة التي اذا رجعت الى البيت ولم تجد زوجها ، راحت تبحث عنه في الحانات وفي أركان الشارع ، لتجره بيدها الى البيت ! ولكنك مع ذلك لا تجد الفتاة التي تستبد بزوجها العاطل ، ذلك لأن المرأة الانجليزية تفهم واجبها كأم وزوجة ، وتعرف معنى الحياة ومشاكلها الاجتماعية والاقتصادية المعقدة .

هذه لاشك حياة شاذة ؛ ولكنها ليست غريبة في لندن جد الغرابة ، تجدها اذا بحثت عنها بين عائلات العمال الكثيرة في لندن . ولماذا المرأة العاملة ؟ ذلك لأنها تتناول أجرا هينا معقولا لا يرضى به الرجل ، آلاف من العاملات في لندن لا يزيد أجرهن الأسبوعي عن جنيه واحد ، ولكنك لا تجد الرجل الذي يرضى بهذا الأجر وان كان يرضى بالبطالة .

ومن هذا الجنيه تجمع هذه الفتاة الانجليزية العاملة الجنيات بحرص، في مكاتب  
البريد أو في الجمعيات التعاونية ، حتى اذا اتت نصف عقدها الثالث ، وجدت في يدها  
ثروة تستقبل بها زوجها !

هذا الزوج الذي قد تخونه قوانين الاقتصاد بعد زواجه فيترك عمله ويصبح  
عاطلا ، الامن بضع شلنات يأخذها من مكتب العمل .

## لندن في أسبوع

كيف أرى لندن في أسبوع واحد؟

هكذا يسائل نفسه الزائر ، الذي يهبط لندن وقد ضاق به الوقت وتقلص ، سعى لا يكاد يفرد الا أسبوعا واحداً لزيارة لندن العظيمة ، ذات المئات من الأماكن التي تستنفد الأسابيع الطويلة لزيارتها ولاستيعاب ما تحويها .

ومع ذلك فهو ولا شك قد سمع عن الكثير في لندن ، سمع عن وستمنستر وعن البرلمان وعن المتحف البريطاني ، ربما سمع عن هايد بارك وعن بيكادلى . وهو لا شك يعرف دون سؤال أن في لندن عشرات المسارح ودور التمثيل ، تستحق المشاهدة ، اذا كان من عاشق الملاهي ؛ وهو ولا شك يعرف أن لندن تحوى العشرات من المتاحف والمعارض دون أن يستجوب أحدا اذا كان من محبي الفنون ؛ وهو ولاشك يعرف أن في لندن جامعة عظيمة عتيده ، وأن فيها مئات المدارس والمعاهد والمكاتب والمكتبات ، جميعها تستحق النظر هذا اذا كان من طلاب العلم ، ولكن . . ؟

ولكن كيف تراه يوفق بين هذه الرغبات جميعها ، وليس لديه الا هذا الأسبوع الواحد لكي يرى لندن ؟ وان كان ليس أجدى من أن ترى لندن في أسبوع واحد ، ولو كنت عازما على قضاء شهور أو أعوام فيها ! لأن كثيرين يقطعون هذه الأعوام أسابيع وشهورا يعللون أنفسهم بأنهم سيرون لندن يوماً من الأيام ، وتنقضى هذه الأعوام وهم لا يعرفون الا الطرقات التي يسرون فيها حيث يعملون . .

ثم كيف تراه يبدأ هذه الزيارات؟ أين قلب لندن؟ وهل لمدينة كاندن قلب واحد  
لندن ذات العشرة آلاف شارع، التي تمتد خمسة أميال من الشرق الى الغرب،  
وثلاثة من الشمال الى الجنوب؟ لا، ليس للندن قلب واحد.  
وهكذا سنفرض له في كل يوم من أيام أسبوعه هذا قلبا للندن، سنختار له بيكادلي  
هايد بارك، البورصة الملكية، الجامعة، النادي المصري، ميدان ترافلجار. ما أكثر  
قلوب لندن . . .

...

**اليوم الاول:** الساعة التاسعة في ميدان ترافلجار، يزور المعرض الأهلي  
للصور، يسير في شارع هوايت هول، ويمر على قبر الجندي المجهول، ثم على شارع  
دوننج حيث يسكن رئيس الوزارة الانجليزية في المنزل العادي المرقوم برقم ١٠ من  
النحاس اللامع، ثم يمر بالوزارات الانجليزية ثم بدار البرلمان.  
ثم اذا كان بعد الغداء، يزور دير وستمنستر، ويسير حول البرلمان الانجليزي  
وعلى ضفة التيمز حيث يزور معرض التيت، ثم يرجع الى كبرى وستمنستر ويشاهد  
دار بلدية لندن واسكتلاند يارد على ضفة التيمز الأخرى، وفي المساء يقضى الليل في  
احدى المسارح في ميدان لستر.

**اليوم الثاني:** يبدأ من هايد بارك، ويقضى جانباً من الصباح في الحديقة وعلى  
ضفاف السربنتين، ثم يخرج الى شارع أكسفورد مارا بالقوس الرخامي، زائراً  
سلفردج أفخر مخازن لندن التجارية، ثم يتابع السير الى توتنهام كورت رود حيث  
يتناول الغداء في الكورنر هاوس. ثم الى المتحف البريطاني في رسل اسكوير حيث  
يقضى اليوم.

**اليوم الثالث:** يقضى هذا اليوم في سوث كنزجتن حيث يزور جامعة لندن

ومتحف الحرب ، والمتحف الامبراطورى ، ومتحف فكتوريا ، ومتحف الفنون  
الطرزية، ومتحف العلوم ، ومتحف التاريخ الطبيعى . ويخرج من هذا الحى الى حدائق  
كنزجتن حيث يتناول الشاى

يقضى المساء فى احدى دور السينما فى بيكادلى

**اليوم الرابع :** يبدأ هذا اليوم من النادى المصرى فى بيكر استريت ويسير على  
الأقدام الى حدائق الريجنت ، ومنها الى حدائق الحيوان ، ثم يعود الى النادى المصرى  
للغداء ثم يزور متحف مدام توسود ، ويتناول العشاء ويشاهد السينما والرقص فى  
نفس البناء .

**اليوم الخامس :** يبدأ من بيكادلى حيث يمر باكاديمية الفنون الملكية ، ومن  
هناك الى الاستراند سيراً على الأقدام ، معرجاً على مسلة كليوباترة فى اشيرنج كروس  
على التيمز ، ثم يسير الى فليت استريت حيث ادارات، عشرات الصحف، ماراً بكليّة  
الملك، ومحكمة الجنايات، ثم الى كنيسة سنت بول، ومنها الى البورصة، وبنك انجلترا  
ويتناول الغداء فى احد مطاعم الستى ، ويسير أو يأخذ الترام الأرضى إلى برج لندن  
يقضى المساء فى احد مطاعم بيكادلى

**اليوم السادس :** يقضى هذا اليوم على التيمز يزور قلعة ونسور وقصر هامدن  
كورت فى رتشموند ، ويزور حدائق الكيو وحدائق النباتات . ويقضى المساء فى  
احدى دور السينما

**اليوم السابع :** يقضى هذا اليوم فى جنوب لندن حيث يزور القصر الزجاجى  
ومطار كريدون ثم غابة ابنج ثم أحواض لندن . ويعود فى المساء حيث يقضى السهرة  
فى بيته من التعب والمشى والاعياء . .

...

انقضى الأسبوع ، ولم ير من لندن الا القليل ، ولندن ليست المدينة التي ترى في  
الأسبوع ، ولا التي ترى بهذه العجلة ، التي ولا شك أنها من الشيطان ، بل ومن  
الشيطان الرجيم ...



## من الغرب إلى الشرق

محطة فكتوريا الليلة ، ككل مساء من أمسية الصيف ، مزدحمة بالراجعين من مصايف الجنوب بعد قضاء اليوم ، أوالذاهبين إليها لقضاء السبت والأحد . ومزدحمة بالساكنين في ضواحي لندن الجنوبية بعد أن انتهوا من عملهم اليومي في لندن . عشرات من القطارات الكهربائية والحديدية تصل ، وعشرات تغادر أرصفة المحطة العديدة . ومئات من الفتيات العاملات ، ومئات من العمال وغير العمال يخرجون أفواجا من محطة ترام تحت الأرض وينتشرون بين هذه الأرصفة ، كل يحمل صحيفة من صحف المساء ، أو يختطفها من باعة الصحف الذين ينتظرون في كل ركن من أركان المحطة العظيمة .

...

ولكنها الليلة ليست في نظري كما كنت أراها من قبل ، لم أجد في أنوارها القوية الزاهية تلك الغبطة التي كنت أجدها قبل ذلك ، ولم أجد في ازدحامها تلك السلى . فلست فيها الليلة مودعا صديقا ، ولست فيها مسافرا الى برايتون أو بورموث لقضاء يوم على شاطئ البحر .

اننى أودعها الليلة كما أراه من لندن ، كما أرى صورة تقع عليها العين من صور العاصمة العظيمة التي عشت فيها طالبا ردها من الزمن والتي رجعت إليها عاما بعدعام

ومن يدري فقد تكون هذه آخر ذكرى عندى للندن ؛ وقد يكون هذا الوداع وداعا لا لقاء بعده . أو قد يكون اللقاء بعد أعوام وأعوام ، وقد سلخت عهد الشباب ونسخت شيخا مل الحياة والأحياء ؛ أرجع اليها غريبا من جديد لا يذكر وجهها كان يعرفه من قبل ، ولا صديقا يأنس اليه ، ولا مكانا يتردد عليه ويألفه .

وتكون لندن اذ ذاك فى نظرى عاصمة مهجورة ، عليها مسحة الكآبة والحزن ، صامته وكأنها كانت تغنى فى عهدى الأول بها ؛ عابسة جادة وكأنها كانت لاهية طروبا عندما كنت أتردد عليها من قبل .

ستكون اذ ذاك لندن غير لندن ، وسوف لا أجد فى شبابها ما أجده اليوم من صبوة ومن حب للحياة ، فنحن لا نرى الا نفوسنا منعكسة على ما يدور حولنا من مظاهر الحياة ، فاذا كنا عابسين فاننا نسمع رنة الحزن حتى فى خير الماء ، واذا كانت قلوبنا مرحة لاهية فاننا نلمح هذا المرح فى حفيف الشجر وفى سقطات المطر على الأرض .

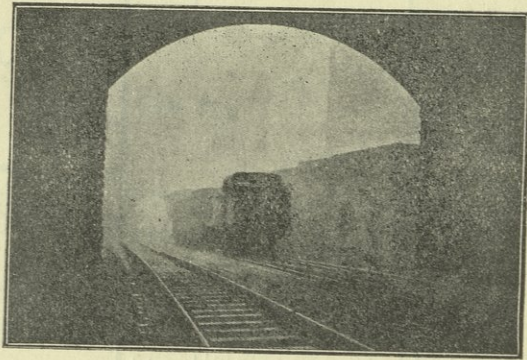
...

فهذه الأبنية السوداء الجمدة التى مر عليها أكثر من قرن، وهى فى مكانها فى لندن قد لا تتغير بعد عشرين عاما ، ولكن قلوب الشباب التى ترقص اليوم سوف تسكن فى خلال هذه السنين العشرين ، وهذه الوجنات الفاتنة التى تفيض من حسننها على أبنية لندن الحجرية القاسية سوف تبدل وتذوى بعد قليل ، وتبقى هذه الأبنية قائمة كأنها معابد وادى الملوك .

ستكون لندن موحشة مهجورة .

وستكون أبنية لندن جرداء قاسية .

وستكون لندن صامته ساكنة .  
لأن قلوبنا هي التي ستكون مهجورة ،  
ولأن قلوبنا سوف تكون جرداء ،  
ولأن قلوبنا سوف تسكن فيها نبضة الشباب .  
وداعاً . . . !



## فهرس هجائى

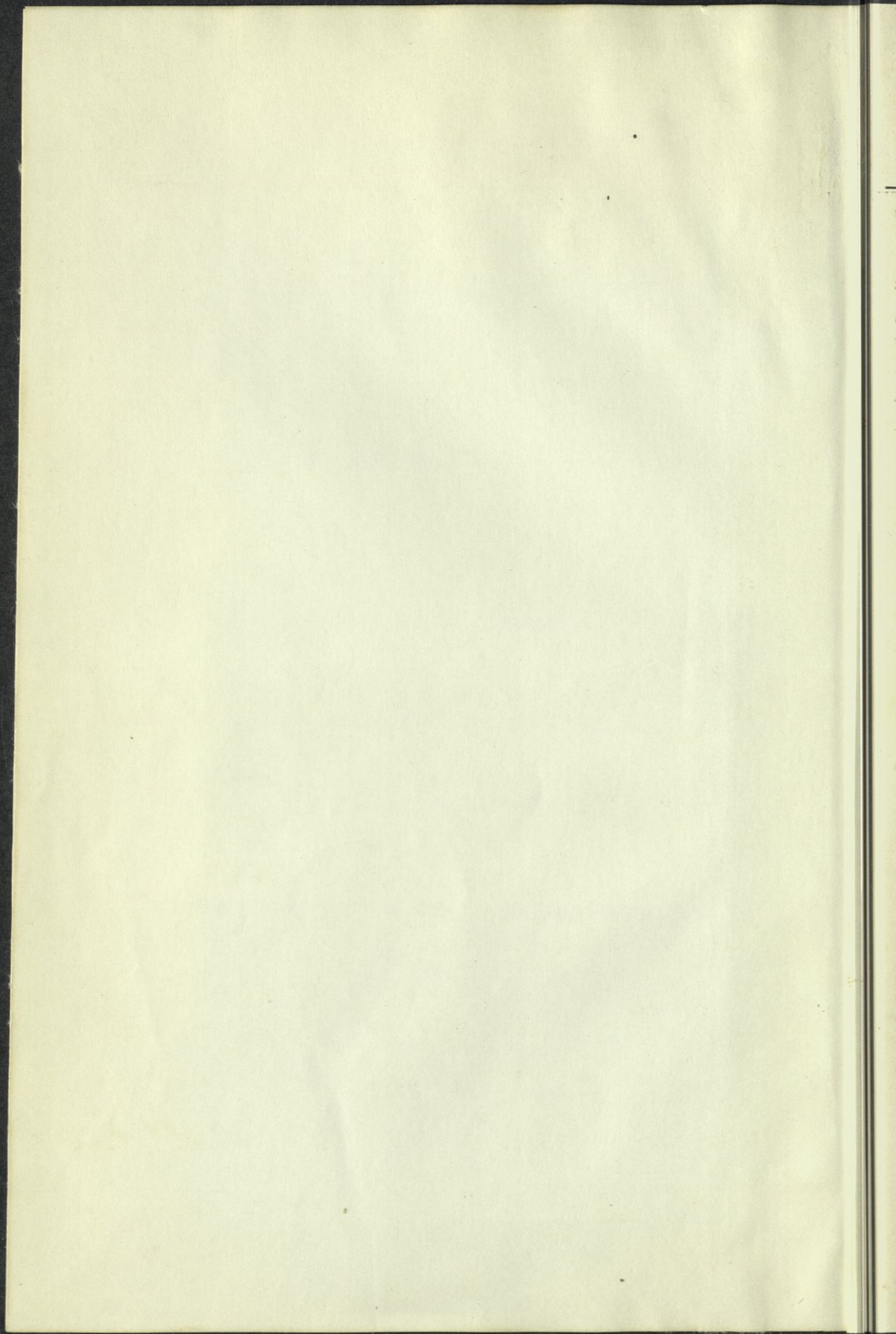
دير وستمنستر { ١٢٨ ١٧٤	الترام الأرضى ١٣٦ التربية الانجليزية ٣٤٤ توماس ارنولد ٢٢٩ التيت ( معروض ) ١٣٢	٤٢ أجانب ٣٥٩ أسبوع فى لندن ٣٤١ أطباء ٣٤٤ أطفال لندن ٢٦٧ امنديوس ١٨١ الانجليز ٢٠٠ ايجار الغرف
الرقص ١٦٩ ركن الادباء { ٥٥ ١٧٦ الرياضة ٣٢٣ ريخت بالاس ٢٢٢	التيمز { ٤٤ ٧٠ ١٤ ١٥٣	٧٢ بيج بن ١١٧ برج الجواهر ١١٦ البرج الدموى ١١٢ برج لندن ٦٣ البرلمان
زبلن ١٠٧ الزهور ( أيام ) ٣١٥ ساعى البريد ٢٦٩ سباق الخيل ٣٢٧ سباق الزوارق ٣٢٧ السقى ( حى ) ٨٧ السربتين ٣٠٨ سنت بارت ٣٤٠ سنت كلوز ٢٧٥ سينما { ١٦٤ ٣٣٨	الثلج ٢٣٧ جامع ووكنج ٣٢٩ جامعة لندن ٢٩٠ جيش الرحمة ٣٠٣ الحانات ٨٤ الحرب { ١٠٦ ٢١٠ خانات لندن { ٩٥ ١٩٠ خطباء هايد بارك ٣١١	٧٣ البريد { ٢١٧ ٨٩ البورصة ٣٢ البوليس ١٦٠ ٢٢٢ ٢٤١ بيكادلى ٣٣٣
الشاى ٢٤٣ الشتاء ٢٣٩ الشرطة الانجليزية ٢٣٥	درورى لين ١٦٨ دوفر { ٢٧ ٣١	٢٧١ التاكس ٦١ ١٠٤ ترافلجار ( ميدان ) ١٧٦

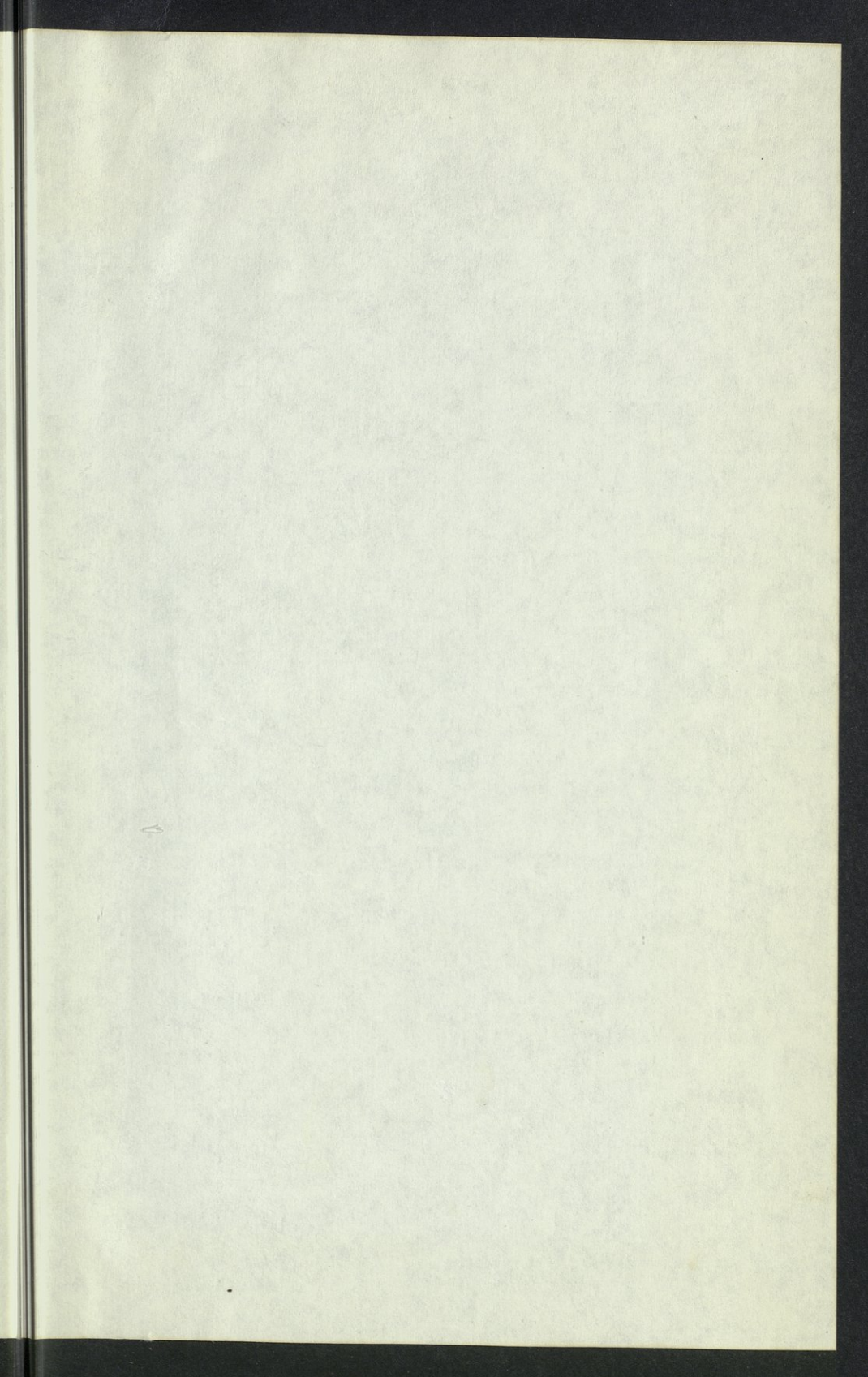
فهرس هجائى

المرضى ٣٤٢	القاهرة ٢٣	الشرطى ٢٦٥
المسارح { ١٦٦ ٣٣٧ ٣٥٠ }	قبر الجندى المجهول ٢٦٢	الصبح فى لندن ١٢٤
مستشفيات { ٣١٧ ٣٤٠ }	السكره ٣٢٦	الصحافه والصحف { ١٥١ ١٩٢ ٢٠٠ }
مسلة كليوباتره ٤٤	كلية بريك ٢٩٧	صيدليات ٣٤٣
مشارب الشاى { ٢٠٨ ٢٤٣ }	الكلية الجامعه ٢٩٥	
مصورو الشارع ٢٧٠	كنائس ٨٢	الضباب { ٣٧ ٧٧ }
المطاعم الاجنبية ٢٨٤	كورنر هاوس ٢٨٨	ضيوف الشارع ١٠٢
مطاعم السمك ٢٨٦	اللبن ٢٧٢	
المطر ٧٩	لندن القديمه ٩٣	الطبيعه الانجليزيه ١٨٠
مقاهى لندن ٢١٩	ليونس ٢٤٢	طفل انجليزي ٣٤٦
مكتب الامتعه الضائعه ٩٧	ماسحو الاحديه ٢٦٨	طيور الليل ١٦٠
المكتبات ١٩٠	المتاحف والمعارض ٢٥٢	
المكتبات القديمه ٢٣٢	متاجر لندن ٣٥١	عاملات لندن ٣٥٦
مكتبة المتحف البريطاني ٢٥٩	المتحف الامبراطورى ٢٥٧	عشاق لندن ٢٠٧
الملابس ١٩	البريطانى « ٢٥٩	عمده لندن ١٤٨
ممرضات ٣٤١	متحف الحرب ٢٥٤	عمود نلسن ١٠٤
موسيقى الشارع ٣٠٣	العلوم « ١٥٨	عيادات ٣٤١
	مجلس العموم واللوردات ٦٨	عيد الميلاد ٢٧٤
	محطه فكتوريا ٢١٤	
	مدام توسود معرض { ٤٩ ١٩٤ }	
	مدرسه الدراسات الشرقيه ٢١٧	الفحامون ٢١٦
النادى المصرى { ٢٠ ٣١٨ }	مدرسه العلوم الاقتصاديه ٢٩٦	فلت اسبريت ١٨٩
	مرسيليا ٢٧	فنانو الشوارع ٣٠٢

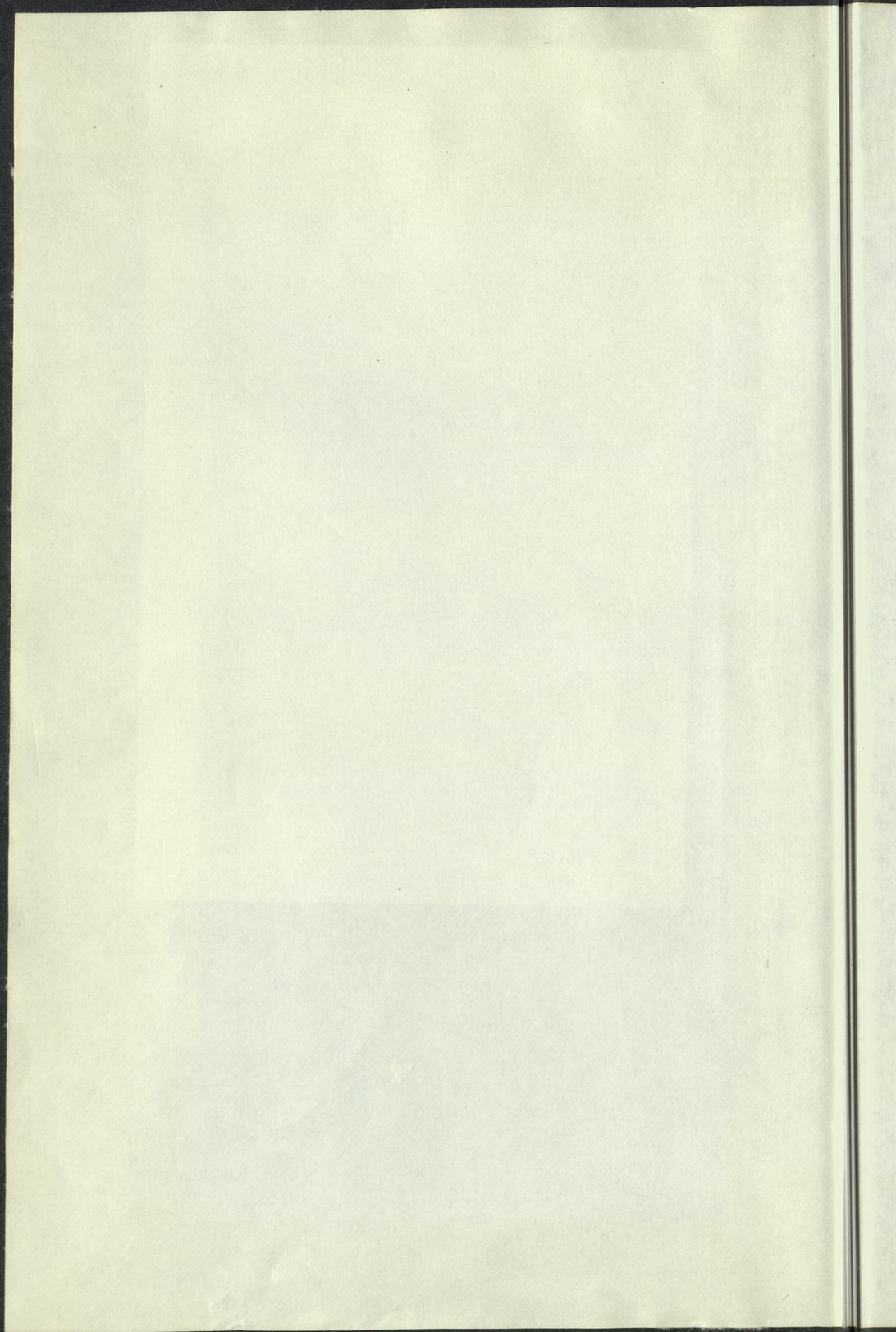
فهرس هجائی

۱۴۳ ولزی	۱۴۳ هنری الثامن	۳۴۲ هارلی استریت
۱۲۳ ولورث		۱۴۰ هامدن کورت
	۳۵۱ وست اند	۸۴ } هاید بارک
		۳۰۶ }
۸۰ يوم الاحد	۶۴ وستمنستر	۲۷۸ هدايا الميلاذ
		۳۶۳ الهدنة









DATE DUE

JAFET LIB!

8 - MAR 1998



A. U. B. LIBRARY

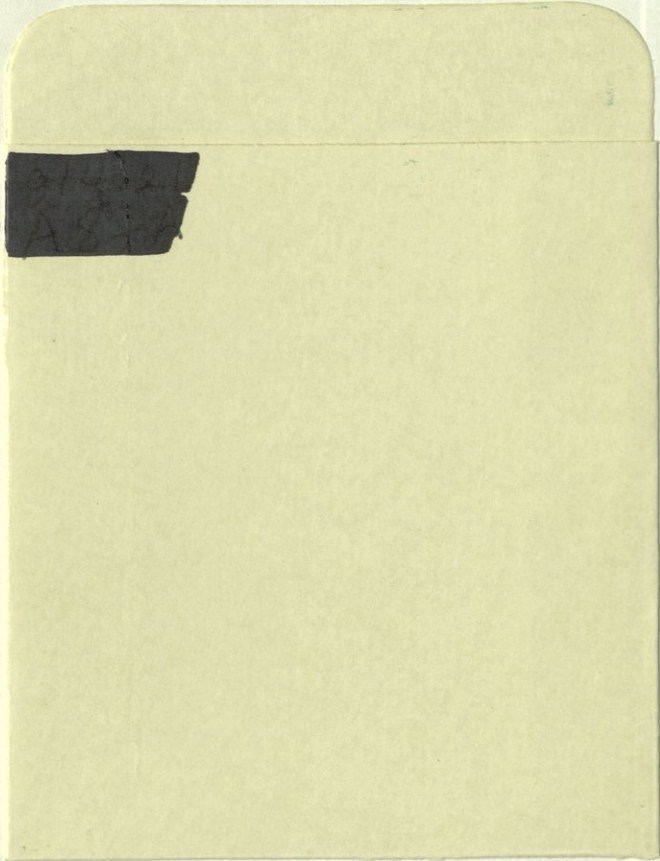
عظية الله، احمد

لندن

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01045772



4.21  
022A